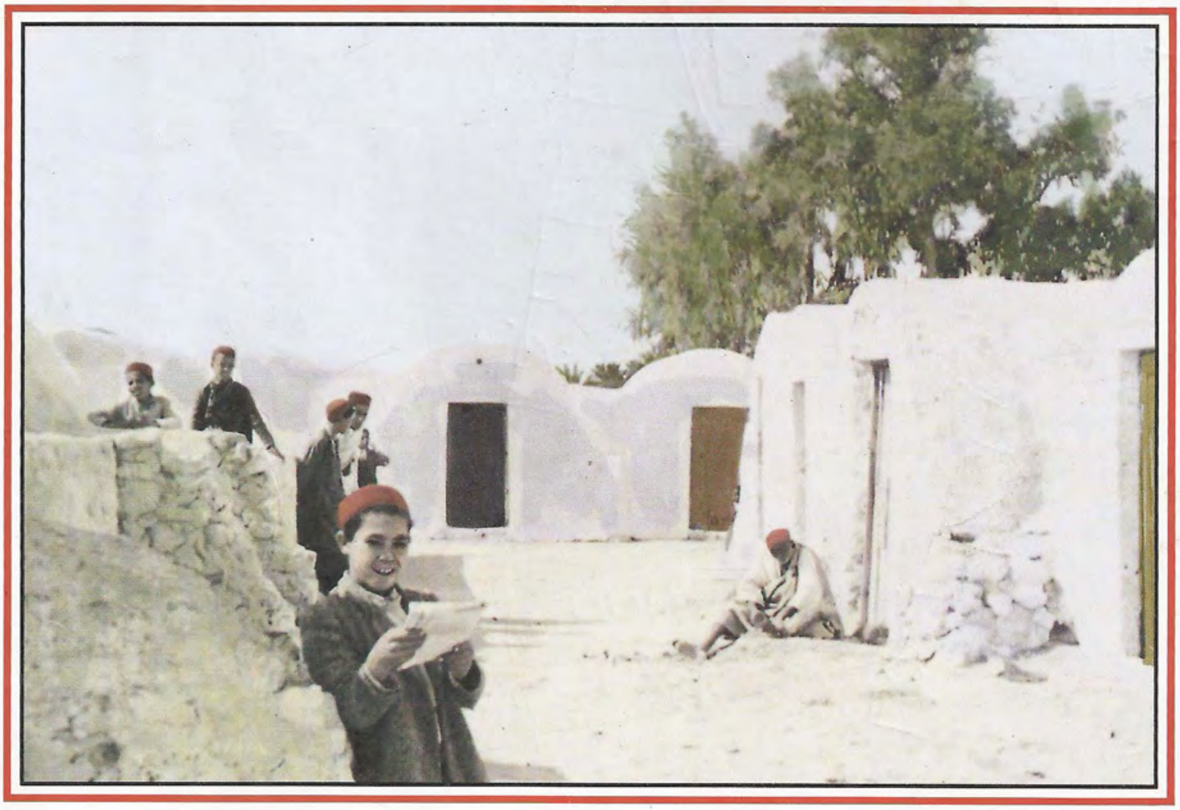
تاريخ شبه جزيرة جرجيس

من العصور القديمة إلى نهاية الإحتلال الفرنسي

تقديم أ.د. نورالدين سريب



دراسة إجتماعية - تاريخية في التاريخ المحلي

د. سالم لبيض

تاريخ شبه جزيرة جرجيس

من العصور القديمة إلى نهاية الإحتلال الفرنسي

تقديم أ.د. نورالدين سريب

د. سالم لبيض

دراسة إجتماعية - تاريخية في التاريخ المحلي

الطبعة الأولى مارس 2001

كلمة شكر

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى :

- أستاذي الجليل الدكتور **عبد الوهاب بوحديبة** لتفضله بالإشراف على البحوث التي أنجزتها أثناء مرحلة الدكتوراه.

- الأستاذ الفاضل الدكتور **نورالدين سريب** لتفضله بتقديم هذا العمل.

- **كتابة الدولة للبحث العلمي** للمنحة المالية التي تفضلت بها مساهمة منها في نشر هذا العمل.

- المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس لمنحة البحث التي تفضل بها مساهمة منه في دعم هذا العمل.

- السيدين **عبدالله عطية** و**عبدالسلام بوعائشة** لتفضلهما بالمراجعة اللغوية لهذا النص.

- السيد **سالم زواغة** محافظ المكتبة العمومية بجرجيس، والسادة، القائمين على المدارس الإبتدائية بجرجيس وعلى الأرشيف الوطني التونسي وأرشيفات وزارة أملاك الدولة والشؤون العقارية بتونس ومكتبة ايبلا والمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، وكافة زملائي وأصدقائي...، الذين وجدت منهم مساعدة كبيرة.

صورة الغلاف

غرف قصر أولاد بوعلي جرجيس

استخدمت كفرع للمدرسة الفرنسية العربية للذكور.

الإهـداء

إلى والدي، إلى والدتي

إلى زوجتي

إلى إبني محمد فراس

أهدي هذا العمل

التقديم

إن هذا الكتاب الذي يقدّمه لنا الأستاذ سالم لبيض هو جزء من أطروحة أحرز بها على شهادة الدّكتوراه تحت إشراف الأستاذ عبد الوهاب بوحديبة. هذا البحث هو مواصلة لاهتمامات سابقة تجسّدت في عدّة إنجازات علميّة منها مذكّرة شهادة الكفاءة في البحث حول القبيلة والمقاومة في أقصى الجنوب التونسي. فإشكاليته تتمحور حول قدرة المجتمع القبلي في المستوى المحلّي بمختلف مؤسساته وقوانينه وأعرافه ونظمه وقيمه على الصّمود والتّواصل في ظلّ التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية التي ساهمت ولا تزال في تغيير أوجه الحياة وأنماط التفكير وسلوكيات الأفراد.

ولقد أصاب المؤلّف في إبرازه كلّ هذه الخصائص معتمدا على مراجع ضافية وتآليف مختلفة أحاطت بجلّ المواضيع التي تطرّق إليها مبرزا التداخل والتواصل بين الحقول المعرفية من علم إجتماع وتاريخ وأنثروبولوجيا وقد استعمل جملة من الأدوات البحثية لجمع البيانات لعلّ أبرزها هي الملاحظة بالمشاركة والمعايشة والاستبيان هذا علاوة على رصيد كبير من الوثائق الأرشيفية المخزونة أصولها في الأرشيف الوطني التونسي وأرشيفات أملاك الدّولة وغيرها من الأرشيفات العامّة والخاصّة.

وبفضل هذه الأدوات البحثية وتنوّعها تمكّن المؤلّف من دراسة المجتمع الجرجيسي أو ما يسمّى بقبيلة عكّارة من فترة ما قبل التّاريخ مرورا بفترة الاستعمار الفرنسي واستراتيجيته في تفكيك مؤسّسات المجتمع المحلّي إلى فترة الاستقلال وما بعدها مظهرا أهمّ التحوّلات التي مرّ بها المجتمع القبلي المدروس بسبب تأثير التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية التي قضت على الأنماط القديمة. إلاّ أنّ الظاهرة القبلية كظاهرة اجتماعية-تاريخية استطاعت مقاومة التحدّيات التي إعترضتها كما أبرزتها القياسات التي قام بها المؤلّف ويبدو ذلك في السلوكات والمواقف الجماعية والفردية مثل المحافظة على اسم القبيلة والانتساب إلى جدّها سيدي الصيّاح العكّاري أو الانتماء إلى عكّارة كهويّة قبلية تميّزها عن القبائل الأخرى المجاورة لها والانتماء إضافة إلى ذلك إلى مجموعات صغرى تسمّى العروش تميل إلى الانقسام والالتحام حسب الظروف التاريخية والمناسبات.

هذه عيّنة من جملة المواضيع تعرّض لها المؤلّف وقد ألمّ في دراسته بمواضيع عديدة أخرى من بينها مشكلة الملكيّة الجماعية للأرض أو أشكال الممارسات الثقافية التقليدية في المجتمع المحلّي العكّاري.

فأتت هذه الدّراسة القيّمة شاملة لجلّ المواضيع التي تهمّ المجتمع العكّاري وأصبحت مرجعا لا يمكن أن يستغني عنه أيّ باحث أراد أن يتعرّف على شبه جزيرة جرجيس خاصّة والجنوب الشرقي التّونسي عامّة.

أ. د. نورالدين سريب

رئيس قسم العربية بجامعة نانسي

أستاذ علم الإجتماع بجامعة بروفونس بفرنسا.

مقدمة

يهتم هذا الكتاب بـــ " شبه جزيرة جرجيس " أو " دخلة عكارة " كنموذج للمجتمع المحلي في تونس . وهو فضاء على درجة من الأهمية في مستوى البحوث العلمية الإجتماعية و التاريخية. لقد تم تناول هذه الجهة بالدراسة من طرف بعض الكتابات الإستعمارية في إطار " الإستكشاف العلمي الأستعماري" مثل مذكرة الضابط "بايي" (1887) و مقالات "منويار" (1912) والكتيب الذي أصدرته مصلحة الشؤون الأهلية (1931) و أطروحة" مارتي " (1944)، كما تناولها "عبد المجيد الذويب" في مذكرة قدمها إلى المعهد الأعلى للجغرافيا التابع لجامعة السوربون الفرنسية (1955) وتعرض لها المؤرخ الفرنسي "مرتال" (1965) وليسير (1992) ، هذا إضافة إلى المؤلف الجماعي الذي نشرته جمعية المحافظة على التراث بجرجيس (1995). لاشك أن هذه الأعمال قد ساهمت في سد الفراغ المعرفي بالجنوب الشرقي عامة و جهة جرجيس خاصة رغم الخلفية الإستعمارية للكثير منها.

إن مواصلة البحث المتعلق بهذه الجهة من البلاد التونسية له مبررات كثيرة منها ما هو مرتبط بالماضي بسبب إعلانها منطقة تراب عسكري من طرف الإدارة الإستعمارية الفرنسية على عكس بقية مناطق البلاد التي كانت تشكل مراقبات مدنية وهو ما أكسبها بعض الخصوصيات لعل أبرزها عملية التهميش التي تعرضت لها الجهة و التي إنعكست على درجة نموها في المستويات الإقتصادية والإجتماعية و الثقافية و إندماجها في محيطها الوطني ، و منها ما هو مرتبط بالحاضر بسبب ثرائها الإقتصادي القائم على غراسة الزياتين (أكثرمن 1200000 شجرة زيتون) والصيد البحري وموارد الهجرة والنشاط السياحي والمنطقة التجارية والصناعية الحرة وبسبب النمو الديمغرافي السريع (أكثر من 70 ألف نسمة حسب الإحصائيات الرسمية لسنة 1994) مما جعل جرجيس تشكل أكبر المعتمديات فهي ثامن أهم مدينة ساحلية بعد كل من تونس و صفاقس وسوسة وبنزرت وقابس وجربة ومنزل بورقيبة. إن هذه العوامل وغيرها دفعتنا إلى إنجاز عمل متكامل حول جهة جرجيس[1]، وإلى القيام بدور المؤرخ في هذا البحث والدخول في مغامرة كتابة التاريخ المحلي لشبه الجزيرة في ظل غياب عمل تاريخي متكامل وفي ظل ما وصلت إليه العلوم الإنسانية والإجتماعية من تطور منهجي بعد أن إستطاعت أن تتجاوز نزعة التخصص الضيق . لقد إعتمدنا في هذا العمل على منهج تحليلي إجتماعي تاريخي يرتكز على مبدأ التداخل و التواصل بين الحقول المعرفية من علم إجتماع وأنثروبولوجيا وتاريخ إجتماعي ، مع الإستفادة من المصادر التاريخية الجديدة وخاصة المصادر الأرشيفية وأدب الرحلات والحفريات. لقد تمكنا على هذه الأرضية من توظيف المعلومات الواردة في أرشيفات الحكومة التونسية مثل مراسلات عمال الأعراض أثناء فترة حكم "خير الدين" الواردة بالسلسلة التاريخية والسلسلة أ المتعلقة بالمشائخ والخلفوات والسلسلة ب المتعلقة بأمناء الأسواق

[1] لقد تجسد ذلك في أطروحة دكتوراه في علم الإجتماع بعنوان " المجتمع القبلي و تأثير التحولات الإقتصادية و الإجتماعية بأقصى الجنوب التونسي شبه جزيرة جرجيس نموذجا " كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية بتونس 1999 في 600 صفحة .

والسلسلة د المتعلقة بالطرق الصوفية وشيوخ الزوايا وأئمة المساجد والسلسلة E المتعلقة بالبنية الأساسية والتجهيز و المجال العسكري و التعليم . وأرشيفات جمعية الأحباس التي أسسها " خير الدين " سنة 1875 و التي إستمر نشاطها إلى سنة 1957 تاريخ حل الأحباس في تونس من طرف الحكومة التونسية في تلك الفترة وقد إحتوت جملة من الوثائق المتعلقة بجرجيس وهي رسوم زاوية الصياح قرب جرجيس ،رسوم جامع سيدي مصدق ، رسوم عموم أوقاف جرجيس ، رسوم جامع الحصار ، رسوم أوقاف جامع الحشر بجرجيس ، رسوم أوقاف زاوية سيدي عبد القادر بالمؤانسة ، رسوم أوقاف سيدي منصور بالمؤانسة ، رسوم جامع مسلم بالسويحل و معوضات أحباس جرجيس ضمن جريدة في بيان ما يحسن تفويته بالمعاوضة السريعة .و الأرشيفات المخزونة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس في شكل ميكروفيلم وهي عبارة عن نسخ من وثائق محفوظة أصولها بأرشيفات وزارة الحرب الفرنسية بقصر فنسان بباريس و أرشيفات جهاز المخابرات الفرنسية و ماوراء البحار المحفوظة أصولها بأكس أن بروفانس و نشير بصفة خاصة إلى سلسلة Notice sur les tribus. ووثائق مركز الدراسات العليا حول الإدارة الإسلامية وهو المركز الذي أنشأته الأدارة الفرنسية بهدف تجميع المعلومات ودراسة المجتمعات العربية و الإسلامية الواقعة تحت نفوذ فرنسا الإستعماري أو ضمن مجالها الحيوي قد أنجزت ضمنه العديد من الدراسات و المذكرات حول أقصى الجنوب التونسي و جهة جرجيس و لا تفوتنا الإشارة إلى وثائق بعض المؤسسات مثل ضيعة سيدي شماخ قبل أن يقع تأميمها من طرف الإدارة التونسية و أرشيفات بعض العائلات التي عثرنا لديها على وثائق هامة مثل شجرة نسب الولي سيدي الصياح الشريف المغربي . كما نشير في هذا الإطار إلى أهمية بعض المصادر التي وفرت لنا معلومات عن جهة جرجيس أثناء العصر الوسيط و خاصة أدب الرحلات من ذلك صورة الأرض لإبن حوقل و رحلات كل من الإدريسي و البكري و التيجاني وبعض البحوث والكتابات التي تناولت العصور القديمة مثل كتابات " تيسو " و" دونو" و" لوبوف " وغيرهم أثناء الفترة الإستعمارية و بعض البحوث الأركيولوجية المعاصرة التي نشرها الباحث " علي درين ". إن إستعراضنا لهذه المصادر الجديدة التي تكتسي أهمية خاصة في كتابة التاريخ المحلي لا يهدف فقط إلى إبلاغ القارئ المتخصص أننا نقوم بتوظيف آليات منهجية و علمية هي نتاج لتواصل الحقول المعرفية و تداخلها وهو ما تستوجبه جدية و مصداقية البحث العلمي التاريخي و الإجتماعي و إنما إضافة إلى ذلك نبتغي منذ البداية التأكيد من ناحية على أن كتابة التاريخ المحلي أمر قابل للإنجاز رغم عسر هذه المهمة و صعوبتها و من ناحية أخرى تفنيد الإدعاء الإستعماري القديم والذي لا يزال حاضرا في أذهان كثير من الأجيال اللاحقة من أن المجتمعات المحلية ومن ذلك مجتمعنا المحلي العكاري بجرجيس لا تمتلك تاريخا خاصا بها ولا تعيش حراكا إجتماعيا حقيقيا وإن كل ما تمتلكه هو موروث شفوي تختلط فيه الحقيقة بالأسطورة و أن هذه المجتمعات لا تزال تشكل صفحة بيضاء بالنسبة

للحضارة ، حتى أن عامل الأعراض " يوسف الليقرو" عندما أرسل بمكتوب إلى الميقم العام الفرنسي سنة 1889 يطلب إعادة فتح المدرسة الفرنسية – العربية للذكور بجرجيس وصف أهالي جرجيس بأن قابليتهم للفرنسية كبيرة خاصة و أنهم لا يتكلمون اللغة العربية و إنما يستعملون االلهجة العامية .

إن هذا الكتاب الذي قمنا فيه بدور المؤرخ رغم إختصاصنا السوسيولوجي يمثل حلقة ضرورية ضمن حلقات البحث الهادف إلى تشكيل نسق فكري ــ لاشك أنه لن يكون نهائيا ــ حول المجتمع المحلي بجرجيس في محاولة لإخراج هذا المجتمع من دائرة " الظل العلمي " وهي الخاصية التي طبعت مسيرته أثناء فترة طويلة من الزمن و ما يمثله ذلك من مدخل يهدف إلى الإجابة على كثير من الأسئلة المتعلقة بأصول السكان و إنتماءاتهم العرقية و ممارساتهم الثقافية و تنظيمهم الإداري و أنماط عيشهم و أنشطتهم الإقتصادية و مستويات الملكية لديهم هذا علاوة على علاقتهم بالسلطة المركزية و موقفهم من الإحتلال الفرنسي. في نهاية هذه المقدمة لابد من الإشارة إلى أن هذا العمل يرمي إلى إعادة طرح الأسئلة و الإشكاليات قبل الإجابة عليها .

الفصل الأول

شبه جزيرة جرجيس :

مدخل تــــــــــــــــــاريخي

تنقسم المراحل التاريخية التي مرت بها شبه جزيرة جرجيس إلى أربع وهي ما قبل التاريخ، العصور القديمة، العصر الوسيط وفترة الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

I ـ فترة ما قبل التّاريخ (1)

يشير بعض المؤرخين إلى أن آثار الحياة البشرية ببلاد المغرب وفي الجزء الشرقي منه بدأت منذ العصر الجيولوجي الرابع القديم أي منذ نصف مليون سنة، يتجلى ذلك من خلال العثور على قطع من الحجارة المستديرة المنحوتة في منطقة عين برمة بالجنوب التونسي (2) وقد عمت حضارة الحجارة ذات الوجهين فيما يطلق عليه بالعهد الآشولي أي منذ ثلاث مائة ألف سنة في منطقة الجنوب الغربي التونسي (3) وفي العهد الموستيري ظهرت بالمغرب حضارة الشظايا الحجرية التي جاءت متأخرة بالنسبة لأروبا وتركت مجموعة من الآلات من شظايا ومكاشط واسعة من الحجارة، وتميّزت بلاد المغرب بظهور الحضارة العتيرية منذ 30 ألف أو 20 ألف سنة (4). وتجدر الملاحظة إلى أن الدراسات القليلة التي إهتمت بمنطقة جرجيس في فترة ما قبل التاريخ لم تشر إلى الفترات التي سبقت العصر القفصي، فالوجود البشري لم يترك لنا آثاره إلا بداية من هذه الفترة وذلك من خلال دراسة عدد من اللقي الأثرية التي اكتشفها "بارتويزو" "Perthuisot" في سبخة المالح جنوب مدينة جرجيس والتي من بينها مجموعة من النصال Lamelles ورؤوس السهام وأدوات دقيقة من حجر الصوان وهو ما يؤكد صحة الفرضية القائلة بأن سبخة المالح والسباخ الأخرى كانت عامرة بالسكان ولو نسبيا أثناء العصر الحجري الحديث ذي التقاليد القفصية (4000 سنة ق.م) (5) ويتدعم هذا الرأي بوجود "صدف الحلزون والرماد والأدوات المصنوعة من الصوان وبقايا بيض النعام، التي اعتبرها المؤرخون بمثابة الدليل القاطع على تواجد السكان في فترة ما قبل التاريخ خاصّة بسبخة المالح المشار إليها سابقا، كما أن هؤلاء السكان

---

1 يتعرض الباحث إلى عدة صعوبات هي غياب الدراسات التفصيلية التي تتناول منطقة جرجيس في فترة ما قبل التاريخ فبإستثناء الاشارات التي أوردها كل من "علي درين" و"علي مطيمط" في دراساتهما التي سنتعرض لها لاحقا فإن المنطقة تعتبر غير مدروسة. في هذا المجال يمكن الاستفادة من الموسوعة التاريخية الصادرة في ليبيا سنة 1977 عن دار التراث والتي شارك في صياغتها عدد كبير من أساتذة التاريخ العرب والأجانب وتحمل عنوان تاريخنا في 6 مجلدات.

2 الشريف (محمد الهادي) تاريخ تونس سراس للنشر تونس 1993 ص 13

3 نفس المرجع والصفحة

4 نفس المرجع والصفحة

– أطلقت تسمية الحضارة العتيرية نسبة إلى بئر عتير الواقع جنوب تونس بحوالي 80 كلم.انظر تاريخنا مرجع سابق ج1ص 46

5 درين (علي) تاريخ شبه جزيرة جرجيس من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة البيزنطية كتاب شبه جزيرة جرجيس عبر التاريخ نشر جمعية المحافظة على التراث بجرجيس سيتمبر 1995 ص 21.

كانوا يستفيدون من مواد بحرية توفرها بحيرة كبرى، تتطابق حسب بعض المؤرخين مع بحيرة البيبان(6).

ويلاحظ بعض الباحثين أن الحضارة القفصية قد شهدت تطورا هاما في فن نحت الحجارة وصناعة الآلات الحجرية (7) متأثرة بالحضارات الشرقية القادمة من منطقة النيل (8) مقتبسة منها تقنيات الفلاحة وتربية الحيوانات دون التفريط في العادات القفصية وأنماط العيش القائمة على القنص وجني الثمار (9)، إلا أن البلاد التونسية ومنطقة المغرب العربي عامّة شهدت بروز حضارات أخرى مثل حضارة العهد البرنزي المتميزة باستعمال الغيران الصخرية الضخمة وما يسمى ب" الحوانيت" أي القبور المحفورة في الصخر" (10) وهي مرحلة سبقت فترة بروز الحفريات الشرقية التي بدأت تظهر عن طريق البحر منبئة بقدوم الفنيقيين من الشرق.

II ـ العصور القديمة

يقسم المؤخون التاريخ القديم إلى أربع فترات رئيسية وهي الفينقية ـــ القرطاجية، الرومانية ،الوندالية والبيزنطية. لكن لابد من الإشارة إلى أننا سنقتصر على التعرض إلى فترتين رئيسيتين وهما الفترة الفينيقية ـ القرطاجية والفترة الرومانية دون إهمال بقية الفترات رغم ثانويتها بالنسبة للمنطقة المدروسة.

1 ـ الفترة الفنيقية ـ القرطاجية :

ترك الحضور الفنيقي (أو البونيقي) في منطقة شمال افريقيا – ومنها البلاد التونسية– أثرا كبيرا خلال فترة تاريخية بأكملها امتدت طيلة ألف سنة كاملة من أواخر الألف الثانية حتى سنة 146 قبل ميلاد المسيح أي إلى تاريخ هدم قرطاج وحرقها من قبل الإمبراطورية الرومانية (11). فوصول البحارة

---

6 مطيمط (علي) جرجيس ضمن محطات في رحلة التاريخ كتيب صادر بمناسبة مائوية بلدية جرجيس أوت 1989 ص 24

7 الشريف تاريخ ...مرجع سابق ص 14

8 العروي (عبد الله) : مجمل تاريخ المغرب المركز الثقافي العربي ط4 ج1 الدار البيضاء 1994 ص 45.

9 الشريف تاريخ ... مرجع سابق ص 14

10 نفس المرجع ص 15

11 الشريف تاريخ... مرجع سابق ص 17.

الفنيقيين لسواحل شمال إفريقيا صاحبه دخول هذه المنطقة بداية مرحلة التاريخ المكتوب ويستمد الحضور الفنيقي أهميته من كونه يمثل بداية دخول المغرب في التاريخ المكتوب (12). و بالرغم من ذلك فإن صورة الفنيقيين ستكون أكثر وضوحا بعد إبراز الملامح العامّة للفترة الفنيقية القرطاجية التي أصبحت معروفة في المصادر التاريخية الكلاسيكية وفي أعمال بعض المؤرخين المعاصرين، فقد بدأت هذه المرحلة التاريخية بتأسيس أهل "صور" القادمين من الشرق لمراكز تجارية على السواحل الإفريقية منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد (13).

ودون الدخول في تفاصيل دقيقة حول انتصاب الفنيقيين بشمال إفريقيا لا بد من الإشارة إلى أن مدينة قرطاج التي سيكون لها تأثير كبير على تاريخ إفريقيا الشمالية والعالم في فترة الألفية الأولى قبل الميلاد لم تكن سوى إسكلة متواضعة بين سائر المراكز التموينية والتجارية الساحلية الأخرى (14) لتتحول إلى مدينة ذات شأن عظيم، يجمع أغلب المؤرخين أنها تأسست سنة 814 قبل الميلاد وقرطاج في اللغة الفنيقية القديمة "قرط" حدشت" أي المدينة الحديثة أسستها عليسة أو (ديدون) حسب التسمية الرومانية (15). لقد تميّز الفنيقيون بنشاطهم البحري والتجاري، وفي سواحل البلاد التونسية ظهرت عدّة مستوطنات فنيقية-قرطاجية نذكر منها أوتيكا (Utica) التي توجد غرب قرطاجة، هيبوأكرا (HippoAcra) (بنزرت) ونيابوليس (Neapolis) (نابل) وهادرو ميتوم (Hadramatum) (سوسة) ولبدة الصغرى(Lepcis minor) (لمطة). وأسّس الفنيقيون-القرطاجيون عدّة مراكز أخرى في منطقة خليج قابس نذكر منها نجدتايناي(Thaenae) (هنشير تينا قرب صفاقس) تكباي (Tacapae) (قابس) وجقتي (Gigthis) (بوغراة) وزوخيس (Zouchis) (16) أو المدَيْــنة، المدينة الأثرية التي كانت توجد جنوب بحيرة البيبان(17). وغير بعيد عن المدينة (Zouchis) أي في وسط شبه جزيرة جرجيس على بعد 9 كلم من شاطئ البحر تصف لنا المصادر التاريخية المدينة الأثرية المعروفة باسم زيطا Zitha

---

12 وارمنجتون (ب.هــ) العصر القرطاجي ضمن تاريخ افريقيا العام ج 2 ص 453.

13 جوليان (شارل أندري) تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر ج1 1983 ص 85

14 نفس المرجع ص 86

15 انظر جوليان ... المرجع السابق ص 86، الشريف تاريخ ... مرجع سابق ص 18.

16 وارمنجتون العصر ... مرجع سابق ص 458.

17 هي الآن بمثابة المنطقة الأثرية وقد أطلق عليها إسم Zouchis نسبة إلى بحيرة البيبان التي كانت تسمى" Lac de Zouchis" حسب الجغرافي اليوناني Strabon وأطلقت عليها تسمية أخرى وهي Tariahae وهي كلمة لاتينية تعني الملح خاصة أن هذه المدينة وجدت قرب سبخة المالح المعروفة بإنتاجها للملح انظر في هذا المجال:

Drine (Ali) : Le site d'elmdeina au sud d'el biban, la « Zouchis » de strabon Reppal VII - VIII Institut national d'archeologie et d'Art. Tunis 1994 P103

أو زيزا التي وقع تأسيسها من قبل الفينيقيين فوق الهضبة المعروفة بـــ "هنشير الزيان" (79 مترا فوق سطح البحر)، ويمكن إرجاع تأسيس مدينة زيطا من قبل الفنيقيين فوق الهضبة المعروفة باسم هنشير زيان إلى محاولتهم مراقبة المسالك المؤدية إلى مدينة مينكس جنوب شرق جزيرة جربة. وغربا نحو مدينة جقتي (بوغرارة) وجنوبا في اتجاه لبدة الكبرى (Lepcis magniai) بليبيا مرورا ببحيرة البيبان وصبراته (18). تنتمي مدينة زيطا إلى الجهة الساحلية للجنوب الشرقي التونسي قديما والتي تعرف في القديم باسم "منطقة سرت" La rgion de syrtes التي تنقسم بدورها إلى منطقتين، سرت الصغرى (La petite Syrte) المطابقة لخليج قابس، وتبدأ من جزيرة قرقنة إلى رأس زيطا (يسمى حاليا رأس مرمور) وسرت الكبرى (Grande syrte) المطابقة لسواحل ليبيا الحالية التي تمتد من مصراتة حتى مذابح الفيلان Autels des philenes غرب مدينة بنغازي الليبية (19).

دأب المؤرخون على تسمية المنطقة الموجودة بين سرت الكبرى وسرت الصغرى ــ ومنها شبه جزيرة جرجيس ــ بالأمبوريا (Les Emporia) وهي كلمة فنيقية تعني "الأسواق" أو "المصارف التجارية" أو المناطق الخصبة (20). وتشمل زيادة على بعض الموانئ والمدن الساحلية جزءا من الأراضي الداخلية المطابقة لسهل الجفارة الحالي.

تتميز منطقة الأمبوريا قديما بأهميّة موقعها الجغرافي وبثرائها ذلك أن هذا الموقع يمكنها من مراقبة القوافل الصحراوية القادمة من إفريقيا السوداء وواحات غدامس المتجهة شرقا نحو الموانئ المحدثة على طول الشريط الساحلي لخليجي سرت الكبير وسرت الصغير التي استغلتها قرطاجة كمصدر تموين (21). وقد عرفت منطقة الجنوب الشرقي التونسي في العهد الفينيقي بكونها منطقة عبور ونقطة إلتقاء الطرقات والمسالك الآتية من الشمال والقاصدة الجنوب نحو صبراته ومصر والشرق عموما، وكان إنتاج الزيوت والخمور وإستغلال منتوجات البحر كالسمك المجفف والملح واستخراج الصباغة من صدف الأرجوان وهي صناعة اشتهر بها وأتقنها الفينيقيون قديما (22).

لقد أدرك المؤرخون أهمية تواجد الفنيقيين ونشاطهم في منطقة الجنوب الشرقي التونسي وجهة جرجيس، المنطقة الأثرية المعروفة بهنشير "زيان" والتي بدأ الاهتمام بها منذ منتصف القرن التاسع عشر

---

18 درين تاريخ شبه ... مرجع سابق ص 24
19 نفس المرجع ص 22
20 نفس المرجع والصفحة، أنظر كذلك وارمنجتون... مرجع سابق ص 458.
21 درين... المرجع السابق ص 25
22 نفس المرجع والصفحة

الميلادي، فقد زارها الرحّالة الألماني بارت في شهر مارس من سنة 1846، وصف معالمها بدقة، كما قام Pellisier القنصل الفرنسي بسوسة بزيارة خاصة إلى مدينة زيان الأثرية سنة 1848 أين عثر على عدة تماثيل من الرخام، وزارها "فيكتور قيران Victor Giran" في مارس 1860 وسمّاها مدينة زيان، وفي سنة 1903 قام الضابط تريبالي Tribalet بحفريات تمكن على إثرها من العثور على نقيشة ترجع إلى الفترة البونية الحديثة Neo-punique وتخبرنا عن وجود معبد مخصص للإلاه دقان Dugan، وفي سنة 1905 قام الضابط بوشار Bauchard، بحفريات تمكن على إثرها من اكتشاف معبد كان مخصّصا للآلهة كايلستيس Siacelest وهي آلهة رومانية قرطاجيّة أخذت مكان Tanit آلهة قرطاجة (23). والجدير بالملاحظة هو أنّ أهمّ أثر بوني بجهة جرجيس قد وقع اكتشافه حديثا من قبل الباحث الأثري "علي درين" سنة 1988 ويتمثّل ذلك في العثور –على وجه الصدفة– على 185 قطعة أثريّة تتكوّن كلها من مجموعة من الأنصاب النذرية من الحجر الرملي من نوع رجيش أو "الشخش" كما يسميه أهالي جرجيس، كانت الأنصاب موضوعة في منخفض من الأرض جنوب المدينة الأثرية من الأرجح أنها مهداة إلى بعل حمون إلاه قرطاج، وتحتوي أنصاب هنشير زيان البونية على رسوم عديدة ومتنوّعة من بينها العلامة المنسوبة لإلاه قرطاج تانيت (24).

2 – العهد الرّوماني :

لقد إختلف المؤرّخون في تقسيم العهد الروماني، فمنهم من إعتبر سقوط قرطاج سنة 146 ق م قد عاد بالفائدة على دولة نوميديا التي مثلت العائق الأكبر أمام التوسع الروماني (25)، ويؤيّد هذا الرأي "عمار المحجوبي" الذي يرى أنه ليس من السّهل تحقيق "إحتلال البلاد" أو ما يسمى في لغة الاستعمار – تلطيفا للعبارة– "بتهدئة البلاد" فقد قوبل إنتشار الرومان جنوبا وغربا من إقليم قرطاجة السّابق بمقاومة عنيدة (26)، ولم تمنع حركة المقاومة توسع الرومان في شمال إفريقيا، ذلك أن ممالك الرومان في

---

23 نفس المرجع ص.24-25

- Drine (A) Note sur le site de Zitha (Hr Zian) A Zarzis in Reppal VI Institut National d'Archeologie et d'Art 1991 P18

انظر أيضا :

Queyrel (F) De Paris à Zian Identification d'un Groupe julio-Claudien Antiquités africaines C.N.R.S Paris,1993, p 74.

24 درين تاريخ ... مرجع سابق، ص25.

25 جغلول (عبد القادر) مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط دار الحداثة بيروت ط 2 1988 ص 19

26 المحجوبي العصر الروماني ... مرجع سابق ج 2 ص 475.

البداية لم تتجاوز الشّمال الشّرقي التونسي (27) وهو ما جعل روما تكتفي بالإشراف على تسيير الشؤون الدّاخلية للسكان والحفاظ على الأمن وجمع الضّرائب والإشراف على استثمار الضيعات الكبرى (28) لقد استمرّ هذا الوضع ما يقارب القرن إلى أن أطلق "يوليوس قيصر" في أواسط القرن الأوّل قبل الميلاد العنان "لاستعمار المقاطعة الإفريقية " (29) التي ستشهد ظهور مستعمرات رومانيّة عديدة منها مستعمرة قرطاج، مما شجع على تجدد حركة المقاومة التي كانت في شكل حروب تشنها نوميديا دفاعا عن نفسها أمام التوسع الروماني(30). والحرب المعروفة أكثر من غيرها هي التي خاضها الزّعيم النّوميدي تكفاريناس (Tacfarinas) ضد الرومان والتي استمرّت ثمانية أعوام وامتدّت إلى كل المناطق الجنوبية لشمال إفريقيا من طرابلس حتى موريطانيا (31).

ويعتبر بعض المؤرخين المعاصرين هذه الحرب بمثابة الصراع بين الحضارة و"العالم البربري" (غير المتحضر) وهي كذلك محاولة من البدو وأشباه البدو من السكان المحليين لوقف التقدم الروماني وعمليّة الاستيطان (32)، وقد مكنت هزيمة الرومان القائد النوميدي تكفاريناس من التواجد الروماني نهائيا بالمنطقة وذلك بعد أن انتصب معسكر الفيلق الروماني بمنطقة حيدرة (الجنوب الغربي التونسي الحالي) وشن حملات حربية عنيفة ضدّ القبائل المتمرّدة أو تلك التي تهدد بالتمرّد (33).

أصبحت منطقة "إفريقيا" الرومانية تسمى مقاطعة "البروقنصلية La proconsulaire" التي ضمت أراضيها في الجنوب الشرقي السّهل السّاحلي الذي يحتوي طرابلس حتى مذابح الفيلان (34) التي يتولّى

---

27 الشريف تاريخ ... مرجع سابق ص 26

28 نفس المرجع والصفحة.

29 نفس المرجع ص 27

30 بعد أن كانت علاقة روما ونوميدياعلاقة تحالف أدت إلى إسقاط دولة قرطاج نهائيا أصبحت علاقة حرب وصراع من أجل السيطرة والتوسّع.

31 المحجوبي العصر الروماني ... مرجع سابق ص 479.

32 نفس المرجع والصفحة.

33 الشريف تاريخ ... مرجع سابق ص 27

34 المحجوبي العصر ... مرجع سابق ص 479، بالرجوع إلى خريطة "المستعمرات" الرومانية الواردة في موسوعة تاريخنا –السالفة الذكر جزء 3 ص 58 نلاحظ أن حدود مقاطعة إفريقيا المعروفة بالبروقنصلية من الناحية الشرقية هي وسط خليج سرت الحالي وليس هياكل الفلاليين أي بنغازي الحالية كما يذهب إلى ذلك الأستاذ عمار المحجوبي في المرجع السابق، فبنغازي تنتمي إلى مقاطقة أخرى تعرف باسم قورينة.

الإشراف عليها "بروقنصل" يقع اختياره من طرف "أصحاب الرتب العالية من بين أعضاء مجلس الشيوخ الرّوماني" (35).

لقد وقع تقسيم افريقيا البروقنصلية الى ثلاث ولايات وهي ولاية زغوان (zeugitana)، ولاية بيزاكيوم (Byzacium)، أما الولاية الثالثة فهي طرابلس التي تضم الشريط الساحلي الممتد من تكابي (قابس) الى مذابح الفلانيين (36) . لقد اهتم الباحثون في مجالي علم التاريخ والأثار بمنطقة الجنوب الشرقي التونسي منذ منتصف القرن التاسع عشر (37) مبرزين أهمية المواقع الأثرية التالية :

- مينانكس Meninx (القنطرة)

- هاربوس Haribus (قلالة)

- تباش Tipasa (آجيم)

وهي مواقع أثرية موجودة في جزيرة جربة

- جكتي Gightis (بو غرارة)

- زيتا Zitha (زيان) قرب جرجيس (38).

35 يتمتّع "البروقنصل" الروماني بعدة سلطات، فبالإضافة لسلطاته القضائية التي كان بمقتضاها القاضي الأعلى للولاية في كل من القضايا المدنية والجبائية، يتولى السّلطات الإدارية والمالية وكان يراقب السلطات الإدارية والمحلية، ويبلّغها بالقوانين والتنظيمات الإمبراطورية وكان يشرف على تنفيذ المشروعات العامّة الكبرى، ويعتمد الإنفاق وقد مارس السيطرة العليا على الإدارة المسؤولة عن امداد روما بالقمح الإفريقي، وعلى فاعلية النظام الضريبي الذي كانت حصيلته مخصصة لخزانة مجلس الشيوخ الروماني.

- انظر المحجوبي العصر الروماني ... مرجع سابق ص 479.

36 المحجوبي العصر ...نفس المرجع ص 484

37 نذكر من هذه البحوث :

Pellissier (E) Description de la régence de Tunis, Edition Bouslama 1980

وقع طبع هذا الكتاب عدة مرات بعد أن ظهر لأول مرة في بداية النصف الثاني من القرن الماضي

Guerin (V) Voyage en Tunisie Paris 1862/2T

- Reinach (S) Babelon (E). Recherches archeologiques en Tunisie. Bulletin archeologique 1886.

38 Le Boeuf (J) La colonisation romaine de l'extrême-sud Tunisien. Revue Tunisienne1904. P358.

من بين هذه االمواقع الأثرية سنتعرض إلى مدينة زيطا (زيان) الأثرية والظروف التاريخية "لرومنتها " باعتبارها في الأصل مدينة فنيقية (39) وعلاقتها بمحيطها. لقد ورد إسم زيطا في بعض المصادر الجغرافية القديمة نذكر منها ما أورده (بطولما) Ptolemée من حديث عن رأس زيطا (الذي يطابق رأس مرمورحاليا) منذ النصف الأول من القرن الثاني ميلادي (40) وفي "مسلك انطونان L'Itineraire d'Atonin" في أواخر القرن الثالث الميلادي ورد اسم قنطرة زيطا Pont Zitha (41) كما وقع استعمال تسمية Zitha Municipium أو زيزا ZIZA في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي فيما يعرف لدى علماء الآثار" بلوحة بوتنجير La carte de Peutinger" (42). أما الدراسات التي ظهرت بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقد إكتفت في البداية بوصف التماثيل الرخامية التي كانت موجودة في مدينة زيان الأثرية أو الاشارة إليها أو العمل على نقلها الى متاحف فرنسا كما هو الحال بالنسبة لـ "بيليسيي Pellissier " (43). وقبل ذلك بسنوات زار منطقة زيان الرحالة الألماني "بارت Barth" الذي وصف منطقة جرجيس مع إبراز أهمية المدينة الأثرية دون التمكن من وصفها بدقة (44)، وآحتوت دراسة "ريناخ Reinach" و"بابلونBabelon " إشارة الى بعض التماثيل الرخامية التي كانت ملقاة فوق بعضها البعض، ومحاولة دراسة هذه المدينة وإبراز معالمها التي بدأت تظهر وذلك باكتشاف الساحة العمومية "الفوروم Le Forum" (45)، وهي المركز الحيوي في كل مدينة هامة تحيط بها عادة مباني عمومية تهتم بالشؤون القضائية والسياسية والدينية وحسب نفس المرجع فإن ساحة زيطا (زيان) كانت مستطيلة الشكل ذات أرضية مبلطة تحيط بها أروقة من ثلاث جهات (46)، وتزداد المدينة أهمية من خلال النقائش الأثرية وتمثال الامبراطور كلود (41 – 54 م) وبوجود

---

39 يدل على ذلك إسمها المشتق من كلمة الزيت في اللغة الفنيقية القديمة.
أنظر في هذا المجال :

Tissot (charles) Geographie comparée. Imprimerie nationale 1888 Tome II P 206

40 درين تاريخ ... مرجع سابق ص 27

41 Queyrel (F) : De Paris à Ziane...op cit, p 74.

42 نفس المرجع والصفحة، أنظر كذلك

- Tissot geographie... op cit p 204

43 قام Pellissier الذي كان يشتغل في خطة قنصل فرنسا بسوسة بنقل ما لا يقل عن 10 تماثيل رخامية الى متحف اللوفر بفرنسا وكان ذلك سنة 1851 ، أنظر :

- Queyerel de Paris ... op cit p 76

44 نفس المرجع ص ص 74-76

45 Reinach (S) Babelon (E) Recherches Archeologiques ...op.cit p42

46 تخطيط ساحة المدينة Le Forum كما ورد في المرجع السابق الذكر نفس الصفحة وقد أورده كل من :

- Queyrel de Paris ... op.cit, p75 ; Drine, Note sur le Site ... op.cit, 30.

خمسة تماثيل لأشخاص من وجهاء المدينة (47)، مما مكن زيطا من الحصول على رتبة بلدية Zitha municipium (48) وما يعنيه ذلك من التمتع بنوع من الحكم الذاتي الذي يتطلب بدوره وجود جمعية شعبية ومجلس شيوخ محلي يتكون من حوالي مائة عضو يكونون مجلسا بلديا من الأعيان (49). و بالاضافة الى أهميتها الجغرافية فإن زيطا قد لعبت دورا اقتصاديا، فقد إشتهرت هذه المدينة بترويج الملح الذي يقع استخراجه من سبخة المالح (50)و بإنتاج الخمور إلا أن الصناعة الرئيسية التي تميزت بها منطقة زيطا منذ القديم هي إنتاج وترويج الزيوت خاصة وأن المنطقة عرفت عبر مختلف العصور بثراء غابة زيتونها، ونظرا لأهمية انتاج الزيت بزيطا القديمة فقد وقع احداث قناة تربط المدينة بالميناء القديم الذي يوجد على بعد 2 كلم جنوب مدينة جرجيس ثم يقع حملها في جرار مخصصة للتصدير (51) وأحدث أهالي مدينة زيطا ميناء ثانيا يعرف (بالمرسى القديمة أو الرصيفات حاليا). ويقول "عبد المجيد الذويب" أنه مرسى زيطا مع أنه يبعد عنها بمسافة إثني عشر كلم، وكان ذلك الميناء يربطها عبر بحر بوغرارة بمدينة جكتي (52) كما ترتبط مدينة زيطا الرومانية بكل من جزيرة جربة (ميناكس) عبر الطريق الرومانية المعروفة "بطريق الجمل" (53) مرورا بقنطرة زيطا (المعروفة حاليا بسيدي شماخ) والتي أصبحت تعرف بـ Le municipe de Pont Zitha (54) أي بلدية قنطرة زيطا وقد عثر الضباط الفرنسيون عند تعبيدهم الطريق الرابطة بين شماخ والقنطرة الرومانية سنة 1909 على نقيشة تخبرنا أن والي المقاطعة البروقنصلية لسنة 113ميلادي أمر ببناء كبيتول Capitol ببلدية قنطرة زيطا (شماخ الحالية).

---

47 درين، تاريخ... مرجع سابق ص 27.

48 Tissot géographie... op.cit, p 204.

49 المحجوبي... العصر الروماني، مرجع سابق ص 490.

50 حسب Tissot مرجع سابق ص 204 فإن الأهالي كانوا يسمونها سبخة القرقابية Karkabia

51 أنظر في هذا الشأن :

Le Boeuf, La colonisation romaine... op.cit, p360 ; Drine, Note sur le site de Zitha...opcit. p 20 ; Douib, La région de ZarzisD E S S Paris sorbonne 1955 p 37; Tisso Geographie...op cit, p 206.

يتفق كل من Le boeuf وDouib على وجود قناة لحمل الزيت من مدينة زيطا إلى ميناء جرجيس القديمة هي أقرب إلى الأسطورة ولا تؤكدها معطيات الواقع وعلى عكس من ذلك يرىTissot أن وجود مقاطع للزيت coupée de l'huile بميناء جرجيس القديم يدل على صحة الأسطورة.

52 ذويب (عبد المجيد) : جرجيس : دائرة المعارف التونسية بيت الحكمة قرطاج كراس عدد 1990/1 ص 73

53 Tissot op ...cit p 203

– يبدو أن طريق الجمل هي القنطرة الرومانية القديمة التي وقع ترميمها في بداية الخمسينات وهي الطريق الوحيدة الرابطة بين جزيرة جربة واليابسة.

54 Douib, La région ...op cit. p 37.

لقد استمر التواجد الروماني إلى سنة 429 م وهي السنة التي عرفت نزول الوندال بطرابلس، فقد كانت الامبراطورية الرومانية تفقد مواقعها نتيجة مقاومة القبائل وتحالفها ضدها مما أدى إلى تقلص رقعة الأرض الخاضعة للسلطة الرومانية خاصة في المناطق التي تمر بها القوافل التجارية الصحراوية مما أدى إلى ركود المبادلات التجارية بين الصحراء والموانئ الساحلية.

رغم بقاء الحكم الوندالي في شمال إفريقيا وخاصة الساحلية منها لأكثر من ثمانين سنة فإن المؤرخين لا يشيرون إلى أهمية هذه الفترة أو إلى آثار واضحة تركت في الجنوب الشرقي لتونس بصفة خاصة سوى بعض النقود المتداولة في جهة قابس وبداية من سنة 533 م تشير المراجع التاريخية إلى تمركز البيزنطيين بشمال البلاد التونسية وسواحلها الشرقية فقد ذكر المؤرخ "شارل ديهل Charles Dihel" أنه ابتداء من قابس حتى قوْرينة (منطقة طرابلس) فإن الوجود البيزنطي قد إقتصر على إمتلاك الطريق الاستراتيجية المحاذية للسواحل وعن نفوذ صوري لدى القبائل الداخلية.

وقد ورد إسم جرجيس Gergis في كتاب المؤرخ البيزنطي "بركوب Procope" (في القرن السادس الميلادي)، وعن آثار الفترة المسيحية والبيزنطية التي سبقت الفتوحات العربية الإسلامية فلم يتمكن علماء الآثار إلا من إبراز البعض منها فقد عثر" ميرلان Merlin " على بقايا الكنيسة المسيحية بهنشير زيان، كما تمكن الباحث "علي درين" من العثور على نقيشة باللغة الإغريقية بالمدينة جنوب بحيرة البيبان تتعلق بمعلومات عن الطقوس الدينية الميسحية خلال الفترة البيزنطية [55].

بانتهاء الفترة البيزنطية ودخول منطقة جرجيس ضمن المناطق التي وقع فتحها إسلاميا ستبدأ مرحلة جديدة ذات خصائص مختلفة. لكن قبل ذلك سنتوقف عند بعض الملاحظات الضرورية وهي :

– رغم الدراسات التي ظهرت متناولة منطقة جرجيس وأقصى الجنوب التونسي في العصور القديمة فإن أعمال البحاثة الأروبيين قد خضعت لخلفيات إيديولوجية واضحة في محاولة لربط الخط المنقطع بين الحضارات الأروبية القديمة (الرومانية والبيزنطية خاصة) والإستعمار الأروبي (الفرنسي منه خاصة) الذي أخذ على حد تعبير Le Boeuf مكان الإستعمار الروماني في منطقة الأمبوريا Le Emporia أي المناطق الخصبة مستعملة المرافىء وغابات الزيتون في تكابي (قابس) ميناكس (جربة) زيطا (جرجيس) .[56]

---

55 درين تاريخ ... مرجع سابق ص ص 28 -30

56 Le Boeuf, La colonisation ... op cit, pp 364 - 365

تعتبر المعلومات المتوفرة حول منطقة أقصى الجنوب التونسي وجرجيس في العصور القديمة بصورة عامة محدودة جدا فلا تزال هذه المعلومات المتوفرة هي ما تركه الضابط الفرنسي الذي قام بدور الباحث التاريخي(57). أما الدراسات والبحوث أثناء الخمسين سنة الأخيرة فتكاد لا تذكر، وهو ما دفعنا إلى الإقتصار على إبراز أهم المحطات التاريخية بالنسبة لجهة جرجيس في القديم مع إبراز خصائصها العامة.

III- جرجيس من الفتح الاسلامي إلى الإحتلال الفرنسي

1 - من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن السادس عشر :

لم يجد المؤرخون أية صعوبة في دراسة منطقة شمال إفريقيا عامة وإفريقية على وجه الخصوص منذ بداية الفتح اللإسلامي، خاصة فيما يتعلق بالمراحل الكبرى بل إنه أمكن القيام بدراسات تفصيلية دقيقة(58). إلا أن منطقتنا المدروسة لا تزال تشكو من فراغ علمي كبير على مستوى البحث التاريخي بالنسبة للفترة الممتدة من بدايات الفتح الإسلامي الى القرن الثاني عشر الميلادي(59) وهي حقيقة يواجهها كل من يهتم بدراسة هذه المنطقة نظرا لضعف الدرسات التي تتناول هذه الفترة، فما هي الأسباب المؤدية لهذا الفراغ ؟

سنكتفي بقبول الفرضية التي تنتهي إلى أن شبه جزيرة جرجيس قد عاشت فراغا تاريخيا منذ الفتح الإسلامي الأول إلى حدود القرن الثاني عشر الميلادي تحت تأثير القبائل السليمية والهلالية الوافدة إلى المنطقة منذ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، فبعد أن كانت المنطقة موطن إستقرار لقبائل بربرية مثل لواتة وزواغة ودمر وهي القبائل المسيطرة على سهل الجفارة. أصبحت الهيمنة في أيدي بني هلال ثم أولاد دباب من بني سليم وتحديدا المحاميد والحمارنة والنوايل (60).

---

57 من هؤلاء الضباط نذكر :

- Rebillet Le bahira d'Elbiban et Medeina, Bulletin ArcheoLogique 1892; Donau autour de gigthis Bulletin archeologique 1920 ; Le Boeuf , La colonisation ...op cit.

58 نذكر على سبيل المثال الدولة الأغلبية لمحمد الطالبي و الدولة الصنهاجية للهادي روجيه إدريس (بالفرنسية) نقله إلى العربية حمادي الساحلي دار الغرب الإسلامي بيروت 1992 والأمثلة كثيرة .

59Douib (A) : La région de Zarzis...op cit p 38

60 حسن (محمد) علاقة الأرياف بالمدن بالمغرب العربي من نهاية الدولة الموحدية إلى بداية العهد العثماني أطروحة دكتوراه الدولة كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بتونس 1995 ص 283.

ـ أنظر كذلك حسن (محمد) : الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي مجلة المستقبل العربي عدد 72 بيروت الشهر

ولم تتوضح معالم المنطقة (و لو جزئيا) إلا من خلال ما جاء في أدب الرحلات. لكن قبل التعرض إلى ذلك يمكن الإستفادة مما ورد في الذاكرة الشعبية من أن الفتوحات الإسلامية الأولى قد تركت أثرا صغيرا تمثل في وجود مكانين يطلق عليهما "المصلى" والمقصود بذلك المكان الذي أقيمت عليه الصلاة واستعمله الفاتحون الأوائل كنقطة انطلاق، يوجد الأول في مدخل منطقة "الجدارية" (بحيرة البيبان) على بعد 15 كلم من جرجيس في اتجاه بنقردان أما الثاني فيوجد في منطقة "خلف الله" على بعد 20 كلم من جرجيس في اتجاه مدنين ربما يتأكد هذا الرأي من خلال ما أورده الباحث التاريخي "محمد حسن" الذي يعتبر أن الجنوب الشرقي لإفريقية كان منطقة عبور للجيوش الإسلامية في العصر الإسلامي(61).

لقد قام الرحالة "أبو عبيد البكري" في القرن الحادي عشر الميلادي بوصف منطقة "الجنوب الشرقي التونسي"، ففي حديثه عن الطريق بين مدينة طرابلس وقابس يصف لنا هذا الرحالة مدينة صبرة الليبية باعتبارها بلدا تقطنه قبيلة زواغة ومباشرة إثر ذلك ينتقل إلى الحديث عن مدينة قابس دون الإشارة الى أي معلم أو قصور أو تجمعات سكنية أخرى قد تكون موجودة على طول الطريق بين طرابلس وقابس التي يعتبرها "البكري" مدينة جليلية مسورة بالصخر الجليل من بنيان ذات حصن حصين وأرباض وأسواق وفنادق وجامع سري وحمامات كثيرة (...) وحوالي قابس قبائل من البربر لواتة ولماية ومزاتة وزواغة(62). كما يحدثنا "البكري" أيضا عن جزيرة جربة التي يقول أنها على مقربة من قابس وتحتوي على بساتين كثيرة وزيتون كثير وأهلها مفسدون في البر والبحر وهم من الخوارج(63).

أما "الإدريسي" وهو رحالة بدوره زار نفس المنطقة فقد قدم لنا معلومات أكثر دقة وتفصيلا مما ذكره "البكري" حين يحدثنا عن رأس الأودية (منطقة الجرف المقابل لجزيرة جربة) وعن قصور الزرات وقصر بني ذكومين وقصر الهرى ، ويشير الإدريسي أيضا الى قصر جرجيس الذي يقع في الجنوب الشرقي لجزيرة جربة (64) ويستعرض بعد ذلك مجموعة كبيرة من القصور الواقعة على طول تلك المنطقة ذات السباخ الممتدة من جانبي الحدود التونسية الليبية الآن. ويوجد قصر بني الخطاب على تخوم سباخ الكلاب من المغرب (65) الذي يفصله عن قصر شماخ (66) جون صلب الحمار الذي يعتقد"

الثاني 1985 ص 75.

61 حسن علاقة الأرياف ... مرجع ص 283.

62 البكري (ابو عبيد) : المسالك والممالك، قدم له ادريان فان ليوفن وأندري فيري، الجزء الثاني، بيت الحكمة قرطاج، الدار العربية للكتاب 1992، ص ص 665 -662.

63 نفس المرجع ص 668.

64 صادق (محمد الحاج) المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي ص 173
Co- dition public sud 1983

65 صادق المغرب ... مرجع سابق ص - ص 173 - 174.

برنشفيك " أنه يتطابق مع بحيرة البيبان وغير بعيد عن قصر شماخ (أي في الأراضي الليبية الحالية) كانت توجد سلسلة أخرى من القصور وهي قصر صالح الذي انقرض في القرن الرابع عشر، وقد كان متصلا بلسان أرض معروف بالاسم القروسطي والحديث "قرطيل أو رأس المخبز"(67)، وكان يمثل مرفأ ممتازا بالقرب من ملاحة مشهورة. وفي الجهة الشرقية تقع بلدة كبيرة، هي بلدة زوارة الآهلة بسكان من الخوارج المتزمتين والمنقسمة الى زوارة الصغرى أو بلد المرابطين وزوارة الكبرى المعروفة أيضا باسم كوطين (68).

كما يحدثنا الإدريسي عن جزيرة زيزو (69) التي يقابلها قصر بني الخطاب المذكور سابقا وهي جزيرة صغيرة جدا وفيها نخل وكروم (70)، وفي وصفه لأهل الجزيرة ذكر الإدريسي بانهم قوم نكار خوارج في الاسلام مذهبهم الوهبية (71) كما هو الحال بالنسبة الى سكان المنطقة الساحلية من طرابلس

- برنشفيك (ربار) تاريخ إفريقية في العهد الحفصي تعريب حمادي الساحلي دار الغرب الاسلامي
بيروت 1988 ج 1 ص 351.

- إدريس (الهادي روجي) الدولة...مرجع سابق ص 67

66 صادق المغرب ...مرجع سابق ص 174.

- برنشفيك تاريخ افريقية... مرجع سابق ص 351.

- نعتقد ان جون صلب الحمار هو عبارة عن تل مستطيل يسمى حاليا الصلب (نلاحظ تطابقا في الاسم) ينقسم الى جزئين الصلب الشرقي أو البراني والصلب الغربي أو الدخلاني، وبين الإثنين توجد جزيرة البيبان ومن المحتمل أن يكون قصر شماخ (الذي اندثر حاليا) في تخوم الصلب الشرقي (الحدود الليبية حاليا) أما قصر بني الخطاب فمن المحتمل أن يكون قد وجد على تخوم الصلب الغربي.

67 صادق المغرب ... مرجع سابق ص 174، برنشفيك تاريخ افريقية ... مرجع سابق ص 351

68 – برنشفيك تاريخ افريقية ... مرجع سابق ص 351. وانظر ايضا :

- Tissot Géographie... op cit p 210.

69 حسب برنشفيك هي جزيرة أو شبه جزيرة زيزو أو ريزو المغمورة نصفيا بالمياه، وقد كان نصفها يستعمل كإسقالة للزوارق. برنشفيك تاريخ ... مرجع سابق ص 351.

- يبدو أن هذه الجزيرة قد غمرها البحر كليا وأصبحت تسمى "رأس دزيرة" لدى بحارة جرجيس وقد اجتهد و Servonnet Lafite في تحديد موقعها حسب خريطة تقريبية قاما بوضعها وقد توصلا إلى أن موقع الجزيرة كان بين بحيرة البيبان وجرجيس في عمق البحر ويقابل موقعها سبخة المالح التي كانت تسمى "سبخة الكلاب" وتتطابق مع Banc Dzira كما ورد في كتاب :

- La fitte (F) ; Servonnet (J) Golf de Gabes Paris 1888 P 263

- أنظر في نفس الكتاب الخريطة عدد 4.

70 صادق المغرب ... مرجع سابق ص 172

71 يقدم لنا محمد حسن قراءة مستفيضة حول المذهب الخارجي الذي اعتنقه السكان البربر بالجنوب الشرقي التونسي وخاصة بجبل نفوسة وبجزيرة جربة ومصطلحا النكاروالوهبية ظهرا في منطقة جبل نفوسة ثم إنتشرا بالمناطق الساحلية وجزيرة جربة وهي تعبيرات دينية مذهبية ذات أبعاد سياسية إرتبطت بالموقف من "عبد الوهاب بن رستم"، فالنكارهم الذين أنكروا إمامة "عبد الوهاب بن رستم" اما الوهبية فهم أنصار هذا الأخير، لكن كثيرا من علماء الأباضية يعتقدون أن التسمية

الى جزيرة جربة(72) ومن خصوصيات سكان جزيرة زيزو "الخوارج" أنهم لا يماسح ثوب أحدهم ثوب رجل غريب، ولا يمسه بيده، ولا يؤاكله، ولا يأكل له في آنية إلا أن تكون آنية محفوظة لا يقربها أحد سواه، ورجالهم ونساؤهم يتطهرون كل يوم عند الصباح ويتوضؤون، ثم يتيممون لكل صلاة، وإن إستقى عابر سبيل من مياه آبارهم وعاينوه، طردوه، واستخرجوا ذلك الماء من البئر، وثياب الجنب لا يقربها الطاهر، وثياب الطاهر لا يقربها الجنب، وهم مع ذلك كله ضيافون يطعمون الطعام ويسالمون الناس في أموالهم وفيهم عدالة بينة لمن نزل بهم(73).

ومن الرحالة الذين وصفوا "الجنوب الشرقي التونسي" أيضا الرحالة "التيجاني الذي زار المنطقة في سنة 1307 م (74) أي في بداية القرن الرابع عشر الميلادي وحسب الخريطة التقريبية التي أوردها "قراقب" في دراسته السالفة الذكر فإن التيجاني أثناء رحلته قد دخل جزيرة جربة عبر منطقة الجرف و"أجيم" وعند عودته مر "بدخلة عكارة" أي شبه جزيرة جرجيس (75) متجها الى سواني خلف الله (76) المنسوبة الى رجل من مرابطي الأعراب إسمه "خلف الله الأحمدي" وهو من تلامذة الشيخ "ابي عيسى العموري" كان قد أسس مسجدا للصلاة وأحي أرضا مواتا، لكن ذلك لم يتحقق نتيجة كثرة فساد "مواشي العربان" التي يأتي بها أصحابها بحثا عن البقول (77). ويشير" التيجاني" في موضع آخر من رحلته الى السبخة المفضل ملحها على جميع السباخ (المعروفة لدينا بسبخة المالح القريبة من جرجيس) مما جعل أهل البلاد وتجارها يختارون ملحها (78).

غير مرتبطة بعبد الوهاب بن رستم وانما هي نسبة الى عبد الله بن وهب الراسبي احد زعماء الخوارج بالمشرق. أنظر : حسن (محمد) حول الجذور الإجتماعية والسياسية والبشرية للفرق الأباضية الموجودة بالجنوب التونسي في بداية العصر الوسيط ضمن كتاب أعمال الملتقى الأول حول تاريخ جربة المعهد القومي للآثار 1986 ص 4

72 Tissot geographie ... op cit p p 210 - 211

– كانت جزيرة جربة في القرن الرابع هجري تنقسم الى قسمين : – قسم يعرف بالوهبية ورئاستهم من بني سمومن وأرض هذه الفرقة هي الجزيرة من الجهة الغربية، وقسم ثان يعرف بالنكارة ورئاستهم من بني عزون وأرضهم بالجهة الشرقية.
– أنظر التيجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد) رحلة التيجاني الدار العربية للكتاب 1981 ص 123

73 صادق المغرب ... مرجع سابق ص 173 ، – هذه الصفات التي أوردها الإدريسي بالنسبة لسكان زيزو تتطابق مع سلوكات سكان جزيرة جربة. أنظر التيجاني... مرجع سابق ص–ص 123-124.

74 Gragueb (A) : Notes sur le voyage de Tijani dans le sud tunisien, Les cahiers de Tunisie, n°93 - 94, 1er et 2ème trimestre 1976 p 31.

75 نفس المرجع ص 33

76 خلف الله هو اسم قرية تبعد عن جرجيس حوالي 20 كلم في اتجاه مدنين وحسب الرواية الشعبية فان هذه القرية تحتوي على مقبرة ل 10 أشخاص هم من صحابة الرسول (ص) قدموا الى المنطقة مع جيوش الفتوحات الإسلامية الأولى .

77 التيجاني الرحلة ... مرجع سابق ص 132، حسن علاقة ...مرجع سابق ص 220

78 التيجاني الرحلة ... مرجع سابق ص 206

2- جرجيس من الاحتلال الإسباني إلى الاحتلال الفرنسي :

مع نهاية القرن الرابع عشر الميلادي وهو القرن الذي شهد رحلة التيجاني السالفة الذكر بقيت إشارات الرحالة والجغرافيين محدودة أو منعدمة في كثير من الأحيان إلى أواسط القرن السادس عشر الميلادي تاريخ إحتلال سواحل شمال إفريقيا من قبل الجيوش الإسبانية.

أ ـــ فترة الإحتلال الإسباني :

أشار المؤرخون الى أن هذه الفترة التاريخية مرحلة عابرة في تاريخ تونس، فالاحتلال الإسباني لم يستمر طويلا، بالرغم من المعاهدة التي وقع توقيعها في 6 أوت 1535 بين " مولاي الحسن" و" شارل كانت " التي بموجبها أصبحت السواحل التونسية الممتدة من طبرقة الى البيبان ملكية إسبانية إبتداء من سنة 1540 (79). وبمحاولتنا قراءة المعطيات وتفحصها يبرز لنا أن هذه المعاهدة كانت إختيارا ناجحا من القوات الإسبانية لفتح جبهة صراع جديدة مع الدولة العثمانية في شمال إفريقيا. ولم يغادر الإسبان منطقة شبه جزيرة جرجيس إلا سنة 1560 وهي السنة التي شهدت هزيمة "جان دولا سيدرا دوق دوميدنا الصقلي Jean de Cedra Duc de Medina Coeli " في جزيرة جربة على أيدي قوات "درغوث باشا" التركي الذي تحالف مع الأهالي (80). ولا تشير البحوث التاريخية الى وقائع مميزة لجهة جرجيس في فترة الإحتلال الإسباني باستثناء إشارات عابرة نذكر منها ما ورد في دراسة "بابي" السالفة الذكر من أن جرجيس هو قائد سكان شبه الجزيرة الذي مات بعد أن قاد حركة مقاومة عنيفة ضد الإحتلال الإسباني الذي إستمر لفترة طويلة (81) كما أن بحيرة البيبان كانت تحتوي على مركز قمرقي في نهاية القرن السادس عشر الميلادي (82). كما شهدت نفس الفترة ظهور جد قبيلة عكارة الولي " سيدي الصياح " و أبنائه وهو ما سيساهم في تشكيل بناء إجتماعي و تاريخي جديد .

---

79 Bailly,Notice sur les Accara. Archive de l'armée de terre, Chateau de Vincene, Paris 1887, p2

- Historique de l'annexe des Affaires indigenes de Zarzis Bourg 1931, p5.

ـــ بوعزيز (يحي) مقاومة جربة للغزوات الأروبية في القرن السادس عشر أعمال الملتقى حول تاريخ جربة ... مرجع سابق ص 58 .

80 نفس المرجع والصفحة، Historique de l'annexe de Zarzis ... OP cit P6.

81 إستقى" بابي" هذه الرواية من الموروث الشفوي المتداول في منطقة جرجيس في نهاية القرن الماضي وقد كان يشك بدوره في مدى صحة هذه الرواية : أنظر bailly Notice...op cit P2، وقد أصبح متأكدا لدينا الآن ان جرجيس لا ترجع –من حيث التسمية– الى هذا القائد الأسطوري بل تعود الى عصور سابقة كما اشار الى ذلك الادريسي وتعرضنا الى ذلك سابقا

82 البشروش (توفيق) الدايات في تونس نشر مجموعة أيام الناس 1992 ص 29

ب ـ منطقة جرجيس قبيل الإحتلال الفرنسي :

بعد أن ساد غموض جديد في تاريخ شبه الجزيرة المقترن بتواجد العثمانين بداية من سنة 1574 ، أمكن إعتبار صعود " علي باي " إلى كرسي الحكم في الأسرة الحسينية له أهمية خاصة لدى قبلية عكارة أثناء الأزمة التي إندلعت في شهر فيفري سنة 1728 بين "علي باشا" وأنصاره الذين وقعت تسميتهم بالباشية وأولاد حسين بن علي الملقبين بالحسينية (83)، فقد كان عكارة في صف الحسينية، آزروا أولاد حسين بن علي برا وبحرا، لكنهم إنهزموا هزيمة نكراء في جزيرة جربة أمام الباشية (سنة 1735) ثم أدركهم النوائل وهم قبيلة ليبية باشية (84)، كانت في صراع مستمر مع أهالي جرجيس فقتلوهم تقتيلا ذريعا وأجلوهم من شبه الجزيرة، فتفرقوا قاصدين نواحٍ متعددة (ضواحي طرابلس، بني معقل في جزيرة جربة، والساحل التونسي والوطن القبلي وأرياف بنزرت) ولم يعودوا الى جرجيس إلا بعد إنتصار الحسينية النهائي في عهد علي باي (1759 - 1782) (85) الذي بنى لهم برجا محاطا بخندق (معزز بخمسة عشر مدفعا تعلوه قنطرة معلقة) (86) لحماية أهالي جرجيس من إعتداءات القبائل المجاورة (87) خاصة وأن هذا البرج تميز بطابع عسكري منذ تأسيسه (88) حيث إنتصبت به فرقة عسكرية من عسكر زواوة (89) الذين هم من المشاة بالعسكر التونسي ويرجع أصلهم إلى مدينة زواوة(90) التي يصفها " إبن أبي الضياف "قائلا :" هي من أعظم قبائل البربر وأشدهم بأسا حتى أن جبلهم لم تصله يد الترك بالجزائر وفيه ما يحتاجونه من الضروريات والمزارع والسلاح والبارود ولهم تعظيم قوي لأهل الشرف

83للإطلاع على تفاصيل هذه الأزمة يمكن الرجوع الى : الشريف تاريخ ... مرجع سابق ص 84

84 ابن أبي ضياف (أحمد) : اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان كتابة الدولة للشؤون الثقافية تونس 1963 ج 2 ص 113 ، في هذه الفترة برزت نزعة الصفوف فانقسمت القبائل التونسية والطرابلسية الى صفي يوسف وشداد، اي الباشية والحسينية.

85 ذويب (عبد المجيد) جرجيس كتاب شبه جزيرة جرجيس عبر التاريخ ... مرجع سابق ص 66

86 نفس المرجع والصفحة

87 يبدو ان هذه الفترة قد شهدت صراعا بين قبيلة عكارة وقبيلة الحمارنة من اجل السيطرة على شبه جزيرة جرجيس، وتشير الروايات الشفوية المتداولة في المنطقة الى إحتكام القبيلتين الى الباي الذي مكن عكارة من هذه المنطقة، وربما يتاكد هذا الراي من خلال ما ورد في الكتاب الباشي من ان حي الحمارنة كان على فراسخ من جرجيس.- أنظر الكتاب الباشي للعلامة الوزير الحاج حمودة بن محمد بن عبد العزيز تحقيق الشيخ محمد ماطور الدار التونسية للنشر 1970 ج 1 ص 52

88 كان برج جرجيس يسمى "برج الحصار"، وهذه التسمية متداولة في الوثائق الرسمية للدولة ومن قبل الأهالي ومصطلح الحصار، مأخوذ من اللغة التركية القديمة ويعني القلعة أو الحصن أنظر : حسن (الفقيه حسن) حملة نابولي على طرابلس 1828م/1244ه منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي 1978- ص 12

89 الكتاب الباشي... مرجع سابق ص 48

90 بن طاهر (جمال) الفساد وردعه الردع المالي وأشكال المقاومة والصراع بالبلاد التونسية (1705-1840) منشورات كلية الآداب منوبة 1995 ص 66

والفضل والصلاح، إلا أنهم أبعد الناس عن أخلاق الحضارة وحسن التريث وطاعة الأمراء، مع أن شجاعتهم لا يستطيع المنكر جحدها"(91).

ويعتمد على عسكر زواوة في الحروب الداخلية والخارجية وفي حراسة قصر باردو وبعض الحصون والقلاع وبالعاصمة كالجبل الأخضر وببعض جهات البلاد كطبرقة والجريد وجربة (92) وبرجي جرجيس والبيبان أين تعمل حامية (أونوبة) متكونة من 51 من الجنود و12 من الضباط من الفرقة العسكرية المذكورة وقد إهتمت السلطة العسكرية بهذين البرجين وإصلاحهما نظرا لإحتلالهما موقعا حدوديا من ناحية الحدود الطرابلسية(93). ولدورهما في حماية مرسى جرجيس وأماكن إقتناء الملح بسبخة المالح(94).

من المهام التي أنيطت بعهدة حامية زواوة بجرجيس هي حماية البرج وجمع الضرائب فقد كان أهالي جرجيس يدفعون ضريبة كانت غايتها في البداية تغطية تكاليف بناء البرج، ولكنها بعد ذلك تواصلت لتصبح ضريبة قارة يدفعها كل سنة أهالي جرجيس للباي. وبالإضافة إلى ذلك يدفع سكان جرجيس الضرائب العادية المتمثلة في المجبى الذي يعرف بأنه قسط يدفعه كل رب عائلة من المقدار المالي الموظف على المجموعة، فالضريبة تدفع على الذكور البالغين وعلى ما يملكونه من أرض أو حيوان وتتراوح هذه الضريبة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بين 4 و15 ريال، إلا أنه في غالب الأحوال وفي ظل غياب إحصاء للرقاب والأملاك فإن المجبى تنقلب إلى مقدار مالي جملي تدفعه المجموعة (95) وقد ورد في دفاتر الجباية أن أهالي جرجيس يدفعون 2740 ريال (96) وتحدثنا نفس الدفاتر عن وجود أداءات إضافية مثل "العيدية" وهي معاليم يتقاضاها القائد والمشائخ والرجال الكبار في مناسبات العادات، كما يوجد نوع من المجبى خاص بالمحظوظين الذين تعتمد عليهم الدولة لتجسيد نفوذها، ففي معظم جهات الإيالة نجد حق "خيل العادة " بينما في منطقة أقصى الجنوب التونسي هناك

---

91 ابن أبي الضياف الإتحاف ...مرجع سابق ج 3 ص 157

92 بن طاهر الفساد... مرجع سابق ص 66

93 بن بلغيث(الشيباني) : الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882) منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان - كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس 1995 ص ص 124 و127. - نجد في جرجيس بعض العائلات التي تحمل لقب الزواوي وأخرى تحمل لقب آغا (رتبة عسكرية) وهي عائلات سليلة الجنود والضباط الذين عملوا في عسكر زواوه.

94 الشريف (محمد الهادي) مجتمع أقصى الجنوب التونسي وعلاقته بالبايليك في القرن الثامن عشر من خلال وثائق الأرشيف الوطني كتاب شبه جزيرة جرجيس ... مرجع سابق ص 40

95 الشريف مجتمع أقصى الجنوب ... مرجع سابق ص 40

- Largueche (D.B) à Watan Al Mounastir, Faculté des Lettres Manouba 1993, P. 119,

96 الشريف، مجتمع أقصى الجنوب ... مرجع سابق ص 40.

حق "خدم العادة " (قرابة 40 ريال) بالنسبة للخادم لكن الرعية هي التي كانت تتحمل دفع هذا المقدار عوضا عن المحظوظين (97) كما توفر الرعية معلوم الدوايا (على الجرائم المقترفة في المنطقة) والخطايا الموظفة إما على الأفراد أو الجماعات وكمثال على ذلك فقد شهدت سنة 1771م فرض خطية مقدارها 3100 ريال على سكان جرجيس (عكارة) نظرا لفسادهم!(98) وقدرت الدية الواحدة في هذه الفترة ب 500 دينارا وكانت الدولة هي المستفيد من هذه الدوايا(99).

بداية من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي يصبح بإمكان الباحث أن يتعامل مع معطيات أكثر دقة ووضوحا، فأثناء زيارته إلى جرجيس سنة 1848 يصف لنا القنصل الفرنسي بسوسة "بلسيي Pellissier " الملامح العامة للبلدة الساحلية التي تتميز بإنتاجها البحري وبخصوبة غابة زيتونها وواحة نخيلها كما تخضع المجموعة القبلية المقيمة هناك لسلطة شيخ كما هو الحال بالنسبة لكل القبائل المجاورة، إلا أن الأمر مختلف هذه المرة فالسلطة تتكفل بها مرأة (100) تقود سكان جرجيس في صراعهم ضد القبائل الليبية (101)، لقد إستمر هذا الوضع إلى أن جاء "خير الدين باشا" الى هرم السلطة سنة 1873 وبذلك أصبح بالإمكان الحصول على معلومات من التقارير التي ترسل من طرف عامل الأعراض الى "الوزير الأكبر" المتعلقة بالأحداث التي تجد بالمنطقة بشكل أو بآخر، فقد رسم "خير الدين باشا " خطة إصلاحية شملت التقسيم العروشي والمجال الإداري المصاحب لهذا التقسيم ، وطبقا لذلك تم تعيين قاض بالمنطقة للفصل في القضايا التي لا تتطلب لجوء المتخاصمين الى مدينة قابس وذلك في 19 أكتوبر 1875 (102). ثم عين "خير الدين " سنة 1876 عدلين للشهادة بمرسى جرجيس وذلك لإعانة رايس المرسى في مهامه لمراقبة التبادل التجاري البحري وفي 30 ماي 1877 عين أمين وزن وأمين معاش لمراقبة حسن سير المبادلات بسوقي جرجيس والمؤانسة (103). وكما هو الحال بالنسبة لأغلب مناطق الإيالة

---

97 نفس المرجع ص 41.

98 نفس المرجع والصفحة.

99 الشريف مجتمع أقصى ... مرجع سابق ص 41، بن طاهر الفساد و ردعه الردع المالي و أشكال المقاومة و الصراع بالبلاد التونسية 1705 – 1840 منشورات كلية الآداب بمنوبة 1995 ص 45، الكتاب الباشي ...مرجع سابق ص– ص 367 – 368 .

100 هذه المرأة حسب Pellissier تسمى غالية وهي تسمية تتطابق مع ما تحمله الذاكرة الشعبية بجرجيس من أن إسم هذه المرأة هو "غالية القمودي جبنون" يقول Pellissier أنها شديدة الجمال وذات شعر طويل، ويعتبر أن الدور الذي تقوم به لا ينسجم مع طبيعة المرأة ودورها في المجتمع الشرقي.

Pellissier, Description ... op.cit, p165.

101 نفس المرجع والصفحة.

102 الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، مراسلات عمال الأعراض صندوق 42 ملف 479.

103 أ. و. ت السلسلة التاريخية ص 42 ملف 481.

فإن إجراءات "خير الدين" الإصلاحية قد إتسمت بالنجاعة وشهدت منطقة جرجيس إستقرارا نسبيا رغم ما يطلق عليها من أنها "بلاد الخوف" نظرا لوجودها في مجال حدودي تميز بالصراع المستمر بين القبائل. ولوحظ إنتظام نسبي في دفع الضرائب على عكس الفترة السابقة، التي تأثرت فيها جرجيس بنتائج الأزمة الإقتصادية التي شهدتها البلاد ما بين 1867 و1869 وكان وقعها شديدا على السكان مما أدى الى تضاعف اسعار المواد الأساسية مثل القمح والشعير والزيت أكثر من عشر مرات، وبلغ سعر اللحوم ريالين بعد أن كان لا يتجاوز 4 أو 8 خروبات للرطل (104). وكانت الأوضاع قد ازدادت تعقيدا وتأزما عندما إرتفعت نسبة الضرائب وعجز السكان عن تسديدها، فقامت السلطة بارسال حملات الى المنطقة لإستخلاص الضرائب المتأخرة وقام "علي بن خليفة" عامل الأعراض سنة 1868 بحملة ضد عروش ورغمة وعكارة قام فيها بإفتكاك عدد كبير من الماشية والإبل والقمح و سجن أربعين من فرسان عكارة بدون وجه حق. وبلغت هذه الأزمة ذروتها بتتالي سنوات الجدب وإنتشار الأوبئة والمجاعات ولقد سجلت جرجيس أثناء هذه الفترة تراجعا في عدد القادرين على دفع الضرائب من 1059 نفرا سنة 1859 إلى 670 سنة 1860 (105).

وكانت السلطة تطلق مصطلح "غوارة" على الرافضين دفع الضرائب مستعملة الحملات التأديبية ضد هذه الظاهرة، حيث تشير بعض تقارير عامل لعراض الى أن سنة 1874 شهدت وجود 33 مسجون من أهالي جرجيس ببرج قابس أي بنسبة 27,95 % من مجموع المسجونين (106). إن وجود نسبة هامة من مساجين سكان جرجيس ببرج قابس (رمز السلطة المركزية بالجنوب) يعتبر بمثابة المؤشر على وجود علاقة متوترة بين سكان جرجيس وخليفة الأعراض الذي يزعم أن أفراد قبيلة عكارة يطالبون أن يعين منهم خليفة ووكيل عشر الزيت، وأن العسكر الذين بعثهم الى مرسى جرجيس لترتيب "العسة" قد تعرض لهم عكارة (107)، وتشير إحدى الوثائق الى أن مشائخ جرجيس كانوا في طليعة المتمردين

- لقد وقع اختلاف كبير بين عرش أولاد بو علي والمؤانسة من سكان جرجيس فيما يتعلق بموقع السوق الأسبوعية بجرجيس. تشير الوثيقة عدد 164 من الملف 479 صندوق 42 السلسلة التاريخية الأرشيف الوطني التونسي الى أن قاضي جرجيس في تلك الفترة "حسن بن مصدق" أراد القيام بتحويل موقع السوق الى قصر المؤانسة قرب سكناه، ولكن شكاية نفر من عرش أولاد بو علي الى الوزير خير الدين جعل هذا الأخير يأذن لأمير اللواء حسين الجلولي عامل الأعراض بإبقاء السوق قرب برج جرجيس.

104 الأرشيف الوطني التونسي السلسلة التاريخية مراسلات عمال الأعراض صندوق 42 ملف 476.

105 نفس المرجع.

106 إن العينة المدروسة من المساجين تضم حوالي 86 مسجونا ببرج قابس من مختلف قبائل وعروش منطقة الأعراض (قابس وأقصى الجنوب التونسي). أنظر : بوزيد (لمجد) السجن والمساجين بجهة الأعراض 1868 - 1881 من خلال الأرشيف الوطني التونسي المجلة التاريخية المغربية عدد 77 - 78 زغوان ماي 1995 ص 20.

107 نفس المرجع والصفحة.

والداعين الى استعمال السلاح (البارود)(108). وحسب نفس الوثيقة فإن أهالي جرجيس قد امتنعوا عن دفع الضرائب، ولما قدمت عساكر الدولة المركزية لتراقب الحركة التجارية بمرسى جرجيس تعرض لهم أفراد هذه القبيلة ومنعوهم من حراسة الشاطئ وجاهروا بالإمتناع من الحكم وإتخذ بعض التجار الجرابة نفس الموقف المتسم بالرفض وكانوا يتاجرون بالحلفاء والحبوب والأسلحة تجارة غير شرعية إنطلاقا من مينائي جربة وجرجيس (109) خاصة و أن عكارة سبق لهم أعلنوا تمردهم عن السلطة المركزية عبر مشاركتهم في ثورة علي بن غذاهم سنة 1864 من خلال عمليات الإغارة والنهب التي قاموا بها في جزيرة جربة مشكلين إستثناءا بالنسبة للمجموعات المنتسبة إلى ورغمة ففي رسالة من عون بن أحمد الفورتي إلى مصطفى خزندار مؤرخة في آخر ذي الحجة من سنة 1280 ه (8 ماي – 5 جوان 1864) (أوردها توفيق البشروش في كتاب ربيع العربان) ما يلي :" و عكارة زادوا هجموا على مرست جربة في شقف مسوق لطرابلس ذمية و ركاب خذوا منه أيضا رزق ناس يعلم الله قدره عكارة يظهر منهم العيب أكثر من ورغمة " . كما أن إشتراء "ماتيي" القنصل الفرنسي بصفاقس وممثل شركة كولومب Colombe بمرسيليا لزمة "النشاف"، وتجهيزه ل 150 مركبا مختصة في صيد الإسفنج بجرجيس تعمل لفائدة الشركة الفرنسية (110) وبالتالي السيطرة على أهم نشاط إقتصادي بالمنطقة، ودمج لزمة النشاف في المحصولات، قد دفع أهالي جرجيس إلى رفض دفع لزمة المحصولات سنة 1879 وقد كان ذلك ردا عنيفا على اللجنة التي أصرت على تجميع هذه اللزمة بترخيص من خليفة جرجيس في ذلك الوقت "رحومة بلهيبة"(111). إضافة الى ذلك فقد إشتكى أهالي جرجيس إلى الوزير الأكبر مطالبين بتغيير السجن – فالسجن الحالي – بأحد بيوت برج جرجيس عبارة عن داموس مظلم يحتوي على رطوبة مضرة غاية الضرر لمن يسجن به ومسبب لأمراض كثيرة (112).

إن علاقة أهالي جرجيس بدولة البايات قد مرت بفترتين، تميزت الفترة الأولى بحماية علي باي 1759-1782 لأهالي جرجيس من إعتداءات القبائل المجاورة (الليبية منها خاصة)، وبإلتزام عكارة بدفع الضرائب بصفة منتظمة، أما الفترة الثانية فقد إنطلقت مع بداية القرن التاسع عشر إلى حدود إنتصاب الحماية الفرنسية سنة 1881 مع إستثناء سنوات حكم " خير الدين باشا"، ففي هذه الفترة برزت نزعة تمرد ترفض الإلتزام بقرارات السلطة المركزية من طرف كل من الأهالي والمشائخ (رموز السلطة...)

---

108 من بين هؤلاء المشائخ سالم بن بو شهيوة، الشيخ سالم بن معتوق، أحمد الكوت، ابراهيم الكوت، الحاج سعيد، محمد بن الصيد، الشيخ علي بو بطان والشيخ نصر بن عطية والشيخ مسعود عبيشو.
– الأرشيف الوطني التونسي السلسلة التاريخية صندوق 42 ملف 477 رسالة من علي بن مصدق.

109 نفس المرجع والصفحة..

110 Martel (A) Les confins saharo-tripolitaine de la tunisie PUF 1965 p160

111 الأرشيف الوطني التونسي السلسلة التاريخية مراسلات عمال الأعراض صندوق 42 ملف 482.

112 الأرشيف الوطني التونسي السلسلة التاريخية مراسلات عمال الأعراض صندوق 42 ملف 480.

وهو ما دفعنا إلى الإقرار بإنتماء منطقة جرجيس إلى " بلاد السيبة" أي عدم الخضوع للسلطة المركزية بشكل تام ونجد تأييدا لذلك في قول الدكتور "برتلون Berthelon ": "لقد وجدنا بين قابس وليبيا ما يشبه دولة بربرية تعيش شبه إستقلال" (113)، وإستمر هذا الوضع إلى حين مجيء الإستعمار الفرنسي الى المنطقة وتحويله لسكان جرجيس كما هو الحال بالنسبة لكل القبائل المتاخمة للحدود الليبية الى مناطق مخزنية تخضع بشكل تام للسلطة المركزية وتتكفل بحماية الحدود(114).

ج ـــ الإحتلال الفرنسي لجرجيس :

بموجب معاهدة باردو التي وقعها الباي في 12 ماي 1881 دخلت تونس تحت "الحماية الفرنسية" بالرغم من النداءات والإحتجاجات التي وجهها الباي الى الدولة العثمانية موضحا أن تونس وقع إحتلالها دون إعلان حرب، وفي نفس الوقت كان يكرر طلبات الإغاثة للسلطان العثماني قائلا " لقد وضعت مصيري ومصير الولاية بأيدي الصدر الأعظم والسلطان، إننا نسترحم بإسم الإنسانية المساعدة من جلالتكم .(115) إلا أن هذه النداءات لم تلق إستجابة، وهو ما جعل الحكومة تستسلم دون أدنى إعتراض (116) غير أن هذا الإستسلام جعل فرنسا تعتقد أنه بمجرد إحتلال المناطق الاستراتيجية في الشمال يمكنها أن تطمئن لوضعها في البلاد دون أن تتكلف جيشا جرارا (117) وبالتالي التخفيض من عدد عساكر الحملة الفرنسية على تونس قبل الالتجاء الى حل الفيلق العسكري للإحتلال في 26 جوان1881 ولم يقع الابقاء إلا على بعض الوحدات العسكرية القليلة العدد في كل من منوبة وعين دراهم (118). بيد أن الوضع الأمني لم يلبث أن تعقد في "المحمية" بعد إفصاح عدد غير قليل من قبائل الوسط والجنوب عن رفضها للإحتلال وتنديدها بخيانة الباي! وقد تزعم حركة المقاومة " علي بن خليفة " النفاتي عامل الاعراض السابق (119) وكانت الانطلاقة العنيفة لحركة المقاومة بعد انعقاد الاجتماع الهام للقبائل

113 Berthelon, La province de l'Arad, RevueTunisienne 1894 P 170.

114 أنظر في هذا الشان : لبيض سالم : قراءة في علاقة مجتمع عكارة بالسلطة المركزية بتونس بين 1850 – 1907 مجلة IBLA عدد 1996/1/177 ص – ص3 –35.

115 تشايجي (عبد الرحمان) المسألة التونسية في السياسة العثمانية 1881 – 1913 ترجمة عبد الجليل التميمي دار الكتب الشرقية 1973 ص –ص 126 –127.

116 إن الإستثناء لهذا الموقف ما عبر عنه أمير اللواء العربي زروق الذي إمتنع من التوقيع على معاهدة الحماية، وأجبر إثر ذلك على الإقامة بمنزله إلى أن هاجر إلى الإسكندرية ومنها إلى إستنبول. أنظر بنبلغيث الجيش التونسي ... مرجع سابق ص 213.

117 نفس المرجع ص 215.

118 Martel, Les confins ... op cit t1 p 226.

119 نفس المرجع ص 228.

الرافضة للإحتلال، في جامع عقبة بالقيروان في 15 جوان 1881. وضم الإجتماع إضافة الى "علي بن خليفة " مسؤولين عن مختلف القبائل مثل الحاج "حسين بن مسعي" قائد جلاص و"الحاج حراث " شيخ الفراشيش و" أحمد بن يوسف" قائد أولاد رضوان من الهمامة و"علي بن عمار" قائد سابق لأولاد عيار، وعبر الحاضرون عن عزمهم على مواصلة الكفاح الى النهاية وقرروا ربط صلات مستمرة مع حكومة طرابلس التي كانوا يأملون ان تتدخل في النزاع وقد أوفدوا إليها عددا من المبعوثين (120). وكان أمل هذه القبائل كبيرا في عملية تدخل عثماني إنطلاقا من طرابلس لإنقاذ الموقف وإعادة الشرعية (121)، وتحسبا لإمكانية إنزال عثماني على السواحل الجنوبية للإيالة، عمدت الجيوش البحرية الفرنسية الى محاولة التمركز تباعا بكل من صفاقس وقابس وجربة وجرجيس (122) فما هي مراحل إحتلال جرجيس وما هي أهمية ذلك بالنسبة للسلطات العسكرية الفرنسية ؟

يمكن إعتبار إحتلال جرجيس مدخلا لعملية عسكرية واسعة النطاق الهدف منها السيطرة على منطقة أقصى الجنوب التونسي، نظرا لما تمثله هذه المنطقة من أهمية إستراتيجية بالنسبة لقوات الإحتلال وأصبح ذلك ممكنا خاصة بعد سقوط كل من صفاقس وقابس مركزي المقاومة الرئيسيين(123)، وكذلك سقوط مدينة القيروان المدينة ذات الرمز الديني الكبير التي يمثل إحتلالها من الناحية الإستراتيجية والنفسية بداية نهاية حركة المقاومة (124).

لقد إحتلت القوات الفرنسية في البداية جزيرة جربة، ورغم النداء الذي وجهه قاضي "الخزور" لأهالي جربة "لصيانة الدين" والتأهب "لمقاتلة أعداء الله" في محاولة منه لإثارة المقدس الديني فإن عملية الإحتلال قد تمت دون مقاومة تذكر وذلك بالإتفاق مع خليفة الجزيرة وأعيانها الذين– وعلى عكس سكان

---

120 القصاب (أحمد) تاريخ تونس المعاصر 1881 – 1956 ترجمة حمادي الساحلي الشركة التونسية للنشر تونس 1986 ص-ص 25 -26، أنظر أيضا العيادي (توفيق) المقاومة الصفاقسية للإحتلال الإستعماري في سنة 1881 ضمن كتاب ردود الفعل على الإحتلال الفرنسي للبلاد التونسية في سنة 1881 منشورات المركز القومي الجامعي العلمي والتقني تونس 1986 ص 148.

121 المحجوبي (علي) إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس سراس للنشر 1986 ص-ص 48 -50.

—— لقد أرسلت السلطات العثمانية عدة فيالق عسكرية إلى ولاية طرابلس المتاخمة للإيالة التونسية، إلا أن الهدف الحقيقي لهذا الإنزال هو المحافظة على الأمن والسيطرة على القبائل الطرابلسية "المشاغبة " أنظر التشايجي المسألة التونسية ... مرجع سابق ص 151.

122 ليسير (فتحي) نجع ورغمة تحت الإدارة العسكرية الفرنسية 1881 -1939 شهادة التعمق في البحث كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بتونس 1991 ص 76.

123 الشريف (محمد الهادي) ردود فعل المدن التونسية على الإحتلال الفرنسي سنة 1881 وحدودها ضمن كتاب ردود فعل ... مرجع سابق ص- ص 190 -191.

124 بنبلغيث الجيش التونسي ... مرجع سابق ص 222.

صفاقس وقابس– إختاروا النظام الفرنسي ورفضوا "فوضى البدو" على حد تعبير مرتال المؤرخ الفرنسي الذي ذكر أن موفدا على أعيان عكارة قد وصل قرية أغير بجربة يؤمن دخول الفرنسيين الى جرجيس بدون مقاومة من الأهالي[125]، فقد بدأ موقف عكارة من عملية الإحتلال يتبلور منذ البداية في الوقت الذي كانت فيه مدينة صفاقس تعد لمقاومة الفرنسيين، وقد أرسل "علي بن خليفة " في منتصف شهر جوان من سنة 1881 مبعوثين الى قبائل ورغمة يطلب منهم الدفاع عن مصالح "المسلمين" ورغم مناصرة بقية القبائل واستجابتهم لهذا النداء، فإن رد قبيلة عكارة على ذلك كان سلبيا، بالرغم من تلقيهم المراسلة الثانية الأكثر إلحاحا من قبل خليفة الأعراض السابق، والتي حث فيها عكارة على عدم البقاء خارج التحرك العام الذي قام به إخوانهم من ورغمة. وفي هذه الفترة إنعقد ميعاد قبيلة عكارة (المجلس القبلي) لإتخاذ موقف تجاه الوضع الذي إستجد، وبتحريض من خليفة جرجيس "رحومة بلهيبة" الذي بين لأعضاء الميعاد أن الباي لم يقم بتشجيع حركة القبائل "المتمردة" وأنه وجه دعوة للسكان للهدوء والإنصراف لقضاء شؤونهم الخاصة، وقد استقر الرأي على ضرورة التريث ومراقبة الأحداث، التي أدت إلى سيطرة القوات الفرنسية على صفاقس في 16 جويلية 1881 ودخولها قابس في 25 جويلية 1881 وإستسلام جزيرة جربة نهائيا في الليلة الفاصلة بين 27 و28 جويلية 1881، ومباشرة اثر ذلك أي في يوم 28 جويلية ظهرت السفينة الحربية "ليوبار Léopard" أمام سواحل جرجيس تطلب من السكان الاستسلام، وفي الوقت نفسه كان زهاء 800 فارس من ورغمة يرابطون على تخوم جرجيس لإجبار الأهالي على مقاومة الفرنسيين [126]. أمام هذا الوضع وجد خليفة جرجيس نفسه بين فكي كماشة مدافع الفرنسيين من ناحية وبنادق ورغمة من ناحية أخرى [127]، فقام بدعوة ميعاد عكارة للإنعقاد مرة أخرى، الذي إرتأى ضرورة الخروج من هذا الوضع دون اثارة غضب هذا الطرف أو ذاك. وأوكلت هذه المهمة للخليفة "رحومة بلهيبة" الذي توجه إلى قائد السفينة وطلب منه إرجاء الإنزال كي يتسنى له اقناع فرسان ورغمة بالعودة على أعقابهم، وقد أمهله الضابط الفرنسي بضع ساعات، وتمكن من إقناع ورغمة بعدم وجود رغبة لدى الفرنسيين للإرساء على سواحل جرجيس، فامتثلوا لطلبه وغادروا تخوم واحة جرجيس [128]. وبنجاح خطة خليفة جرجيس، نزل الضابط الفرنسي مع بعض معاونيه لمعاينة البلدة وقضى ساعة كاملة في تفحص البرج وقصر البلدة، وهو قصر أولاد بو علي، وقد

---

[125] Martel les confins ... op cit t1 p 247 - 248.

[126] Bailly, notice... op.cit, p 14 ; Martel, ...op cit, T1, p 248 ; Historique op.cit, p 9.

– تتفق أغلب المراجع على أن عدد فرسان ورغمة قد حدد بـــ800 فارس والإستثناء الوحيد على ذلك ما ورد في المرجع الأخير الذي يحدد عددهم ب 1000 فارس.

[127] Martel, Les confins ... op.cit, T1, p 248.

[128] Bailly notice ... op cit p 16 ; Martel les confins ...op cit t1 p-p 248 -249 ; Le Boeuf historique de la conquête pacifique des territoires militaires in revue tunisienne 1907 p 121.

إنتهت زيارة الضابط الفرنسي بإصطحابه خليفة جرجيس والقاضي "حسن بن مصدق" والمفتي "محمد الجزيري" ورئيس المرسى "محمد بن بلقاسم كليش" إلى جزيرة جربة أين تقدموا بطلبهم إلى قائد الحملة العسكرية الفرنسية الأميرال "كورناد" المتمثل في عدم دخول القوات الفرنسية شبه جزيرة جرجيس خوفا من رد فعل "المتمردين" من ورغمة (129)، فوعدهم بذلك مع عرض هذا الأمر على القائد "الليقرو Allegro " الذي قبل يوم 3 أوت 1881 استسلام "عكارة" لقوات الإحتلال وقد إشترط عليهم تحمل أمن الجالية الأروبية المقيمة بجرجيس(130).

إذن ماهي الدوافع الحقيقية التي أدت إلى قبول عكارة التواجد الفرنسي وماهي ردود فعل القبائل المجاورة تجاه ذلك؟

نشير أولا إلى أن أغلب الوثائق الفرنسية التي تناولت تاريخ منطقة أقصى الجنوب التونسي قد أبرزت عملية إحتلال جرجيس باعتبارها حدثا له أهمية كبيرة، وهو موقف ينبع من الخلفية الإستعمارية التي أرادت التقليل من أهمية حركة المقاومة التي إندلعت في كل من صفاقس وقابس، في محاولة لإظهار شرعية الوجود الفرنسي، وما يمثله ذلك من تأثير إيجابي على القوات الفرنسية. وعلى عكس قبائل ورغمة الذين تصفهم بعض التقارير الإستعمارية بأنهم بدو محاربون من بلاد فقيرة يتصفون بقوة التدين (...) والتعصب ضد الأجانب (131) فإن عكارة قد عرفوا بطابعهم "اللين" ويعزى ذلك الى أسباب جغرا ـــ سياسية Geo-politique حيث مكنهم إنتصابهم على الساحل من التعامل التجاري مع الأجانب وقد أدى ذلك حسب الضابط الفرنسي "روبيي Rebillet" إلى إكتساب نوع من المواطنة العالمية "Cosmopolitisme" في طريقة تفكيرهم (132) على أرضية ميلهم للجدية والعمل المتمثل في غراسة الزياتين والنخيل والصيد البحري (133)، يعكس هذا الموقف التعاطف الكبير الذي أبداه الضباط الفرنسيون مع سكان جرجيس، والذي كان من نتائجه إستجابتهم السريعة والإيجابية للتعامل مع قوات الإحتلال في محاولة منهم للإستفادة من الأوضاع الجديدة، خاصة وأن قبيلة عكارة كانت متضررة نسبيا في الفترة السابقة على عملية الإحتلال، يتجسد ذلك من خلال مستويين، أما المستوى الأول فيتمثل في

---

129 Bailly notice ... op.cit, p 16.

130 Martel les confins ... op.cit, T1, p 249.

131 تقرير للضابط رافو ورد في كتاب القشاط (محمد سعيد) خليفة بن عسكر من الثورة إلى الإستسلام دار المسيرة بيروت 1988 ص 82.

132 Rebillet le sud de la Tunisie Gabès, 1886 p 109.

133 Bertholon, La province ... op cit, p 197.

كون عكارة نصف مستقرين على حد تعبير Berthelon (134) وهو ما يجعلهم عرضة لإعتداءات القبائل المجاورة بصفة مستمرة خاصة القبائل الليبية منها (النوايل، الصيعان، المحاميد، زوارة،) ولا يمكنهم ترك مجالاتهم كما تقوم بذلك أغلب القبائل البدوية، مما جعلهم يفضلون النظام الفرنسي على "فوضى الأعراب البدو". أما المستوى الثاني فيتمثل في أن سكان جرجيس كانوا يدفعون ضرائب مجحفة مقارنة ببقية قبائل الجنوب التونسي، وفي أغلب الأحيان فإن هذه الضرائب كانت تفتك بالقوة من طرف محلة دولة البايات. إضافة إلى ذلك فإن رفض أعيان جرجيس النداء الذي وجهه "علي بن خليفة" النفاتي للالتحاق بحركة القبائل الثائرة قد يعزى للماضي السيء لقبيلة عكارة مع عامل الأعراض السابق الذي شن سنة 1869 حملة ضد عروش ورغمة " قام فيها بافتكاك عدد كبير من الماشية والإبل والقمح والشعير وبسجن أربعين فارسا من فرسان عكارة بدون وجه حق" خاصة وأن البلاد كانت تمر بأزمة إقتصادية حادة في تلك الفترة . ويري "مرتال" أن الضغوطات الجبائية التي مارسها علي بن خليفة على القبائل وإفتقاده للشرعية الدينية حال دون إلتزام القبائل " المتمردة" بقيادته كما هو الحال بالنسبة "لغومة المحمودي "القائد الليبي" أو "عبد القادر " الزعيم الجزائري(135).

كما يمكن إرجاع رفض أعيان جرجيس لسند ورغمة ورغبتهم في القتال إلى إدراكهم للإختلال الواضح لموازين القوى بين القوتين المحلية والفرنسية ، ومعرفتهم بحجم القبيلة العددي الذي لم يكن يتجاوز 4000 نسمة في تلك الفترة من بينهم 1700 رجل فقط حسب الإحصائيات التي وردت في دراسة بايي(136)، وهو ما لا يؤهلهم للدخول في معارك عسكرية طرفها الثاني جيش يعد بالآلاف يعتمد وسائل وتقنيات متطورة، خاصة وأن منطقة جرجيس معروفة بفضائها الجغرافي المتكون من السهول وبعض الهضاب والتي لا تساعد بدورها على القتال.

و يمكن أن نضيف إلى هذه العوامل الموضوعية عاملا آخر هو الدور الذي قام به خليفة جرجيس في هذه الفترة من دعوة أعيان عكارة لقبول الواقع الجديد والإستسلام للقوات الفرنسية، خاصة وأن هذا الخليفة كان يتمتع بتأثير كبيرفي مؤسسة الميعاد، مما جعل بعض الكتابات تذهب إلى أن قرار عدم الإنضمام الى "المتمردين" من ورغمة لم يكن نتيجة مبادرة شخصية من طرف الخليفة وإنما هو موقف ميعاد عكارة (137). كما أن إستجابة "المتمردين" لطلب الإنسحاب وعدم الدخول في معركة مع

---

134 نفس المرجع والصفحة.

135 Martel les confins ... op cit, T1 p -p 433 - 434.

136 Bailly, Notice... op cit, p 56.

137 - Martel les confins ... op cit t1 p -p 248 -249 ; Le boeuf historique ... op cit p 122 ;

الفرنسيين يبدو في ظاهره بأنه نتاج لخطة خليفة جرجيس لكنه يعكس رؤية ذرائعية أرادت من خلالها عروش ورغمة الحفاظ على منفذ بحري بعد إحتلال كل من قابس وجربة (138) وعلى سوق جرجيس بعد أن منعوا من إرتياد سوق جربة، بدلا من الدخول في مواجهة عسكرية تبدو نتائجها غير مأمونة العواقب (139).لكن لابد من الإشارة إلى أنه لا يمكن إعتبار موقف عكارة من الإحتلال موقفا نهائيا ذلك أن الإنتصاب التدريجي للإدارة الإستعمارية بجرجيس سيولد ردود فعل متفاوتة التأثير والأهمية تتسم جميعها بالرفض والمقاومة .

د ـــ ردود فعل المجتمع المحلي العكاري تجاه الإحتلال الفرنسي :

تكمن أهمية جهة جرجيس مقارنة ببقية مناطق أقصى الجنوب التونسي في الإستقرار المبكر الذي شهدته قبيلة عكارة التي تقطن هذه الجهة وهي مصنفة ضمن المجموعات المستقرة ونصف المستقرة عند بدايات الإحتلال الفرنسي، لقد إنعكس هذا الوضع على موقف عكارة من عملية الإحتلال وذلك بعدم الإستجابة للنداء الذي وجهه " علي بن خليفة النفاتي " عامل الأعراض قبل سنة 1881 بالرغم من التفاعل الإيجابي مع هذا القائد من طرف أغلب القبائل التونسية، وبدلا من ذلك تفاعلت جهة جرجيس إيجابيا مع دخول الإستعمار من خلال موقف خليفتها " رحومة بلهيبة " الداعي إلى عدم الإغترار بموقف ثوار ورغمة الرافض لدخول الإستعمارو المحرض على المقاومة بعد أن برر هذا الخليفة موقفه بعدم تأييد الباي (وهو أعلى سلطة في البلاد) لحركة القبائل الرافضة، وأيد هذا الموقف بعض أعيان جرجيس. فهل يمكن تعميم هذا الموقف على كل أهالي جرجيس أم هو مجرد موقف محدود في الزمان إتخذته فئة معينة سترتبط مصالحها بقوى الإستعمار ؟

***ردود الفعل العفوية :** لقد بدأت ردود الفعل العفوية بجرجس من خلال بعض الأشكال الجنينية التي إتسمت بعفويتها خاصة تجاه إفتكاك المعمرين لأراضي الأهالي عند بدايات الإحتلال ، و كمثال على ذلك قام " ماتيي" و الأخوان " كرلتون " سنة 1888 بإفتكاك قطعة أرض كائنة بالأخيات على بعد تسعة كلمترات غرب جرجس قدرت مساحتها ب 230 هكتار ، كما قام عدد آخر من المعمرين بإفتكاك ما لا يقل عن 5000 هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة (140)، وقد قوبلت عملية إفتكاك الأراضي

– ليسير (فتحي) نجع ورغمة تحت الإدارة الإستعمارية الفرنسية أطروحة لنيل شهادة التعمق في البحث كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية بتونس 1992 ص 78 المرزوقي (محمد) صراع مع الحماية دار الكتب الشرقية 1973 ص 104.
138 Martel les confins ... op cit p 252.

139 ليسير نجع ورغمة ... مرجع سابق ص 79.

140 Violard (E) L'extrême sud Tunisien Tunis la rapide 1905 p-p 54 - 57 ;

بالرفض والاحتجاج حتى أن الفرنسي " فيولار" VIOLARD " علق قائلا " لقد كان على المعمرين أن يتحلوا بكثير من الصبر والعناد والجلد كي ينغرسوا في جهة أظهرت لهم العداء منذ البداية " كما أشار نفس الكاتب إلى رفض أهالي جرجيس بيع أراضيهم للرومي، وذكر المعمر "بيلي" بأنه عندما إشترى قطعة أرض صغيرة لم تتجاوز الهكتار على طريق مدنين إستظهر له ما لا يقل عن 22 فردا بحجج ملكية هذه القطعة(141).

ولم تقتصر ردود الفعل ومظاهر الرفض الأولية على التصدي لآفتكاك الأراضي بل تجاوزت ذلك إلى بعض الأشكال الأكثر إيجابية للمقاومة. فقد لعب أيمة المساجد وشيوخ الزوايا والعدول بآعتبارهم قادة الرأي العام أدوارا إيجابية في توجيه الناس ودعوتهم إلى المقاومة ولا أدل على ذلك ما قامت به الإدارة العسكرية الفرنسية من إقالة إمام جامع حسي الجربي بجرجيس المدعو "محمد الطيب الشبلي" من مهام الإمامة واتهامه بكتابة شكايات سكان جرجيس من تصرفات السلطات الفرنسية المحلية حول الوضع الصحي والمعاشي المتردي، وقد نال عقوبة السجن من جراء ذلك كما نقل نقلة عقوبة إلى جهة "قبلي" وتطلق التقارير الإستعمارية على هذا الشيخ عبارات مثل "التسبب في الإضطرابات"، وتوجد مراسلة محفوظة بالأرشيفات التونسية من المحتمل أن يكون قد أرسلها نفس الشيخ وتتضمن طلبا ملحا بإطلاق المساجين بروح عالية ليس فيها تزلف وتحتوي على 90 إمضاء، وكانت عملية إبعاده قد أثارت إحتجاجا محليا واسعا تكونت من جرائه لجان مساندة وإدانة (142). وفي نفس الإطار جاءت عملية إبعاد المدعو "سعد بن الحاج محمدالسوفي" عن مهامه كإمام لجامع قصر أولاد سعيد بجرجيس، فبالرغم من أن التقارير التي صيغت حوله من طرف ضباط الإدارة الإستعمارية عند تعيينه في هذا المنصب كانت ترى فيه الشخص المناسب للقيام بمهام الإمامة، فإن هذه التقارير عادت للتحدث عنه بإعتباره شخصا معاديا للوجود الفرنسي مما أدى إلى نفيه إلى جهة تطاوين مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية ولما سمح له بالعودة إلى جرجيس طالب جمهور المصلين بإرجاعه لخطته ولكن السلطة الإستعمارية قررت إقالته بتعلة مرضه (143).

---

141 نفس المرجع ص ــ ص 53 ــ 54.

142 بوطالب (محمد نجيب) وضعية المثقفين بجرجيس في الفترة الإستعمارية من خلال بعض ملفات الأرشيف الوطني ضمن كتاب شبه جزيرة جرجيس ... مرجع سابق ص 83

143 الأرشيف الوطني التونسي سلسلة D صندوق عدد 34 ملف عدد 3

لقد شملت حركة التصدي للمستعمر عدة فئات، إذ تشير التقارير الإستعمارية إلى أن المدعو "بلقاسم بن محمد بوعبورة عرف كليش" من فئة أمناء السوق كان متمردا واتهمته التقارير بالبطش والتعدي على الآخرين وبسب السلطة الفرنسية، لا شك أن تلك الممارسة كانت تخفي معارضة رغم جنينيتها (144).

* **ردود الفعل المنظمة** : يُقصد بردود الفعل المنظمة تجاوز الأعمال الفردية ذات الطابع العفوي المضادة للمستعمر إلى مرحلة الإنتماء إلى الحركة الوطنية والإلتزام ببرامجها وخططها وبأوامر قياداتها وهو ما يمكن تصنيفه ضمن حركة المقاومة المنظمة. تعود جذور المقاومة المنظمة بجرجيس إلى مشاركة المدعو "محمد مسلم" في أعمال مؤتمر قصر هلال كممثل عن أهالي جرجيس، ومشاركة كل من "البشير بن خليفة عبيشو" و"محمد الشبعان لهنيد" في مظاهرات 9 أفريل 1938 مما أدى إلى إصابة الثاني بجروح (145). ولم تبرز المقاومة المنظمة الفعلية بجرجيس إلا بعد ظهور العمل الحزبي وتأسيس شعبة جرجيس المركزية التي كانت تسمى شعبة "الشنيتية" في سنة 1947 من قبل "المختار الوريمي" الذي كان رئيسها وكان كاتبها العام المدعو "الهاشمي بوشنيبة"، وفي نفس السنة أسست شعبة المؤانسة التي كان "عبد السلام درين" رئيسها و"عبد الرحمان بوعواجة" كاتبها العام (146).

وفي سنة 1948 تم بعث شعبة بني فتايل الدستورية التي ساهم في بعثها كل من "مسلم بن الحاج سعيد مسلم" و"محمد بن مسعود المرزوقي" و"محمد بونواس " بالإضافة لبعض الأسماء الأخرى التي لعبت أدوارا متفاوتة الأهمية في نشاط هذه الشعب والعمل الوطني عامة (147).

---

144 بوطالب وضعية ... مرجع سابق ص 84

145 لمحة عن حياة المناضل البشير بن خليفة عبيشو تقرير مرقون، غير منشور ص 2.

146 تقرير من المناضل " الهاشمي بو شنيبة " وثيقة محفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس وحدة الدراسات الشفوية.

147 لقد إحتوى تقرير الهاشمي بوشنيبة السالف الذكر بعض المعلومات حول نشيطي الخلايا الدستورية وتوزيعهم الجغرافي في جرجيس وقد كان هذا التوزيع كما يلي : ـــ منطقة قصر الزاوية وأولاد إمحمد : ـ منصور القبة ـ حسن العصادي ـ علي بن شويخة ـــ منطقة بني فتايل وصانغو وشماخ : ـ مسلم بالحاج سعيد مسلم ـ القسط بن عويدة ـــ منطقة حسي الجربي : ـ بلقاسم بوشعرة ـ علي بلعراض ـ إمحمد نواس ـ علي بن زريق ـــ منطقة القربيس : ـ الصياح بن عامر فريعة ـ محمد إمبية فريعة .و أشار السيد " العروسي الوريمي" في تقرير مرقون وغير منشور إلى تعرضه بمعية بعض الأشخاص الآخرين مثل المختار الوريمي وعمر عدالة وعمر بن خضر والهاشمي القطوفي وعلي الكنيس والبشير بلغول ...إلخ إلى تتبعات الإدارة العسكرية الإستعمارية التي قامت بمحاكمة البعض منهم بعد أن إتهمتهم بالقيام بأعمال تخريبية. وتجدر الإشارة إلى أن كثيرا من الأسماء ساهمت بشكل ما في نشاط الخلايا الدستورية والعمل الوطني إلا أن عدم توفر مادة مكتوبة أو شفوية حول هؤلاء الأشخاص قد حال دون الإشارة إليهم.

لقد شهدت جهة جرجيس تناميا سريعا للخلايا الحزبية وعدد النشيطين بها مقارنة ببقية التراب العسكري، مما جعل عدد ممثليهم بإجتماع جامعة التراب العسكري بالحاضرة يوم 12 جانفي 1952 الذي تقرر فيه إنطلاقة العمل المسلح يصل إلى 10 أشخاص من بين 35 شخصا أي بنسبة 8. 20 % (148) كما يبينه الجدول التالي:

الإسم و اللقب	الصفة	الإسم و اللقب	الصفة
صالح الجمني	عضو جامعة مطماطة	البشير بوبحري	عضو شعبة دوز
الساطوري بورقيبة	عضو شعبة المؤانسة بجرجيس	حسن شندول	عضو شعبة ببنقردان
الحبيب بورقيبة	رئيس الحزب الدستوري الجديد	البشير عبيشو	عضو شعبة بجرجيس
التيجاني بن مصدي	——	عبد السلام درين	رئيس شعبة المؤانسة بجرجيس
عبد الرحمان بوعواجة	عضو شعبة المؤانسة جرجيس	محمد الجامعي	طالب دستوري
فرج سلام	عضو شعبة المؤانسة جرجيس	البشير قريسيعة	عضو شعبة بنقردان
المبروك صلبلب	عضو شعبة المؤانسة جرجيس	علي الدويهش	عضو شعبة المؤانسة جرجيس
عمار الجليطي	أمين مال جامعة الجنوب	محمد المرزوقي	رئيس جامعة التراب العسكري
محمد الشتوي المرزوقي	أمين مال شعبة تطاوين	الصادق مرتاح	ممثل شعبة خوي الغديرو القريبيس بجرجيس
سالم الجليطي	عضو شعبة بتطاوين	الصادق الدغاري	عضو شعبة بتطاوين
محمد سعيدان	——	بلقام البازمي	عضو شعبة بازمة
بلقاسم الشناوي	رئيس شعبة بتطاوين	فرج الحبيب	كاتب عام جامعة التراب العسكري
الطيب بن يامنة	——	محمد شميط	عضو شعبة بتطاوين
محمد البازمي	عضو شعبة بازمة	الحبيب المستاوي	عضو الإتحاد العام التونسي للشغل

148 أنظر مقالنا حركة المقاومة في أقصى الجنوب التونسي من القبيلة إلى الخلية الحزبية ضمن أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي المعاصر حول منهجية كتابة تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب العربي مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان 27 -29 نوفمبر 1997.

المكي قريسيعة	عضو شعبة بنقردان	محمد القطوفي	رئيس الشعبة بتطاوين
علي الغري	عضو شعبة الغرابات جرجيس	محمد المرزقي	عضو شعبة بمطماطة
علي الجليلي	عضو شعبة مطماطة	بلقاسم الدويري	عضو شعبة الدويرات
المختار الوريمي	رئيس شعبة جرجيس المركزية		

إلا أن الملفت للإنتباه هو غياب النشاط المقاوم في هذه الجهة والمقصود بذلك الأعمال العنيفة ذات الطبيعة العسكرية، فبآستثناء بعض المحاولات "التخريبية" مثل قطع خطوط الهاتف أو الإعتداء على بعض المنشآت الإقتصادية للمعمرين أو اليهود، فإن جرجيس لم تعرف مقاومة مسلحة حقيقية ضد المواقع العسكرية الإستعمارية، لقد أشارت بعض التقارير التي أوردناها إلى محاولات هجوم ضد الثكنة العسكرية بجرجيس بإعتماد القنابل اليدوية وتعرض أصحابها للسجن، إلا أن هذه المحاولات كانت محدودة جدا ولم يكن لها تأثيرا يذكر على القوات الإستعمارية المنتصبة بالمنطقة. إتسم النشاط الوطني بجرجيس بطابع سياسي صرف مما جعله يقتصر على الإجتماعات الخطابية –ألم يخاطب "بورقيبة" "المختار الوريمي" قائلا : "اهتزت مشاعري لتلاوة عباراتك النارية التي طالما نفخت في قلوب عشائر ورغمة والمرازيق روح النخوة العربية ولذة الكفاح من أجل العزة والكرامة والشرف" (149) – والمظاهرات ورفع الشعارات السياسية المعادية للإستعمار والمساندة لإختيارات الحركة الوطنية. ولم يمنع غياب النشاط المقاوم بجرجيس نشيطي الحركة الوطنية بها من الدعم "اللوجستي" المتمثل في التمويل وتوفير التموين والقيام بتهريب الأسلحة القادمة من طرابلس سواء في إتجاه "الفلاقة" أو في إتجاه ثوار الجزائر خاصة بعد إنطلاقة ثورة نوفمبر لسنة 1954 وقد إستغل بعض أهالي جرجيس

149 رسالة بورقيبة إلى المختار الوريمي من منفاه في لاقاليت بتاريخ 11 سبتمبر 1952.

– في رسالة من علي بوعجيلة عامل ورغمة إلى السلطة المركزية مؤرخة في 1951/11/7 جاء ما يلي :علي بن محمد بن أحمد كنيس ، عمر بن محمد بن إبراهيم شراد ، محمد بن بلقاسم حفيظ ، المختار الوريمي ، محمد بن عمر عدالة، ضو بن عبد الرحمان بوحافة ، محمد بن خضر ، علي بن محمد بن صالح و العروسي الوريمي ، جناب الهمام العماد(...) أتشرف بإعلام معاليكم أن القضية الأولى كانت في السابع و العشرين من رمضان الفارط إثر إجتماع عقده أهالي قرية العقلة بالطريق العام يصرحون بالأناشيد من غير الذين كانوا بالجامع مجتمعين و عندما شعرت السلطة العسكرية بذلك توجهت على عين المكان ولما أرادت تشتيت المجتمعين بواسطة الجندرمة أظهر الثلاثة الأولون العصيان و التفوه بما لا يليق و من أجل ذلك ألقي القبض عليهم و سجنا الأولان مدة شهر و الثالث مدة خمسة عشر يوما (...) إثر إجتماع عقد ليلة يوم جويلية برحاب ضو بن عبد الرحمان بوحافة يضم مائتين و نيف من الرجال و ما يقرب الخمسين إمرأة و عند شروعهم في الخطابة و الأناشيد وفد أعوان الجندرمةلمعاينة ذلك و حرروا ملف القضية شمل كل الخطباء... هذا و بما أن الإجتماع أحدث غوغاء بالقرب من مركز الأمور الأهلية بجرجيس فقد وقع إيداع المذكورين من الرابع إلى التاسع بالسجن لمدة أيام خمسة عشرة من طرف السلطة العسكرية .الأرشيف الوطني التونسي سلسلة E كرتون 550-15/30 ملف عدد 1

إشتغالهم بالصيد البحري لتحقيق مثل هذه المهام، ولازلت الذاكرة الشعبية بجرجيس تحفظ مغامرات بعض البحارة في تهريب الأسلحة الموجهة للثوار. و من مظاهر المقاومة السياسية التي تميزت بها جهة جرجيس بعض الأعمال التي تبدو أنها ممارسات فردية معزولة إلا أنها في واقع الأمر تخضع لحد أدنى من التنظيم مثل مشاركة كل من "الصياح الربيع" و"رحومة الربيع" الطالبين بجامع الزيتونة وأصيلي جرجيس في إضراب الجوع اللانهائي الذي قام به الطلبة الزيتونيين وتلامذة المعهد الصادقي المعتقلين بمحتشد المحمدية في شهر جانفي من سنة 1952 (150)، وفي نفس الإطار كان المدعو "سعيد بن مرزوق جرمود" منخرطا بالحزب الدستوري الجديد منذ سنة 1938 وقد عرضه نشاطه السياسي للفصل عن العمل مرتين سنة 1939 والسجن سنة 1945 (151). ورفضت السلطة المركزية مطلب الشيخ "علي بن منصور الكواش" المتحصل على شهادة التطويع وعلى شهادتي العالمية من القسمين الأدبي والشرعي من جامع الزيتونة إنشاء مدرسة قرآنية عصرية بجرجيس لأنه كان عضوا في جمعية الشباب الأدبي المسلم قبل أن يتحول إلى عضو نشيط في جماعة الدستور الجديد بالجامع الأعظم(152).

كما جاءت مواقف الثنائي "بوحافة " مضادة للإستعمار، فقد عرف "الجيلاني بوحافة" الذي إشتغل كموظف في الإدارة الإستعمارية برتبة خليفة لمدة تجاوزت 30 سنة بإرجاعه لوسام جوقة الشرف الفرنسي إلى رئيس الجمهورية الفرنسية " فانسان أريول" مصحوبا برسالة مؤرخة في أول فيفري 1952 نشرت بعد ذلك في الصحافة الفرنسية إحتجاجا على عمليات تقتيل التونسيين في أحداث تازركة سنة 1952، أما الإبن أي "العابد بوحافة" فقد أسس الجمعية المنصفية نسبة إلى المنصف باي وقاد بعض المظاهرات المناهضة لعزل وإعتقال هذا الباي "الوطني" و ساهم في تأسيس الحركة المنصفية كما عمل مراسلا لجريدة المصري وعينه الأمير عبد الكريم الخطابي رئيس لجنة تحرير المغرب العربي نائبا له لدى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية و منظمة الأمم المتحدة وآشتغل ممثلا لغرب إفريقيا في نفس المنظمة أين دافع عن القضايا العربية والمغاربية و أشاد بذلك المرحوم عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية في رسالة وجهها لبورقيبة و نشرتها جريدة الصباح في 4 مارس 1952 جاء فيها "إن أغتنم هذه المناسبة لأحيطك علما بفضل و إخلاص الأستاذ العابد بوحافة في هذه الأيام العصيبة ، فقد كان لنشاطه و سعيه و دأبه و خبرته بالأجانب أثر في رفع صوت تونس المجاهدة " (153). وتميزت

---

150 جريدة الزهرة 30 جانفي 1952 مقال بعنوان الطلبة الزيتونيون في محتشد المحمدية يعلنون إضراب الجوع اللانهائي.

151 لقد وردت هذه المعلومات ضمن مجموعة من التقارير والشهادات متعلقة بالمدعو سعيد بن مرزوق جرمود وقد تسلمناها من إبنه السيد عبد العزيز جرمود مشكورا.

152 الأرشيف الوطني التونسي السلسلة E صندوق 281 ملف عدد 4.

153 Bouhafa (Abed) Pages noires du mouvement nationaliste neo-destourien document soumis à l'honorable Zine El Abdine Ben Ali, 7 novembre 1988

جهة جرجيس بالبروز المبكر للنشاط النقابي ضمن الإتحاد العام التونسي للشغل منذ تأسيسه سنة 1946 وقد قام بتأسيس فرع جرجيس كل من "مسعود موسى" و"الحاج عمر بن خضر" و"الحاج الجيلاني جبنون" و"منصور بن عبد الدايم بورصين" و"الحاج الجيلاني الكوت" الذي تشير بعض الروايات الشفوية إلى أنه كان على صلة ببعض قيادات الحركة النقابية والوطنية مثل "فرحات حشاد" و"أحمد التليلي" و"الحبيب ثامر" و"الحبيب عاشور" (154).

* **الحركة اليوسفية بجرجيس:** تعرف أيضا بحركة الأمانة العامة نسبة للأمين العام للحزب الدستوري الجديد الأستاذ "صالح بن يوسف" الذي أعلن رفضه لإتفاقيات 3 جوان 1955 (155) مما أدى إلى إنقسام الشعب التونسي إلى صفين رئيسيين، وقد لقيت مواقف "إبن يوسف" قبولا كبيرا لدى عدة شرائح من الشعب مثل أنصار الدستور القديم والملاك العقاريين والتجار ورجال الدين والطلبة (156)، وفي أغلب مناطق البلاد لاسيما المنطقة العسكرية التي كانت تعرف بإنتمائها "اليوسفي" وانتصارها للتوجه الذي قام بإرسائه "صالح بن يوسف" لكن الإستثناء الوحيد على ذلك هو ما عرفت به جرجيس من تعاطف مع "بورقيبة" وتوجهه حتى أن الطبقة السياسية في تونس في فترة الخمسينات كانت تعتبر جرجيس هي المنطقة "البورقيبية" الوحيدة في أقصى الجنوب التونسي، يدل على ذلك الإستقبال الهام الذي لقيه "بورقيبة" أثناء زيارته لجرجيس سنة 1955 والذي وصف بأنه إستقبال المنتصر157. فهل خلت

ـ لقد قام العابد بوحافة بوضع هذا التقرير لتوضيح ملابسات المظلمة التي سلطت عليه من قبل الرئيس بورقيبة وآستمرت أكثر من 30 سنة أي منذ سنة 1951 وهوتاريخ ترجمته لخطاب بورقيبة إلى اللغة الأنقليزية والذي كان سيلقيه بأحد المؤتمرات بسان فرنسيسكو بالولايات المتحدة، لكن بعد أن قام العابد بوحافة بتوزيع نص الخطاب على وكالات الأنباء والصحف كما طلب منه الرئيس بورقيبة إحتجت السلطات الفرنسية لدى الأمريكيين علىنص الخطاب الذي يحتوي على عبارات تعادي وتهاجم فرنسا مما جعل الرئيس بورقيبة ينسب كتابة هذا النص إلى العابد بوحافة رغم علمه أنه هو صاحب النص الأصلي، إلا أن الملفت للنظر هو بقاء بورقيبة يصدق ماقاله ويدافع عنه حتى بعد الإستقلال بل إلى يوم الناس هذا. أنظر الساحلي (حمادي) نبذة عن حياة المناضل محمد العابد بوحافة المجلة الصادقية عدد 17 جانفي 2000

154 لقد أمدنا بالمعلومات المتعلقة بالمدعو " الجيلاني الكوت " إبنه السيد "عامر الكوت".

155 خطب صالح بن يوسف بجامع الزيتونة معلقا على هذه الإتفاقيات بما يلي :" لما قبلنا المفاوضات كان القصد منها أن تكون لضمان مصالح الجالية الفرنسية في هذه البلاد لا أن تؤول إلى إتفاقيات أقرت بصفة صريحة وواضحة لا تقبل الشك تؤكد الوضع الإستعماري الموجود (...) إنها رجعت بنا إلى الوراء ولذلك أدعو حزبي ومن ورائه الشعب إلى أن لا يقر ما اقره غيره (...)يجب على الشعب أن لا يخون عقيدته الوطنية ولا يخذل إخوانه في الجزائر والمغرب وحتى لا تخذل هذه المجموعة يجب أن لا تقر هذه الإتفاقيات وأن يعقد العزم على مواصلة الكفاح للتخلص نهائيا من نير الإستعمار (...) إن هذه البلاد عربية إسلامية لا تستقل ولن تؤمن إستقلالها إلا إذا إستقلت الجزائر والمغرب ... إلخ. أنظر واردة (منجي) جذور الحركة اليوسفية المجلة التاريخية المغاربية عدد 71 - 72 ماي 1993 ص 481.

156 Bersot, Le Yousfisme, Centre des Hautes Etudes Administratives sur l'Afrique et l'Asie moderne, Paris novembre 1958, p 2.

157 Bouhafa , Pages noires ... op cit, p 50.

جهة جرجيس فعلا من الحركة اليوسفية ونشيطيها؟ ذلك ما تنفيه الوقائع التاريخية فقد إنتمى كثير من باعثي الخلايا الدستورية إلى جماعة الأمانة العامة مثل مؤسس شعبة المؤانسة "عبد السلام درين" وكاتبها العام "عبد الرحمان بوعواجة" الذي عاد فيما بعد للنشاط ضمن "مجموعة الديوان السياسي"، وساهم بعض "يوسفيي" جرجيس في النشاط الوطني المسلح لجيش التحرير الشعبي بقيادة "الطاهر الأسود" مثل "مصباح شفتر" الذي إختفى إبان فترة المحاكمات اليوسفية سنة 1958 وقد بقي مصيره مجهولا ، و"محمد بن علي بوعجيلة "الذي شارك في النشاط المسلح للثورة الجزائرية ثم إلتحق بالمجموعات اليوسفية المسلحة في منطقة الرديف وقد وقعت محاكمته ضمن المجموعات التي رفضت تسليم السلاح (158). ذلك ما يحفظه الموروث الشفوي بجرجيس أما ما هو محفوظ بالأرشيفات التونسية فقد عبر عنه " المختار الوريمي " رئيس شعبة جرجيس المركزية في شكوى مرسلة إلى وزير الداخلية بتاريخ 12 جانفي 1956 يشير فيها إلى أن الجامعة الدستورية للجنوب الشرقي تتقدم بتذمراتها وشكاويها من سوء سلوك بعض الموظفين وتصرفاتهم التي يرى أنها لا تتفق مع "وحدة الأمة وبرامج الحكومة" وهؤلاء الأشخاص هم على التوالي : عبد السلام الذويب معلم اللغة الفرنسية، المختار الذويب المخازني، محمد مسلم معلم اللغة الفرنسية وإمام الجمعة، محمد الشبلي إمام الجمعة بحسي الجربي، خميس مصدق الكاتب بالمحكمة والجيلاني مسلم العدل. تشير هذه المراسلة إلى أن هؤلاء الأشخاص يعملون على نشر الأفكار اليوسفية ونصرة الأمانة العامة والدعاية لها في مختلف الأماكن موظفين في ذلك المنابر الدينية أين يتولون مهام الإمامة، ويشير "المختار الوريمي" إلى أنه يعرف الجنوب التونسي جيدا لذلك لا بد من وضع حد لنشاط هؤلاء الأشخاص وغيرهم لوقف إمتداد الحركة اليوسفية (159). ورغم هذه الدعوة الصريحة لوضع حد للنشاط اليوسفي فإن جهة جرجيس كانت أقل الجهات تفاعلا مع هذه الحركة، إلا أن ذلك يندرج ضمن التوجه الذي عرفته بعض المناطق التي شهدت الإستقرار المبكرو بدأت تتراجع لدى سكانها قيم المجتمع البدوي التي كانت أثناء مراحل تاريخية مختلفة وراء تفجر حركات المقاومة في مناطق الجنوب التونسي.

---

158 أنظر الشهادة الشفوية لمحمد بن علي بوعجيلة المحفوظة بأرشيفات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس.

ـــ لا بد من الإشارة إلى أن عدة أسماء من جرجيس كانت لهم مساهماتهم في نشاط الحركة اليوسفية مثل مصطفى الهادي بوزميطة والهاشمي التومي ومحمد الغناي وسالم الصيد وأحمد عبد الدايم والهاشمي بوعجيلة بوستة وعلي شلبي والصادق بن سليم ومحمد العبادي والربعي التريكي ومحمد خنيشيل والهاشمي القطوفي والمبروك صلبلب وحسن بن عتيق الجبو وأحمد بعرون والبشير بالأزرق ومنصور بوراصين وضو البريكي ومحمد بوعجيلة الذان استشهدا بجهة قفصة.

159 الأرشيف الوطني التونسي السلسلة أ صندوق عدد 180 ملف عدد 15 رسالة مؤرخة في 12 جانفي 1956 عدد 400 بإمضاء المختار الوريمي رئيس شعبة جرجيس المركزية وختم نفس الشعبة(أنظر الملحق).

الفصل الثاني

البناء القبلي في شبه جزيرة جرجيس:

قبيلة عكارة: ثنائية الوحدة والتعدّد

I- أصل التّسمية وأسطورة التّأسيس :

1- أصل تسمية عكارة :

من الناحية الاصطلاحية فسر "إبن منظور" كلمات عكار وعكّر إعتكار بمعنى واحد، والعكار في الحرب هو العطاف والكرار، والعكارون هم الذين لا يفرون أي الكرارون، وتعاكر القوم أي إختلطوا، واعتكروا في الحرب، إختلطوا واعتكر العسكر أي رجع بعضه على بعض فلم يقدر على عده، واعتكر الليل أي اشتد سواده وإختلط وإلتبس، وإعتكر الظلام اي إختلط كأنه كر بعضه على بعض من بطئ انجلائه، والعكر هو الجماعة واصله من الاعتكار وهو الازدحام والكثرة، واعتكار الضرائر اي إختلاطها، وإعتكر المطر، إشتد وكثر وإعتكرت الريح، جاءت بالغبار واعتكر الشباب، دام وثبت حتى ينتهي منتهاه، وتعاكر القوم، تشاجروا في الخصومة، ويقال ايضا العكرة هي القطعة من الإبل، وقيل العكرة هي الكثير من الإبل وكذلك العكرة ما فوق خمسمائة من الإبل، والعكر جمع عكرة وهو القطيع الضخم من الإبل (1). فالمعنى الغالب هو الإندماج والاختلاط والتواصل فالتفسير الاصطلاحي له أهمية بالنسبة لقبيلة عكارة ذلك ان هذه القبيلة قد تميزت بالتعدد وبالاختلاف .

من الناحية التاريخية فإن اصل كلمة عكارة قد اختلف حوله الدارسون فقد تم ارجاع التسمية الى الشيخ "الصياح" الذي ينعت "بالعكرمي" نسبة الى قبيلة العكارمة، ولكن مع مرور الزمن سقط حرف "الميم" فاصبحت الكلمة تنطق عكارة (2). الا ان هذا التأويل يتسم بالهشاشة لسببين اثنين :

السبب الأول : إن قبيلة العكارمة تقطن منطقة قصر قفصة ولا تحدثنا المراجع التاريخية عن علاقة قرابة بين الشيخ الصياح وهذه القبيلة.

السبب الثاني : إن التسمية الأقرب للصواب هي الشيخ الصياح العكاري وقد اكتسبت القبيلة إسمها من مؤسسها، يدل على ذلك تواتر تسمية العكاري في عدة وثائق تاريخية، فقد ورد الإسم في وثيقة شجرة ورد العيساوية المؤرخة في 1163 هجري (3) كما إستعمل أيضا في وثيقة مناقب(4).

---

1 إبن منظور لسان العرب دار إحياء التراث ــ مؤسسة التاريخ العربي بيروت 1992 ج 9 ص ص 337 - 338.

2 Bailly, Notice ...op cit p 5

3 هذه الوثيقة يصل عمرها إلى أكثر من ثلاثمائة سنة وقد إحتوت إسم منصور بن عبد الرحمان العكاري المغربي (وهي نفس الصفة التي لازمت شيخ القبيلة) وهو مؤسس الزواية العيساوية بجرجيس.

4 هذه الوثيقة هي مناقب سيدي علي العكاري المراكشي، وهي محفوظة بدار المخطوطات الملكية بالرباط بالمغرب، والنسخة التي تحصلنا عليها غير مفهرسة وغير مرقمة.

2- أسطورة التأسيس :

لقد حاول الضابط الفرنسي "بايي Bailly" تجميع بعض الروايات حول اصل قبيلة عكارة، وبعد الإشارة الى أن هذه القبيلة هي حديثة النشأة، ولا يعود ظهورها إلا الى ثلاثة قرون مضت (في سنة 1887) وهو ما يحول دون إختزالها لماضي هذه المنطقة، يذهب الى أن قبيلة عكارة تنتسب الى جدين تاريخيين هما "عبد الله الجفار" "Abadallah Djaffar" و"جرجيس Gergis" وقد إستقر الأول (الجفار) بعد ان إنتصب بالمنطقة قائده "جرجيس" الذي اصبحت هذه المنطقة تسمى بإسمه، وحسب الرواية الشفوية المتواترة فان "جرجيس" قد قتل في بداية الإحتلال الإسباني لشبه جزيرة جرجيس بعد مقاومة كبيرة جدت على إثر تحويل المدن الساحلية الى مستعمرات اسبانية سنة 1540م (5) . لكن هذه الرواية لا تستند الى دعائم تاريخية قوية، فتسمية المنطقة بإسم "جرجيس" قد سبق فترة الاحتلال الاسباني بكثير وقد وقعت الاشارة اليه في العصور القديمة من طرف المؤرخ البيزنطي بروكوب وذكره الادريسي في نزهته كما اشرنا الى ذلك سلفا، أما "عبد الله الجفار" فلم يتحدث عنه سوى الضابط "بايي" الذي يشك بدوره في مدى صدق هذه الرواية التاريخية.

الرواية الثانية التي حظيت بقبول في اوساط الباحثين هي التي تعتبر أن الجد المؤسس لقبيلة عكارة هو "الشيخ سيدي الصياح العكاري" (6)، الذي قدم الى المنطقة من المغرب الأقصى وتحديدا من الساقية الحمراء في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، وكان مصحوبا بأفراد من عائلته وأقاربه، وقد رافقه في رحلته الولي" سيدي مخلوف المهبولي " وقد غادر جنوب المغرب لأسباب غير معروفة (7). ولكن بعض الرويات الأخرى تقول إن "الشيخ الصياح" ومرافقيه قد غادروا منطقة الساقية الحمراء في جنوب المغرب على إثر خلاف سياسي وقع بينه وبين أفراد من عائلته من الأدارسة وقد اتجه الى مكة لأداء فريضة الحج (8)، وعند وصوله الى دخلة ورغمة في اقصى الجنوب التونسي نشب بينه وبين "سيدي

---

5 Bailly Notice ... op cit pp1-2

6 جاء في : Historique de l'annexe des affaires indigenes de zarzis ... op cit p6 أن إسم الجد المؤسس لقبيلة عكارة هو سيدي خليفي الصياح وهي نفس التسمية التي وردت في أطروحة "مارتي" Marty les territoires du sud Tunisien et leur ressources arbustives these de doctorat Alger1944 p 83 معتبرا أن هذا الولي هو الجد المؤسس لكل اتحادية ورغمة وهو ما يحتوي نوع من الخلط وعدم التدقيق.

7 Historique de l'annexe de affaires indigènes de zarzis... op cit p 6

- Douib A La région de Zarzis M.D.E.S institut de geographie universite Paris I sorbonne Paris 1955 p 37.

Malaquin, Un demi siècle de protectorat français dans une région du sud tunisien, le développement de Zarzis. Centre des hautes études d'administration musulmane memoire n° 289 paris 1939 p 15.

8 Menouillard (H) Zarzis, monographie du territoire des Accara - in Bulletin de direction de l'agriculture, du commerce et de la colonisation 1912 p.p 107- 108

- ذويب جرجيس ... مرجع سابق ص 74

مخلوف" خلاف أدى الى إستقرار هذا الأخير بالمكان الذي يوجد به ضريحه (9) . بينما واصل "سيدي الصياح" رحلته وقبل أن يدخل الصحراء الليبية نزل ليأخذ نصيبا من الراحة قرب المكان الذي ستشيد عليه في فترة لاحقة بلدة بنقردان، لكنه أعجب بهذا المكان فقرّر الاستقرار به نهائيا (10)، وإرتبط إنتصاب" الشيخ الصياح العكاري" بالمكان المتاخم للحدود الليبية التونسية الحالية بتداول إنتسابه الى السلالة النبوية الشريفة . وقد بقيت قبيلة عكارة تتوارث وثيقة هامة (11) تتناقلها أجيال القبيلة جيلا بعد جيل، وتقع قراءتها بطريقة جماعية من طرف المجلس القبلي (الميعاد) في المناسبات الدينية حتى يقع تلقين الأجيال اللاحقة إنتماء جدهم وأبنائه إلى السلالة النبوية الشريفة. وهي عادة تمارسها كثير من قبائل المغرب العربي للتدليل على نسبها الشريف وإنحدارها من سلالة أحد الأولياء الصالحين. وتقول الوثيقة التي بين أيدينا أن الولي الذي تعتبره قبيلة عكارة جدها ومؤسسها هو : "الولي الصالح سيدي الصياح الشريف المغربي بن خليف بن محمد بن الناصر بن منصور بن يعقوب بن منصور بن عامر بن عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن صالح بن الغالب بن عبد الله الشريف بن إدريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد بن عبد الله (ص) (12) وقد هاجر "إدريس الأكبر" الجد الأعلى" لسيدي الصياح" إلى بلاد المغرب خوفا من تنكيل الأسرة الأموية الحاكمة بإعتباره من أهل البيت وتزوج من "كنزة بنت عبد الحميد الأوربي" سلطان بلاد البربر الذي سلمه الإمارة بعد ان عرف أنه من سلالة الرسول (ص). قتل "إدريس الأكبر" مسموما ولكنه ترك زوجته حاملا، فانجبت ولدا سمته إدريس الأصغر، نصرته البرابرة وهو إبن ثمانية أشهر حتى كبر وقرأ جميع العلوم !!! طيلة اثني عشرة سنة وكان يحكم في تلك الفترة "راشد بن مرشد القرشي" الذي كان صديقا ملازما لوالده.

تذهب الرواية إلى ان إدريس الأصغر هو مؤسس مدينة فاس، وقد تزوج من "سناء بنت سليمان بن محمد بن علي" وكانت خلافته ستة وثلاثون سنة. أنجب إدريس الأصغر اثني عشرة ولدا هم "محمد وأحمد وعبد الله وعمران وعيسى وداود ويحي وأبو القاسم وحمزة وعلي وعمر وكُثير". تقاسم أبناء "إدريس" منطقة المغرب بعد وفاة أبيهم تحت خلافة أخيهم الأكبر "محمد". وقد مكّن تناسلهم وانتشارهم في

---

9 Betirac, Notice sur la tribu de Mhabeul les archives de l'armee de terre vincenne Paris 1888 p 5

10 Bedaux, Légende des accara in bulletin de liaison saharienne n° 5 juin 1951 p 44.

11 تسلمنا نسخة من هذه الوثيقة من حافظها المرحوم "حسن خنيسي" الذي كان يعمل مترجما بفرع مصلحة الشؤون الأهلية وقد سلمت إليه قصد ترجمتها. قمنا بتحقيق هذه الوثيقة وتقديمها وتم نشرها بالمجلة العربية للدراسات العثمانية عدد 15-16 سنة 1997 تحت عنوان وثيقة عن الأصول الشريفة لقبائل المغرب العربي . تحمل وثيقتنا عنوان شجرة نسب ويبلغ طولها خمسة أمتار وعرضها خمسة وعشرين صنتيمتر وهي مؤرخة بتاريخ 1121 هجري وأعيد نسخها سنة 1328 هجري من قبل "الحاج محمد بن الحاج إمحمد السوفي الدبيلي" تشير نفس الوثيقة الى أصوله المغربية الشريفة.

12 لبيض (سالم) وثيقة عن الأصول الشريفة لقبائل المغرب العربي المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية عدد 15-16 سنة 1997

الأوطان من الحفاظ على سلالة الشرف النبوي حسب ماجاء في نفس الوثيقة (13)، التي تشير إلى أن "لسيدي الصياح" جد عكارة اخوين هما : "سيدي احمد لصيفر" و"سيدي المبروك بوزيد" وخمس أبناء هم "سعيد" و"محمد" و"عيسى" الذي من المعتقد ان يكون قد انجب ابنا سماه علي فأصبح يسمى أبو علي جد احد عروش عكارة وهو عرش أولاد بوعلي أما الإبنين الآخرين فهما "سيدي كمون" الذي يوجد بالحكالية وهي منطقة لم نتمكن من تحديد موقعها و"سيدي تميم" الذي يجهل مكانه أيضا (14).

إن هذه المعطيات تقودنا الى إبداء بعض الملاحظات المتمثلة فيما يلي :

ـــ إن الرواية الشفوية العكارية التي جمعها الضابط "بايي" في دراسته السالفة الذكر والتي بقي جزء كبير منها متداول إلى اليوم لم تشر الى اخوي "سيدي الصياح" المذكورين في الوثيقة بل إن "سيدي احمد لصيفر" يعتبر جد قبيلة التمارة بمدنين كما جاء في دراسة بوسترو (15).

ـــ تتحدث الوثيقة عن أبناء سيدي الصياح الخمسة، إلا ان المتعارف عليه لدى أجيال قبيلة عكارة بجرجيس أنهم ينحدرون من ثلاثة ابناء هم "أبو علي" وهو الإبن الأكبر، "سعيد" وهو الإبن الأوسط، و"إمحمد" وهو الابن الأصغر وقد يكون "أبو علي" يسمى "عيسى" يدل على ذلك تواتر إسم "عيسى" لدى عروش عكارة ولدى، أولاد بو علي بصفة خاصة، اما الإبنين الآخرين وهما المرابط "سيدي كمون" والمرابط "سيدي تميم" فلم يحتلا مكانا داخل الذاكرة الشعبية العكارية، ومن التأويلات التي ذهبنا اليها هو إعتبار "سيدي تميم" هو الشخص الذي تنسب له بلدة منزل تميم التي توجد بالوطن القبلي، وقد انطلقنا من

---

13 نفس المرجع

يمكن القول أن الرواية التي وردت في هذه الوثيقة لها بعض الدعائم التاريخية، يظهر ذلك من خلال ما ذكره الادريسي في كتابه نزهة المشتاق من أن إدريس بن عبد الله قد تخلص من نكبة فخ عام 169هـ/786م وهرب الى المغرب وحل ببوليلة جنوب طنجة عند أخواله البربر من أوربة وبويع إماما لتلك الناحية عام 172هـ 789م، وشرع في تأسيس فاس، وقضى نحبه مسموما ببوليلة عام 175هـ/791م بعد أن أنشأ دولة الأدارسة ولتمييزه عن إبنه ادريس سمي ادريس الأكبر. أما إدريس الأصغر فقد ولد بعد شهرين من وفاة والده وبويع إماما سنة 187هـ 803م. أي إثني عشرة سنة بعد وفاة أبيه فاستقر من بعده بفاس وتوفي بسبب حادث تسميم بفاس او ببوليلة سنة 213هـ/828م عن سن تناهز 58 سنة وخلف إثني عشرة ولدا . أنظر الصادق المغرب ... مرجع سابق ص ص 13 ـــ 14، وتوجد نفس الرواية لدى قبيلة العكارمة القاطنة بقصر قفصة تقول الرواية أنه : "بعد أن هرب من المذبحة التي أقامها الأمويّين ضد من تبقى من سلالة علي إبن أبي طالب، إتجه إدريس الأول أو إدريس الأكبر إلى المغرب أين احتضنته القبائل المحلية وجعلته ملكا عليها، لكن الأمويون لم يتركوه إلا بعد ان قتلوه مسموما وترك زوجته حاملا فانجبت من بعده ولدا حمل اسم ابيه، وبعد ان كبر اصبح ملكا مثل أبيه وتزوج من عدة نساء، وأنجب اثني عشرة ولدا تقاسموا المنطقة تحت إمرة أخيهم الأكبر

- Kilani (M) La constrution de la mémoire, labor et fides Genève 1992 p 177.

14 وثيقة ... نفس المرجع

15 Bossoutrot Auguste Notes sur Médenine gsar du sud publlication et traduction par Abderrahman Ayoub cooperation ouvriere d'impression de publication Sfax p 15

مؤشر هام هو وجود قسم كبير من السكان في دخلة المعاويين القريبة من هذه البلدة ينتسب الى قبيلة عكارة (16).

بعد مجيئ الولي "سيدي الصياح" العكاري وإنتصابه بمنطقة بنقردان المتاخمة للحدود الطرابلسية وذلك في نهاية القرن السادس عشر المسيحي ستبدأ مرحلة جديدة تتمثل في تمركز عكارة بهذه المنطقة وهو ما سيعرضهم للاصطدام بقبائل أخرى وبصفة خاصة مع قبيلة النوايل ذات الأصول العربية المختلفة باعتبارها قبيلة سليمية (اي من بني سليم) التي كانت تسيطر على منطقة "سيدي شماخ" والتي يمثل تواجدها الحائل الرئيسي لتوسع عكارة، الذين انتصبوا في البداية في مجال ضيق احاطت به أرض غير صالحة للزراعة تتمثل اساسا في مجموعة من السباخ ومدخل وادي فيسي. وبالإضافة لعدم امكانية توسع عكارة تجاه سهول دخلة جرجيس التي كانت تحت سيطرة النوايل فإن قبيلة التوازين تسيطر على بقية السهول غرب بلدة بنقردان وهو ما يحول دون استغلالها من طرف عكارة (17). إن ضعف الموارد المعيشية ومحاولة توسع القبيلة على الأراضي المجاورة قد أدى الى إصطدام عكارة بقبيلة النوايل الليبية.

وتقدم لنا الرواية الشفوية هذا الصدام في شكل إعتداء على قبيلة عكارة بعد ان خانها افراد قبيلة "اولاد شبل" التي تحالفت مع النوايل ويبدو ان أولاد شبل بدورهم كانت لهم مصلحة في مغادرة عكارة لهذه المنطقة بعد ان تنكروا لعلاقات الجيرة والخدمات التي قدمها لهم "الشيخ الصياح" (18). تقول الرواية الشفوية إن قبيلة النوايل قد قررت الاغارة على عكارة وقتلهم، ولكن هذه المرة بالاتفاق مع اولاد شبل الذين كانت خيامهم متداخلة مع خيام عكارة، وللتمييز بين القبيلتين أشعر أولاد شبل قبيلة النوايل أن خيام عكارة تحتوي أشرطة حمراء اللون، مخاطة في وسط كل خيمة وأن أولاد شبل لا يستعملون مثل هذه الأشرطة. لقد أدى إعتداء النوايل إلى قتل عدد كبير من أفراد قبيلة عكارة ونجحوا في إجبار عكارة على مغادرة المكان الذي يوجد به ضريح جدهم (19)، والذي كان بدوره ضحية لاعتداءات قبيلة النوايل(20).

16 أنظر : لبيض (سالم) النسيج القبلي في شبه جزيرة جرجيس قراءة نقدية في بعض الوثائق الفرنسية ضمن كتاب شبه جزيرة جرجيس عبر التاريخ ...مرجع سابق ص 99.

17 Le Boeuf (J) Monagraphie Géographique de la population indigène du territoire militaire de Gabes in bulletin de Geographie historique et descriptive N°2 - 1905 p 179.

18 Bedaux, Légendes...op cit p 44

19 نفس المرجع والصفحة.

20 Martel A Les confins saharo tripolitaine de la Tunisie P U F 1965 p 47

يحظى "سيدي الصياح بحضور كبير في الذاكرة الشعبية لقبيلة عكارة على وجه الخصوص وعند أهالي أقصى الجنوب التونسي بصفة عامة، فلازالت هذه الذاكرة تحتفظ بكرامات هذا الوالي وبأدواره في فض النزاعات والصراعات القبلية، يدل على ذلك إستقراره في المنطقة الحدودية بين تونس وطرابلس وهي المنطقة المعروفة بتمركز الصراعات بين القبائل وقد بقي حضور الولي الصياح كبيرا في المنظومة الرمزية العكارية من خلال تسمية المواليد الجدد على إسم جدهم والاتجاء إلى زاويته والتبرك به من خلال اقامة الحضرة والزردة

انظر مقالنا وثيقة عن الأصول... مرجع سابق .

وتذهب الرواية الشفوية إلى أن عدد قبيلة عكارة قد تقلص كثيرا بعد ذلك ولم يتبق إلا أربعون رجل والبقية نساء وأطفال ومن بينهم أبناء "الولي الصياح" الثلاثة "أبو علي" و"سعيد" و"إمحمد" وإتجهوا بعد ذلك إلى جزيرة جربة أين استقروا بمكان يعرف "ببني معقل" إلى أن كبر الأطفال وأصبحوا يشكلون قوة يمكن الإعتماد عليها، فعادوا لمهاجمة النوايل إنطلاقا من جزيرة جربة (21) وإستطاعوا طردهم نهائيا الى "قصر نبش" ثم الى جنوب وادي فسي بعد أن تحالفوا مع قبيلة التوازين (22) وقد إستمرت الغارات المتبادلة بين قبيلتي عكارة والتوازين من ناحية وقبيلة النوايل من ناحية ثانية إلى فترة مجيء الاستعمار الفرنسي الى المنطقة، لكن رغم ذلك فقد تمكن عكارة من الاستقرار بشبه جزيرة جرجيس وتدعم هذا الإستقرار بوجود حاجز بشري يفصل عكارة عن النوايل وقد تمثل هذا الحاجز في انتصاب" بني مريم " القبيلة المرابطة ذات الأصول الطرابلسية في منطقتي الوعرة والمنيخة قرب الحدود الليبية (23).

إن هذا الوضع الجديد قد مكن عكارة من الإستقرار على طول المنطقة الساحلية الممتدة من رأس مرمور شمالا الى رأس جدير شرقا، بما في ذلك بحيرة البيبان الثرية بالأسماك خاصة وأن هذه القبيلة معروفة بآختصاصها في النشاطين البحري والفلاحي مستغلة في ذلك المنطقة التي اصبحت تعرف فيما بعد بدخلة عكارة، التي أصبحت مركز إستقرار قبيلة عكارة بعد أن شيد لها "علي باي" برج الحصار . وقام عروش عكارة بتشييد قصورهم قرب هذا البرج وقد جعلوا من هذه القصور مركزا للتجمع أثناء فترات معينة من السنة وخزن المؤن وممارسة الأنشطة التجارية ...إلخ. من هذه القصور نذكر قصر أولاد بوعلي المعروف بقصر الشلبة وقصر المؤانسة وقصر أولاد إمحمد وقصر أولاد سعيد وقصر الزاوية.

3- هل أن عكارة ذات أصول بربرية ؟

لقد إنطلقت بعض الأعمال السوسيولوجية التي أنجزها ضباط الإدارة الاستعمارية من "بديهية" تمثلت في أن قبيلة عكارة ذات اصول بربرية زناتية (24). وأشارت هذه الأعمال إلى أن 90% من سكان اقصى الجنوب التونسي هم من البربر (25). وبالرغم من أن خلفية هذه الأعمال إرتكزت على مبادئ الأيديولوجية الإستعمارية، فإن الفرضية التي تعتبر عكارة وسكان أقصى الجنوب التونسي ذوي أصول بربرية تحتاج الى مراجعة. فمما لا شك فيه أن الجنوب الشرقي "لإفريقية" بل المنطقة الممتدة من

21 Bedaux legendes ... op cit pp 44-45.
22 Le boeuf (J) Les confins de la Tunisie et de la tripolitaine Historique du trace de la frontière Paris Nancy, Berger Levrault 1909 p 29.
23 Bailly Notice ...op cit pp 7-8
24 Marty, Les territoires...op cit p 85
25 Abergoni (G) Pouillon (F) Le fait berbère et sa lecture coloniale de l'extrême sud tunisien, in cahiers jussieu n° 2 Université Paris VII p 355.

طرابلس الى قابس قبل مجيء الهلاليين كانت تخضع لسيطرة مجموعة من القبائل البربرية مثل" لواتة" و"زناتة" و"هوارة " و"نفوسة" و"مطماطة" و"دمر" و"مزاتة" و"زوارة" و"زواغة" (26).

لقد ورد إسم عكارة ضمن هذه المجموعات القبلية وهو ما أشار إليه "إبن حوقل " في كتابه " صورة الأرض" بقوله "هؤلاء عصبة زناتة من لواتة ومزاتة وهم بنو الخطاب ملوك مزاتة وهم من مزاتة أنفسهم، وبنويكدلين وبنويزدرن وبنو عكارة ورماتة ونجاسة، وسيد بني الخطاب اليوم "أبو عبد الله مبارك بن عيسى بن الخطاب بوزويله"، مطاع في أديانه واباعيده ورهطه بنو مزليكش (27).

تكمن أهمية ما ذكره "إبن حوقل" في نقطتين رئيسيتين، تتمثل الأولى في الاشارة إلى عكارة كإحدى هذه المجموعات القبلية البربرية، فبنو عكارة هم الذين انحدرت منهم قبيلة عكارة القاطنة في جرجيس حاليا على حد تعبير "لويكي Leweki"(28). أما النقطة الثانية فتتمثل في الربط بين بني الخطاب وعكارة فالمعطيات التاريخية تؤكد تواجد بني الخطاب قرب جرجيس قبل واثناء مرور بني هلال بالمنطقة ومجيء بني سليم اليها (وخاصة قبائل النوايل والمحاميد والعلايا والحمارنة...الخ) وقد ذكر قصر بني الخطاب –ـ الذي يقع على بعد 25 ميل جنوب جرجيس وهو على آخر سباخ الكلاب من جهة المغرب ـــ من طرف بعض الرحالة والجغرافيين مثل الإدريسي في القرن الثاني عشر الميلادي (29). إن هذا الموقف يتدعم ببعض المعطيات المتعلقة بجزيرة زيزو (قرب جرجيس) التي كان يسكنها قوم ، يقول الادريسي أنهم نكار خوارج مذهبهم الوهبية (30)، غادروا المنطقة وتركوا قصرهم (قصر بني الخطاب الذي لم يعد له اثر الآن) وجزيرتهم زيزو التي اندثرت بدورها بعد أن غمرها البحر وأصبحت تسمى " رأس دزيرة " أو " Banc Dzira " كما عبر عن ذلك " لافيت Lofitte " و" سرفوني Servonnet " (31).

لا بد من الإشارة إلى معطى آخر يدعم فكرة الأصول البربرية لعكارة، يتمثل ذلك في وجود أحد عروش عكارة يسمى عرش التوازيط (32). هذا العرش وقع دمجه ضمن عرش ثان يسمى أولاد سعيد عندما قام "خير الدين باشا" بإصلاحاته الادارية بداية من سنة 1875. ولم يكن عرش التوازيط ينتمي الى احد عروش عكارة الستة من الناحية العرقية ولا يعتبر أفراده من سلالة "سيدي الصياح" الولي جد

---

26 حسن علاقة الأرياف ... مرجع سابق ص 283،

- Tissot, Géographie comparée... op cit p 210

27 إبن حوقل كتاب صورة الأرض دار ومكتبة الحياة بيروت (ب.ت.ط) ص 106.

28 Lewiki (T) du Nouveau sur la liste des tribus berbères d'IBN HAWKAL. in Folia orientalia T.XIII 1977 p.p 187-188.

29 الصادق المغرب ... مرجع ساق ص 173.

30 نفس المرجع ص 173.

31 Lofitte (F) et Sevonnet (J) Le Golf... op cit p 264.

32 الأرشيف الوطني التونسي دفاتر الجباية دفتر عدد693.

القبيلة ومن الناحية الإدارية كان يشكل مشيخة قائمة بذاتها ويقوم بدفع الجباية بطريقة مستقلة الى تاريخ دمجه المشار اليه لكن الذي لفت إنتباهنا بصفة خاصة هي تسمية هذا العرش، وهي تسمية أقرب إلى اللهجة البربرية منها إلى اللغة العربية.

لكن يبدو أن عكارة مثل بقية المجموعات القبلية البربرية في الجنوب التونسي قد تعربت، وبمرور الزمن فقدت خصائصها الثقافية البربرية نتيجة إندثار اللهجة البربرية ثم اضمحلال بعض المؤسسات التي كانت تنسب إلى البربر مثل "الميعاد" و"شيخ العرف" و"شيخ الشرطية" ولو بصفة تدريجية . وترجع سرعة تحول البربر إلى قبائل مستعربة حسب ما تذهب إليه بعض كتب الأنساب من أن أصول البربر هي في الواقع أصول عربية. فعندما نتصفح "كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب" نجد عدة روايات تتفق جميعا في أن أصول البربر هي أصول عربية مشرقية فقيل، أنهم من اليمن، وقيل أنهم من الحميريين هاجروا الى بلاد المغرب ليعمروه، كما قيل أنهم كانوا مقيمين بفلسطين والشام وأخرجهم منها بعض ملوك فارس (33).

إن اضمحلال الخصائص الثقافية البربرية وإندماج المجموعات القبلية البربرية ضمن نسيج اجتماعي وثقافي محلي مغاير بدأ باستعراب هذه المجموعات لينتهي بها الأمر إلى التماهي الثقافي وبالتالي التعرب التام. وإستطاعت هذه المجموعات تعميم بعض ممارساتها الثقافية وإكسابها للآخر الذي تعايشت معه إلى درجة الاندماج. وقد فشلت كل المشاريع التي حاولت ان تعيد إنتاج الكيان البربري وتحويله الى مشروع سياسي بدل الإنتماء الثقافي، ولم تعد تنعت بالبربرية إلا مجموعات صغيرة مثل الدويرات وشنني في منطقة تطاوين.

4- هل أن عكارة قبيلة شريفية مرابطة؟

توجدعدة مؤشرات تدفع عملية البحث إلى هذا الاتجاه، من هذه المؤشرات ما ذكرناه في أسطورة التأسيس والمتعلق بالأصول الشريفة للولي" سيدي الصياح" الشريف المغربي الذي ينحدر من الاصل النبوي الشريف حسبما جاء في وثيقة شجرة النسب المذكورة سلفا. والشريف مفرد شرفاء أو أشراف، وهي كلمة تفيد السمو والعلو، والشريف أيضا هو الرجل الحر الذي ينحدر من أجداد ضاربين في المجد الشيء الذي يجعله يتوق إلى مكانة سامية في المجتمع. وفي مختلف أنحاء المغرب العربي ساد إعتقاد مفاده أن الكرامات والمزايا الحسنة تنتقل من الأباء إلى الابناء فالفرق بين اهل "الفضل" المنتسبين لأصل شريف و"الأرذال" غير المنحدرين من هذا الأصل باتت من الحقائق الاجتماعية التي آمن بها الناس رغم

33 السويدي (أبي الفوز محمد أمين) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب المكتبة التجارية الكبرى القاهرة (ب . ت . ط) ص 102. أنظر أيضا Shatzmiller (M) Le mythe d'origine berbère. Aspects historiographiques et sociaux Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée 35,1983- 1 p 147

المساواة التي جاء بها الاسلام. وبهذا يكون الشريف هو المنحدر من البيت النبوي وعلى الخصوص من ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول (34). لقد كان لقب الشريف يطلق على حفدة الحسن والحسين في كثير من الاصقاع الاسلامية كالحجاز وحضرموت والمغرب العربي ومصر. وكان على رأس الأشراف نقيب في كل من تونس ومصر والمغرب، يطلق عليه إسم نقيب الأشراف ويقع اختياره من بينهم، يكلف بجميع شؤونهم كتقييد أسماء أحيائهم وأمواتهم في سجل الشرفاء من اجل التمتع بنصيبهم من بيت مال المسلمين (35).

وتوجد علاقة تواصلية بين الشريف والمرابط فكلاهما ينتمي الى فئة واحدة هي فئة الأولياء أو الصلحاء كما يسميهم " قلنر ". لقد اعترضتنا كلمة مرابط عدة مرات عند تصفحنا لبعض المخطوطات القديمة المتعلقة بأهالي جرجيس، من ذلك المرابط "سيدي كمون" والمرابط "سيدي تميم" حسب ماجاء في شجرة النسب. ونجد نفس الإستعمال في وثائق الاحباس المتعلقة بجرجيس مثل "المرابط سعيد بن مصدق" و"المرابط الشيباني بن سعد العودي" و"المكرم المرابط علي بن احمد بن مصدق" (36) و"المرابط سعيد العودي" (37). وفي وثيقة مؤرخة بتاريخ 1238 قرأنا ما يلي : "باع وسلم المرابط علي بن رحومة بن عبد الدايم البوعلي العكاري للمبتاع منه(...)إلخ، كما قرأنا "المرابط عثمان بوحافة" (38). وذكر في إحدى الوثائق "الولي الصالح شيخ البركة والصلاح، الشيخ المزار المرحوم برحمة الحي القيوم محمد بن مصدق من زاوية عكارة" (39)، وكذلك الولي الصالح "سيدي مصدق" (40).

تجدر الملاحظة إلى أن مصطلحات عديدة لها دلالات متقاربة مثل مصطلح مربوط ومرابط ومسبل، وتستعمل كلمة "marabout" الفرنسية للدلالة على الولي، ولكن كلمة مربوط في تراث العربي كانت تحمل معنى جهاديا (41) ومن الناحية التاريخية ظهر مصطلح مرابط في فترة ظهور الرباطات والمرابطين في القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، حيث إرتبط هاؤلاء المرابطين بالمقدس الاسلامي وجعلوا أنفسهم في خدمة الحرب المقدسة . إن ظاهرة المرابطين هي إمتداد لظاهرة الشرف والأشراف، فالمرابط عادة ما ينسب نفسه إلى السلالة النبوية الشريفة، بعد ان يكون قد هاجر من الساقية الحمراء لزيارة الحجاز قصد الحج وما يشير اليه ذلك من رمزية دينية مكتسبة ثم العودة والاستقرار بمنطقة معينة في أرياف وقرى ومدن المغرب العربي، مع تمتع المرابط بمكانة إجتماعية ودينية مرموقة،

34 أكنوش (عبد اللطيف) تاريخ المؤسسات السياسية في المغرب بروفانس للنشر الدا البيضاء ص 102.
35 نفس المرجع ص 103.
36 أرشيف ادارة الأحباس ضمن أرشيفات وزارة املاك الدولة وقف سيدي مصدق بجرجيس ارشيف غير مفهرس.
37 نفس الأرشيف وقف جامع الحصار بجرجيس.
38 وثائق بيع وشراء في شكل حجة عثرنا عليها لدى عائلة الصويعي بجرجيس.
39 الأرشيف الوطني التونسي سلسة د صندوق عدد 55 ملف عدد 2
40أرشيف إدارة الأوقاف مذكور سابقا وقف سيدي مصدق
41 Doutté (M) Les marabouts Notes sur l'islam maghrebin, Paris 1900 p 28.

فيتحول بعد ذلك الى جد مؤسس لقبيلة، أو إتحاد قبلي مرتكزا في ذلك على كراماته، وصفاء نسبه الشريف وبركته، فالبركة هي العنصر المكمل للشرف (42) ، وهي من العناصر الضرورية لتحول المرابط إلى ولي، له زاوية تحمل إسمه ويشترط ثلاثة مؤهلات لتأسيس الزاوية وهي وجود أصل شريف، ثم وجود قبيلة مستقلة قوية عن المركز في وقت ومكان يكون فيه حضور الدولة المركزية ضعيفا أو منعدما وأخيرا وجود صورة للتقوى والعلم (43). وهي مؤهلات قد توفرت في الولي جد قبيلة عكارة الذي ينسب للسلالة الشريفة.طبقا لما ورد في شجرة النسب وقد اقام بمنطقة حدودية عرفت بضعف الدولة المركزية وله في العلم والتقوى قول يردد وسلوك يحتذى. إن الولي تشيد له القباب بعد وفاته وتنسج حوله الأساطير ويصبح قبلة للزائرين ومركزا لاقامة الاحتفالات مثل الحضرة والزردة . وإذا ما تأملنا في التوزيع الجغرافي للزوايا والأولياء فسنلاحظ وجود علاقة عضوية بين الزاوية والقبيلة وفي بعض الأحيان بين الزاوية والعرش ولنا دليل على ذلك في قبيلة عكارة التي تنحدر من سلالة الولي " سيدي الصياح "، وينسب أغلب عروشها أنفسهم إلى أولياء يعتبرونهم أجدادهم ، لهم علاقة بشكل أو بآخر بالولي المؤسس جد القبيلة وكمثال على ذلك نجد الولي "سيدي مصدق" الذي ينتسب اليه ويعتقد في ولايته أغلب اللحمات والعائلات من عرش المؤانسة من عكارة، و"سيدي الغول بوقبرين "الذي تنتسب اليه عائلة "الاغوال" ويوجد ضريحه قرب بنقردان، و"سيدي العودي" الذي هو جد "الأعواد والبريكات" ، وهم جميعا يعتقدون أن أجدادهم المباشرين وهم من الأولياء لهم علاقة قرابة مع جد القبيلة الأعلى الولي "سيدي الصياح". إن النظام القبلي قد إحتوى الزوايا وأعاد تنظيمها واضعا إياها ضمن العناصر الأساسية في تشكيل قيمه ومن ثمة تأتي الأساطير والروايات التي تنسجها كل قبيلة والتي تقوم على تمجيد كرامات جدها الشيخ المحلي وقدرته على القيام بأشياء يعجز أولياء اخرين على فعلها. وتجدر الإشارة أيضا إلى تأثر بعض المجموعات القبلية البربرية بظاهرة الشرف، فالإنتماء إلى السلالة النبوية الشريفة يورث ولا يمكن إكتسابه، لكن هذه القاعدة قد اسقطتها كثير من القبائل التي أغراها الشرف منذ مغامرة ادريس الاول في القرن السابع ميلادي، لقد أصبح الانتماء الى الاشراف لقب نبل إتخذه كثير من رؤساء الزوايا (44) ولنا أمثلة كثيرة على انتساب البربر إلى أصل شريف (45). وفي كثير من الأحيان نجد قبائل بربرية تلتف حول أحد الاشخاص من القادمين من الساقية الحمراء

---

42 بورقية (رحمة) الدولة والسلطة و المجتمع دار الطليعة بيروت فبراير 1991 ص 42.

- 43 عن بورقية ...المرجع السابق ص 33

- Hammoudi (A) Sainteté pouvoir et societé tamghrut au 17ème et 18ème siècles, Annales Economie société et civilisation, 35éme année mai aout 1980.

44 بورقية الدولة والسلطة و المجتمع دار الطليعة بيروت 1991 ص ص 40 ـ 41.

45 أنظر دراستنا وثيقة عن الاصول الشريفة .... مرجع سابق، لقد إحتوت هذه الوثيقة أمثلة كثيرة تدل على رواج فكرة إنتساب البربر إلى أصول شريفة ونذكر على سبيل المثال "... وما مغراوة وبني ورتدغين وبني ميمون والصغريون والبدويون، فجدهم إسمه عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عيد الخالق بن علي بن عبد القادر بن عامر بن رحو بن دحو بن صباح بن صالح بن سعيد بن مروان بن يعقوب بن عبد الواحد بن زيان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت الرسول.

والمعروف بورعه وتزهده وإنتسابه أو إدعائه الإنتساب إلى السلالة الشريفة فيصبح جدها ووليها، ألم يصبح الشريف الإدريسي "موسى بن عبد الله" جدا ووليا لإتحادية ورغمة المعروفة بإنتمائها البربري؟ ألم تقل لنا المصادر التاريخية ان قبيلة عكارة هي قبيلة ذات أصول بربرية من زناتة ؟ إلا أن الروايات الشفوية بل المنظومة الرمزية العكارية جعلت من "الولي الصالح والزناد القادم سيدي الصياح الشريف المغربي " حسب ما ورد في بعض المخطوطات الارشيفية (46) جدها المؤسس للقبيلة ووليها الصالح صاحب الكرامات والمزايا.

5- عكارة ليبيا :

يسود إعتقاد لدى بعض أهالي جرجيس مفاده أن قبيلة عكارة التي ينتمون إليها تنحدر من أصول ليبية. وقد هاجر جزء منها ليستقر بجرجيس ، ومازالت الذاكرة الشعبية تحفظ بعض الروايات حول مغادرة هذه العائلة أو تلك لمركز إقامتها بإحدى القرى أو المدن الليبية مثل عائلة " الشهيوات" أو "زويليمة "و يتدعم هذا الرأي ببعض المؤشرات التي من بينها وجود منطقة تسمى باب عكارة في شرقي طرابلس، كما توجد فروع لقبيلة عكارة في منطقتي بن غشير والسواني، إضافة لما ورد في "معجم سكان ليبيا" من إشارات تدل دلالة واضحة على أن بعض السكان ليبيا هم من قبيلة عكارة، كما يبرزه الجدول التالي :

جدول فروع قبيلة عكارة بليبيا(47)

إسم القبيلة أو العرش	الفرع	عائلاتها	ملاحظات
عكارة	أولاد أبي سيف بمزدة	ـــــ	لها أصل مشترك مع عكارة النواحي الأربعة وعكارة جرجيس
عكارة	تنحدر من مجموعة خويلد بزوارة	ـــــ	تقيم بتاغمة
عكارة	من عكارة ردود الزاويةالرقيعات النواحي الأربعة	المكحل، زيدان، اللافي،أبوتلة	من قبائل جنزور

46 المرجع السابق، أرشيف وزارة أملاك الدولة رسوم أحباس زاوية سيدي الصياح قرب جرجيس.
47 لقد قمنا بصياغة هذا الجدول بالإعتماد على :
معجم سكان ليبيا الذي قام بتصنيفه خليفة محمد التليسي دار الريان - ليبيا 1991 ص - ص 262 - 263 - 138- 176- 194 - 195 - 207 - 233 - 62.

عكارة	ـــــ	الشهيوات، العوانين، الختاتلة، الكباريون، أولادمبارك	إحدى قبائل النواحي الأربعة بضواحي طرابلس
عكارة	من ردود الزاوية	البطالمة، الزواليم،اللفاي الروابح، الشهيوات، العوانين، الكباريون، الختاتلة	ـ الشهيوات والعوانين من عكارة تونس ـ الختاتلة من أولاد عامر من فسطاو
اللعابة	من عكارة جرجيس	ـــــ	ـــــ
الذويبات	من قبائل عكارة فرع الأهالي	أولاد الحاج علي، أولاد الحاج خليفة، أولادمحمد، أولاد سعد، أولاد بن رمضان	هم إخوةلأولاد شاكر بمسلاتة وإخوة لعرش الطرش من عكارة
الرفيفات	من قبائل الأهالي فرع عكارة	الأشياب، البساكنة، الملكيات، القنابرة، الوفيات، أبناء كريم	ينسبون أيضا إلى بطون دياب، جزم بني سليم
السعادى	عرش من فروع عكارة أصلهم من برقة	أولاد بن آدم، الأصفاح	هم أخوة لقبائل السعادى بجنزور
السعفة	فرع من عكارة	الشقاليف، العبيات، أولاد موسى، أولاد بن الحاج	ـــــ
الشرفاء	فرع من عكارة	القنافذة،أولاد أبي كرازة، أولاد رحومة، الرويسيون	لهم أصل مشترك مع شرفة الساحل
أولاد خويلد	فرع ينسب إلى عكارة وينحدرون من أولاد خويلد بزوارة	التلالسة، أولاد بن هجين، عيال الحاج، الشواشنة	ـــــ
الطرش	من فروع عكارة من الأهالي	أولاد معتوق، الرحومات، الفراتحة، أولاد الحكيمي، أولاد بن صالح، أولاد غريبي	هم أولاد شاكر بمسلاتةو ينسبون أيضا إلىبعض بطون بني هلال

تجدر الملاحظة إلى أن كثيرا من المعطيات التي أوردها "التليسي" وقمنا بإدراج بعضها ضمن هذا الجدول تتسم بعدم الدقة وبالضبابية والتناقض في بعض الأحيان مثل إنتساب خويلد إلى عكارة ليبيا في حين أنهم يصنفون ضمن القبائل التي إنتسبت إلى عكارة جرجيس،وإنتماء عرش الطرش إلى فروع عكارة من الأهالي والإقرار في نفس الوقت بإنتمائهم إلى إحدى بطون بني هلال . لاشك أن بعض الثغرات والأخطاء الواردة في "معجم سكان ليبيا" المتعلقة بعكارة وببعض القبائل الأخرى ترجع إلى طبيعة هذا العمل الذي قام بنقله "التليسي" عن كتاب "سكان ليبيا" الذي وضعه الإيطالي "أغسطيني" في

إطار إكتشاف الإدارة الإستعمارية الإيطالية لمكونات البناء القبلي بليبيا (48). وتكمن أهمية هذا العمل بالنسبة لهذا البحث في المعطيات المتعلقة بعكارة ليبيا الذين لهم حجم كبير ضمن بقية القبائل الليبية كما يبرزه المصنف، وهو ما يدفعنا الى التساؤل ثانية هل أن عكارة هي قبيلة ليبية قد هاجر جزء منها للاستقرار بجرجيس وبعض المناطق الاخرى أم العكس هو الصحيح؟

تتفق بعض المراجع التاريخية وخاصة المؤلفات الفرنسية منها على أن أصل نشأة قبيلة عكارة كان في المنطقة الممتدة بين رأس جدير في الحدود الليبية ورأس مرمور في الساحل الشمالي قرب جزيرة جربة وأن جزءا من هذه القبيلة قد هاجر للإستقرار بطرابلس وببعض المناطق الليبية الأخرى. لكن يوجد إختلاف حول الفترة التاريخية التي وقعت فيها الهجرة. فالرواية الشعبية تذهب الى إعتداء النوايل على عكارة بالتحالف مع أولاد شبل في نهاية القرن السادس عشر الميلادي هو السبب المباشر لهذا الانتقال للأراضي الطرابلسية. أما الضابط الفرنسي "بايي" فيذهب إلى أن هذه الهجرة كانت ضرورية بعد أن كبر عدد افراد القبيلة وأصبحت الموارد الإقتصادية لا تلبي الحاجة، مما حدا بجزء من القبيلة إلى أن تهاجر، فآتجهت مجموعة إلى شرقي طرابس وقررت الإستقرار هناك (49). وآختارت بعض المجموعات الأخرى الإتجاه إلى الساحل التونسي والوطن القبلي وجهة بنزرت (50). ويقدم لنا "فيولار Violard" تصورا آخر يتسم بنوع من الواقعية، فقد أشار إلى أن إنضمام عكارة الى صف الحسينية ابان الصراع الباشي الحسيني وما حققته الباشية من إنتصار مؤّقت جعل القبائل الواقعة في صفها تعتدي على القبائل الحسينية، من ذلك قبيلة عكارة التي خضعت لإعتداءات قبائل النوايل والصيعان والمحاميد الطرابلسية المنتمية للصف الباشي، إن هذه الإعتداءات قد دفعت بعكارة إلى الهجرة إلى طرابلس والبقاء هناك مدة خمسين سنة، إلى أن إنتصر "علي باي بن حسين بن علي" فرجع جزء من قبيلة عكارة الى جرجيس تحت حمايته وأسس لهم البرج المعروف بالبرج الحسيني في السنوات الستين من القرن الثامن عشر، ويقول " فيولار" أن جزءا من عكارة قد آثر الإستقرار بالمنطقة الطرابلسية وعدم العودة إلى جرجيس ومن ثمة تشكلت نواة قبيلة أصبحت تعرف بعكارة ليبيا (51).

6- عكارة جرجيس :

يقصد بعكارة جرجيس النواة الأصلية للقبيلة التي إستقرت في المنطقة المعروفة "بدخلة جرجيس "أو "دخلة عكارة" وهي التسمية التي كان يحبذها ضباط الإدارة الفرنسية، وآمتدت أراضي عكارة جرجيس

---

48 نفس المرجع أنظر مقدمة الكتاب

49 Bailly, Notice ... op cit p 8.

50 Bauron (P) De Carthage au sahara tours 1892 p 280

51 Violard ; L'extrême sud Tunisien tunis la rapie 1905 p 56.

ـ منذ منتصف القرن الثامن عشر تاريخ تأسيس البرج الحسيني ـــ من رأس مرمور في الشمال إلى رأس جدير شرقا وقد كانت هذه المنطقة إبان الفترة الإستعمارية خاضعة لمراقبة "مخزن جرجيس" الذي يتم تجنيد عناصره من أفراد عكارة وقد كان مقره "علوة الغنة " أو الشوشة .

و بالرغم مما أصبح معروفا لدينا من أن الجذور البعيدة لقبيلة عكارة ترجع إلى اصول بربرية حسب بعض المصادر التاريخية كما أشار الى ذلك "إبن حوقل" في كتابه "صورة الأرض" فإن الرأي السائد لدى أفراد قبيلة عكارة وما توارثوره من روايات شفوية، هو إنحدارهم من سلالة الولي الصالح " سيدي الصياح" الذي يوجد ضريحه قرب مدينة بنقردان في الحدود الليبية، وقد مكن ذلك عكارة من ملكية الأراضي المتاخمة لضريح جدهم. ولا شك أن هذه المنطقة لم تكن خالية تماما من السكان، فقد آثر الولي الصياح وأبنائه وافراد عائلته ومن معهم عند قدومهم من الساقية الحمراء المحافظة على التسمية التي يعرف بها سكان هذه المنطقة وهي تسمية عكارة. كما إختار هؤلاء السكان الإندماج ضمن مجموعة الولي الصياح وأبنائه والقبول بسلطة هذا الولي والخضوع لإمرته، مما وفر لهم سلطة دينية ومكانة إجتماعية قد مكنتهم من عدة مكاسب مادية ورمزية بين القبائل.

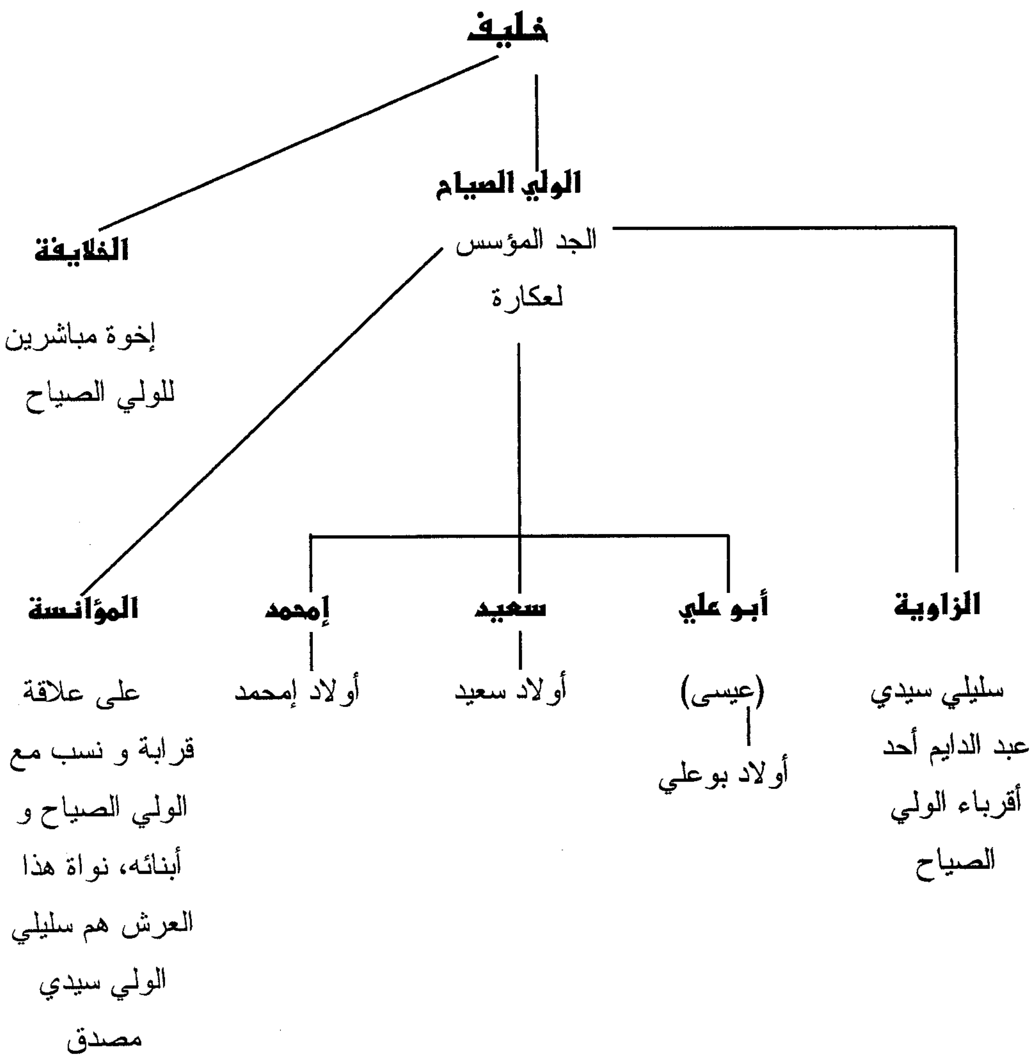
II- توزيع العروش

سننطلق في هذا الجزء من البحث من الفكرة الأكثر رواجا وقبولا من طرف اهالي جرجيس، فالجد المؤسس للقبيلة هو الولي "سيدي الصياح العكاري" أما ابناؤه فهم "أبو علي" (بوعلي) وهو الإبن الأكبر ويسمى "عيسى" حسب وثيقة شجرة النسب، و"سعيد" هو الابن الأوسط و"إمحمد " الإبن الأصغر، ويعتبر الابناء الثلاثة بمثابة المؤسسين لثلاثة عروش من قبيلة عكارة وهم " أولا بوعلي "، "أولاد سعيد"، "أولاد إمحمد"، أما بقية العروش فهم عرش الخلايفة الذي ينحدر أفراده مباشرة من سلالة "سيدي خليف" والد "سيدي الصياح" فهم إخوة "الشيخ الصياح"، وتشير الرواية الشفوية إلى أن عرش الزاوية ينحدر من سلالة أحد مرافقي "سيدي الصياح" ويدعى "سيدي عبد الدايم" اما العرش السادس المكون لعكارة فهو عرش المؤانسة الذي تنتسب نواته الرئيسية إلى الولي الصالح " سيدي مصدق ". وحسب "بابي" فإن قبة "الوالي سيدي الصياح" توجد قرب بلدة بنقردان وتحتوي ضريح كل من الاب وابنائه الثلاثة وهم"بوعلي وسعيد وإمحمد"، وغير بعيد عن ذلك توجد قبة "سيدي عبد الدايم" التي تكاد تندثر،ولا تبعد قبة سيدي خليف سوى بعض الأمتار عن قصر بنقردان (52). ويمكن أن نضع رسما تقريبيا للولي الصياح وابنائه واقاربه ومن انضم إليه (53).

---

52 Bailly notice ... op cit p 10

53 قمنا بصياغة هذا الرسم بالإعتماد على دراسة Bailly ...op cit p 10 Bedaux ...op cit p45 وعلى بعض الروايات الشعبية المتواترة بجهة جرجيس.


خليف
الولي الصياح
الجد المؤسس
لعكارة
الخلايفة
إخوة مباشرين
للولي الصياح
الزاوية
سليلي سيدي
عبد الدايم أحد
أقرباء الولي
الصياح
أبو علي
(عيسى)
أولاد بوعلي
سعيد
أولاد سعيد
إمحمد
أولاد إمحمد
المؤانسة
على علاقة
قرابة و نسب مع
الولي الصياح و
أبنائه، نواة هذا
العرش هم سليلي
الولي سيدي
مصدق

1 - أولاد بو علي :

يعتبر هذا العرش من أكبر العروش بجرجيس، وينحدر مباشرة من" أبوعلي " (عيسى) إبن الولي" سيدي الصياح "، ويعتبر هذا العرش من أوائل المستقرين بجرجيس يدل على ذلك مكان استقراره قرب البرج الحسيني، أين قام أفراد هذا العرش بتشييد قصرهم الذي يعرف بقصر الشلبة الذي يمثل النواة الحضرية الاولى وأبرز المراكز الاقتصادية بجرجيس التي أدت إلى استقرار عكارة.

ويتكون عرش " أولاد بو علي " من مجموعات (لحمات) تتفرع بدورها الى مجموعة من العائلات ويمكن تصنيفها كما يلي (54) :

	الزمامطة	أولاد بودور
		الزمامطة
		التركة
		أولاد عبد اللطيف
	اللهايبة	الكشالفة
		ضويمر
		اللهايبة
		التواجير
	المشاركية	الخنسة
		العرايضية
		المشاركية
		الجوامعية

54 قمنا بصياغة هذا الجدول إعتمادا على :

- Bailly...op cit p 11
- Nomenclature et repartition des tribus de Tunisie chalon sur sone 1900p 297.

حوارات مع أعيان عرش أولاد بوعلي بجرجيس ومنهم خاصة الحاج منصور بلهيبة والشيخ البشير بن عزالة، والمرحوم الخوجة الحاج حسن خنيسي . تجدر الإشارة إلى أن بعض اللحمات والعائلات تنسب نفسها إلى أصول طرابلسية كعرش اللهايبة الذي يقول أحد اعيانه (منصور بلهيبة) أن أصل تسمية عرش اللهايبة متأت من أبو الهيبة وهو شخص قدم من المشرق، ونفس التفسير يعتمده افراد من عرش المشاركية فالمتواتر لديهم هو أن جدهم قد قدم من الشرق ويسمى ابو المشارق، ويتميز عرش لغوال بأنحداره من سلالة الولي الصالح الغول بوقبرين الذي يوجد ضريحه قرب بنقرادان، ويقول أفراد هذا العرش أن جدهم ينحدر من سلالة الولي الصالح سيدي الصياح.

أولاد بوعلي	أولاد الحاج	المصابيح
		أولاد بن عيسى
		الذويبات
		أولاد عبد الحفيظ
	الأغوال	أولاد مرزوق
		أولاد بن سعيد
		أولاد بلغول
		أولاد بن غزالة
	العبايرية	الكلشة
		العبايرية
	الشويخات	القحالصة
		البيض
		الصهابنية
		الرحيمات
		أولاد لطيف
	النطاطحة	الشتيوي
		النطاحي
		السعداوي
		العدادلة
	الحيف	الصويعات
		الحيف
		الغمامضة

	الهنود	الشهيوات
		الجبانين
		الهنود

2 - أولاد سعيد :

ينحدر هذا العرش من سلالة "الولي الصياح" مباشرة عن طريق إبنه الأوسط " سعيد"، وقد إستقر هذا العرش بجرجيس في فترة مبكرة، وذلك بعد ان وقع بناء القصر الذي يحمل اسم العرش والذي لا يبعد عن برج الحصار سوى بعض المائات من الامتار، وحسب دفاتر الجباية فإن عرش أولاد سعيد وإلى حدود سنة 1875 لم يكن يضم سوى عدد صغير من الأفراد (55). ولكن مجيء "خير الدين باشا" الى هرم السطة سنة 1874 وما صاحبه من إصلاحات إدارية قد إدى إلى دمج عرشي" أولاد سعيد" و"التوازيط " تحت إسم "أولاد سعيد" (56) الذي يتكون حسب هذا الجدول من اللحمات والعائلات التالية(57).

أولاد سعيد	الملالشة	أولاد مهيرة
		العرايضية
		أولاد بوزيد
		أولاد صالح
		الفريعات
	التوازيط	المواليد
		النويلية
		الأكوات
		الشنيبات
		العلالقة

55 الأرشيف الوطني التونسي دفتر الجباية عدد 693.

56 الأرشيف الوطني التونسي السلسة التاريخية مراسلات عمال الأعراض صندوق 42 ملف 481.

57 تم الاعتماد في صياغة هذا الجدول على Bailly...op cit p11 وكذلك على نتائج الحوار مع الشيخ الحاج البشير المناكري أحد أعيان عرش أولاد سعيد بجرجيس.

3- أولاد إمحمد :

ترجع أصول هذا العرش إلى الإبن الأصغر "للولي سيدي الـــصياح" المسمى "إمحمد" وقد شيد أبناؤه قصرهم المعروف بقصر أولاد إمحمد قرب قصر أولاد سعيد إبان بداية استقرارهم بجرجيس. تميز هذا العرش بصغر حجمه حتى ان المحلة التي تقوم بجمع المجبى لم تُحص إلا 37 شخصا من هذا العرش قادرين على دفع الجباية سنة 1855م(58). وينقسم عرش اولاد امحمد إلى أربع عائلات كبرى وهي العبشة، الصيودة، أولاد الوفيني والحدادة (59).

4- الخلايفة :

إن أفراد هذا العرش هم إخوة مباشرون لعكارة لأنهم ينحدرون مباشرة من سلالة والد "الولي الصياح" المسمى "سيدي خليف" والذي يوجد ضريحه قرب بلدة بنقرادان، وعلى عكس بقية عروش عكارة فإن هذا العرش لم يشيد قصرا خاصا بل إشترك مع عرش المؤانسة في نفس القصر . ويتميز عرش الخلايفة – كما هو الشأن بالنسبة إلى أولاد إمحمد – بصغر حجمه فلم يتجاوز عدد القادرين على دفع المجبى من افراده سنة 1855، 40 شخصا (60). وقد ارتفع عدد أفراد هذا العرش بعد إصلاحات كل من "خير الدين باشا" الإدارية والضابط الفرنسي "لكلارك" وهو ما أدى الى دمج مجموعات قبلية أجنبية (من خارج جرجيس) مع عرش الخلايفة (61) الذي ينقسم الى مجموعة من العائلات يمكن تصنيفها كما يلي (62):

الخلايفة	أولاد الجزيري
	أولاد الدخلي
	أولاد بن سليم
	أولاد الجليدي
	الغنانذة
	أولاد الحاج

58 دفتر الجباية رقم693المحفوظ بأرشيف الحكومة التونسية

59 Bailly... op cit p 11 ; Nomenclature... op cit p 298.

60 دفتر الجباية عدد 693 مرجع سابق.

61 توجد فكرة سائدة لدى أهالي جرجيس ويتواترها أجيال عكارة مفادها أن عرش الخلايفة لم يكن في الواقع سوى عرش مجموعات الطياش واليهود، لكن هذا الرأي مجانب للوقائع التاريخية، فعرش الخلايفة يشكل جزءا من قبيلة عكارة، إلا أن الاصلاحات والتغييرات الإدارية المذكورة قد ضمت عددا كبيرا من اليهود وخاصة الطياش فأصبح اهالي جرجيس يعتقدون أن الخلايفة من أصول غيرعكارية.

62 Bailly ... op cit p 12.

5- الـــــــزاوية :

ينحدر هذا العرش من سلالة الولي الصالح "سيدي عبد الدايم" أحد اقارب "الولي الصياح" أو أحد مرافقيه، وتقول بعض الروايات الشفوية أن أفراد عرش الزاوية هم سليلي الولي "سيدي الصياح" من ناحية الأم، وتشير نفس الروايات إلى أن الجد المباشرلعرش الزاوية أي" سيدي عبد الدايم " ينتسب إلى شخص يسمى "عبد الحميد الزاوي" قدم من منطقة الزاوية من التراب الطرابلسي، وكان يعرف بعلمه وتدينه الشديد، ولما أقام قرب "الولي الصياح" وأفراد عائلته في المنطقة المتاخمة للبلاد الطرابلسية، زوجه هذا الولي من إحدى بناته التي انجبت له "عبد الدايم" الذي اصبح الجدالمباشر لعرش الزاوية (63). ويعرف هذا العرش بدوره الديني وقد يكون ذلك سبب إكتسابه تسمية الزاوية التي تسمى كذلك بزاوية زموش كما جاء في بعض دفاتر الجباية (64). يعرف عرش الزاوية بالقصر الذي يحمل نفس الإسم وقد وقع تشييده في الفترة التي قام فيها "علي باي" ببناء برج جرجيس ويتكون عرش الزاوية من ثلاثة لحمات كبرى إنقسمت كما يلي (65).

الزاوية أولاد سيدي عبد الدايم	أولاد عبد الكريم
	الحوافي
	الصيايحة

6- عرش المؤانسة :

يعتبر هذا العرش من أكبر عروش جرجيس و تجمعه صلة قرابة ونسب مع المنحدرين من سلالة الولي الصياح يدل على ذلك قيام افراد هذا العرش بزيارة ضريح " الولي الصياح" جد عكارة والتبرك به ضمن التقاليد المتعامل بها والتي تنظر إلى هذا الولي على أنه جد كل قبيلة عكارة. و تشير وثائق الملكية ومحاضر الأحباس إلى وجود إرتباط بين كلمتي "مونسي" نسبة الى عرش المؤانسة والعكاري (نسبة لقبيلة عكارة). ويبدو أن فروع هذا العرش وبحكم تفرع أصولهم وتعددها قد التفوا حول "الولي سيدي محمد مصدق" الذي أسست له زاوية أولى لا تبعد سوى بضعة أمتار عن كل من جامع وبرج

63 نقلنا هذه الرواية عن الطاهر الكنيس أحد أعيان عرش الزاوية.
64 دفتر الجباية عدد 693 مرجع سابق.

65 Bailly ... op cit p 11

الحصار، وزاوية ثانية قرب مركز إستقرار هذا العرش و الذي يعتبر الجد المؤسس لنواة رئيسية هي "لحمة القريرات" بصفة خاصة وعرش المؤانسة بصفة عامة.

لقد قام أفراد عرش المؤانسة بتأسيس قصرهم الذي كان يكتسي أهمية إقتصادية لتكونه من حوالي 887 غرفة ــ يشتركون فيه مع عرش الخلايفة ــ على حد تعبير المؤرخ الفرنسي "مرتال" (66) دون الإشارة إلى الفترة التاريخية التي تأسس فيها هذا القصر. ويتكون عرش المؤانسة من اللحمات والعائلات التالية (67).

عرش المؤانسة	**العنايقة**	العبابدة
		الشراردة والربيعات
		المجاعة
		المحابيك
		الأجباو
		النواجحية
		الجنايحية
		الرقيبات
	الهلة	الشفاترية
		المحاريق
		البعاجيل
		المطامطة
		الباعيش
		الشفافرة
		البيض والعواشير
		الجوايدة
		الختاتلة
		الفالغية

66 Martel (A) Les confins ... op cit p 81

67 الأرشيف الوطني التونسي السلسلة أ صندوق 182 ملف 23 ؛

- Recensement de la Fraction de Mouensa, Déposition 5 août 1903

– حوار مع كل من الحاج محمد الابيض (الرقاد)، والحاج الساطوري بن عمارة مطيمط من أعيان عرش المؤانسة.

		المجاذيب
		الكساكسة
		الهندة والزرونة
	الشنادة	الدواهشية
		بوزمة
		أولاد الشيخ
		أولاد خليفة
		أولاد بن براهيم
		الذوايبية
		الدعابيك
		البطاينية
	القريرات	التركة
		الصلع والصرايرية
		العطايا
		المصادقية
		التراسمة
		العواوجة
	العواوجة	المازيز
		الرواشدية

بعد أن تعرّضنا لمكونات كل لحمة من لحمات المؤانسة لابد من الإشارة إلى أن الذاكرة الشعبية لا تحفظ لنا تفسيرا معينا لأسماء هذه اللحمات وهي الهلة، القريرات، الشنادة، العتايقة والعواوجة من عرش المؤانسة.كما أن كثيرا من العائلات قد وفدت من خارج جرجيس لتجد مكانها داخل أحد عروش عكارة في إطار محاولة كل عرش الزيادة من عدد أفراده لتوسيع دائرة ملكية الأراضي التي مازالت على الشياع. إن استقرار كثير من المجموعات القبلية الليبية بجرجيس في فترات تارخية مبكرة قد مكنها من الإندماج ضمن مختلف عروش عكارة. إلا أن بعض المجموعات التي هاجرت الى المنطقة متأخرة قد اصبحت تعرف بالطياش وهي نفس التسمية التي كانت تطلق على مجموعات عكارة التي هاجرت الى مناطق أخرى في القطر التونسي مثل الأعراض والساحل ودخلة المعاويين. أما السود الذين استقروا بجرجيس لسبب أو لآخر فقد اطلقت عليهم تسمية الشواشين.

7 – بقية المجموعات المنتمية إلى عكارة جرجيس :

هاجرت هذه المجموعات من " أوطان" مختلفة، واستقرت بجرجيس مع محافظتهم على إنتائهم القبلي والعروشي وبالتالي عدم الإندماج بأحد عروش عكارة إلا في فترة متأخرة أي بعد إصلاحات " خير الدين باشا " الإدارية سنة 1875، أو مع التغييرات الإدارية التي وضعها الضابط الفرنسي "لكلارك Leclerc" بداية من سنة 1892 . وتنقسم الى الفرق التالية :

– **أولاد شبل** : ينتمي أولاد شبل إلى أصل طرابلسي، وهم جزء من قبيلة حاملة لنفس الإسم مقيمة بشكشوك بليبيا .و من أهم عائلاتها القواسم، الحققاء، أولاد احمد والفواخر. وتقول الروايات الشفوية المحلية أنهم من المحاميد ولكن المؤرخ الطرابلسي " النائب " يضمهم إلى أولاد شبل من قبيلة رياح من أصول هلالية (68). وقد حافظ أغلب المنتمين إلى مجموعة أولاد شبل الذين إستقروا بجرجيس على لقبهم القبلي، وإستقر عدد كبير منهم بمنطقة حسي الجربي .

– **أولاد نوير** : حسب " التليسي " فإن أولاد نوير هم أبناء عمومة مع أولاد شبل (69)، وقد عملوا في جهاز المخزن بجرجيس وقاموا بمراقبة الحدود مع ليبيا. لكنهم كانوا مستهدفين من طرف قبيلة النوايل الليبية، إذ سقط حزء كبير من أولاد نوير ضحية لإعتداءاتها. ويقول "بايي" أن أفراد هذا العرش كانوا يتقدمون عكارة في المحافل التي كانت تقام لتقبيل يد الباي وكان الجزء الأكبر من العطايا والجوائز التي يمنحها الباي لميعاد عكارة الموفد اليه تخصص لأولاد نوير في مقابل الخدمات التي كانوا يقومون بها(70).

– **وريمة** : ترجع هذه القبيلة لأصول طرابلسية، يسمى جد القبيلة "سيدي مصباح " ويوجد ضريحه ببلدة رقدلين الليبية، تعرف هذه القبيلة أيضا بإسم الصوالح وتقيم بكل من زوارة ورقدلين وأهم عائلاتها أولاد خليفة، الفقهاء، وأولاد عبد الجليل، وأولاد موسى، أولاد بن موليد، الشباشية. ولوريمة فرعين آخرين هما وريمة العجيلات ووريمة جنزور وهم اخوة لوريمة رقدالين (71). ورغم الإقامة المبكرة

---

68 التليسي معجم ... مرجع سابق ص 70.
69 نفس المرجع والصفحة.
70 Bailly ... op cit p 13
71 التليسي معجم ... مرجع سابق ص 377.

لجزء كبير من أفراد هذا العرش بكل من جرجيس وجزيرة جربة، فإن الضابط " بايي " يحدثنا عن إعتداءات متكررة قامت بها فروع وريمة في رقدالين وزوارة ضد قبيلة عكارة (72).

- **زواغة** : هي قبيلة ذات أصول بربرية إمتدت فروعها بين طرابلس وقابس (73). لكن مجموعة زواغة المصنفة ضمن بقية مجموعات عكارة بجرجيس قد هاجرت من مدينة صبرة مركز القبيلة القديم أو صبراته الإسم الجديد للمدينة، ويذهب "التليسي" إلى أن مجموعة زواغة المقيمة بليبيا تصنف ضمن قبائل العلالقة وأهم عائلاتها أولاد مبارك، أولاد مسعود، أولاد الفقيه، الشواميط، المخابشة، المسالمية (74). وقد حافظ جزء من افراد عرش زواغة المقيمين بجرجيس على لقبهم القبلي، بينما يحمل الجزء الآخر ألقابا أخرى (75).

- **مارغنة** : تنحدر هذه المجموعة من أصول طرابلسية وتحديدا من قبيلة الزاوية، وتنقسم قبيلة مارغنة الليبية إلى عدة فروع وهم مارغنة الطينة، مارغنة الرقاقصة ومارغنة رأس العين (76).

- **ماقورة** : هم جزء من قبيلة زواوة ذات الأصول البربرية القاطنة بشرق الجزائر في الجبل الذي يحمل نفس الاسم. وقد وقع تكليفهم بحماية برج جرجيس باعتبارهم جزء من فرقة زواوة العسكرية منذ تأسيس برج الحصار في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي . يوجد جزء هام من ماقورة بكل من بلدة بنقردان المجاورة لجرجيس وبمدينة صرمان الليبية. وكانت هذه المجموعة تطمح إلى تشكيل مشيخة مستقلة عن بقية مشيخات عكارة بجرجيس عند بداية الإحتلال الفرنسي لجرجيس (77).

- **البريكات** : جدّ هذه القبيلة هو الولي "سيدي العودي بو مغارة" الذي يوجد ضريحه قرب بلدة بنقردان وتتشكل هذه القبيلة من مجموعة الأعواد إضافة الى المجموعة الأم . هي قبيلة زاوية، انتصبت بالمنطقة منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي. تشير كثير من وثائق الأحباس المتعلقة بجهة جرجيس

---

72 Bailly ... op cit p 8

73 البكري المسالك ... مرجع سابق ص – ص 17-18، التيجاني الرحلة ...مرجع سابق ص 211

74 التليسي معجم ... مرجع سابق ص 187.

75 من ذلك لقب الكواش نسبة إلى "سيدي منصور الكواش" الموجود ضريحه بليبيا أنظرنفس المرجع والصفحة.

76 Bailly... op cit p 13 ; التليسي معجم ... مرجع سابق ص 326

77 Bailly ... op cit p 13 ، التليسي ... مرجع سابق ص 327.

الى تحبيس أفراد من قبيلة البريكات لأملاكهم من أراضي بيضاء وزياتين ونخيل على جامعي الحصار والحشربجرجيس. ولهذه القبيلة عدة فروع في ساحل البلاد وشمالها (78).

- **خويلد** : يوجد جزء من هذه المجموعة بجرجيس أما الجزء الآخر فقد إستقر بليبيا، وفي حين أن أولاد خويلد ينتسبون إلى عكارة ليبيا، فان قبيلة خويلد تنتسب الى مؤسسها " سيدي أبو شوشة " دفين بلدة زلطن الليبية ويسود إعتقاد مفاده أن جد خويلد هو من قبيلة النوايل الليبية (79).

- **الشياب:** هي مجموعة قبلية ذات أصول طرابلسية يقول "التليسي" في معجمه أنها تنحدر من أصول شريفية إذ أن جدهم "سيدي محمد بن سالم" دفين مدينة الجوش الكبير، ينحدر بدوره من سلالة "سيدي شيبة الصحابي"، وينقسم شياب ليبيا الى ثلاثة أقسام وهم شياب الزنتان، شياب يفرن، وشياب غريان (80). وينسب شياب جرجيس أنفسهم إلى جدهم "سيدي إمحمد الهوش" الذي يوجد ضريحه بمنطقة حمادي بجرجيس.

- مجموعات أخرى :

يحدثنا دفتر الجباية عدد 693 عن مجموعات قبلية أخرى إستقرت بجرجيس مثل القويات والنقاقة والعجيلات والزغيوات، وقد إندمج بعض هذه المجمَوعات ضمن عروش عكارة ، و منها من عاد إلى ليبيا نظرا لانحدارها من أصول طرابلسية مثلما هو الشأن بالنسبة لمجموعة العجيلات.

8 - عرش طياش عكارة بالساحل :

يقصد بهم مجموع عكارة الذين هاجروا من جرجيس وإختاروا الإقامة بالساحل وقد أطلقت عليهم تسمية طياش نظرا لأنهم غرباء مقارنة بالمجموعات أصيلة المكان . وبالاضافة لطياش عكارة بالساحل، فإن دفاتر الجباية قد أمدتنا بمعطيات حول وجود مجموعتين أخرتين من طياش عكارة تسمى الأولى عكارة العليان بالدخلة وتقيم بدخلة المعاويين بالوطن القبلي، ويطلق على الثانية إسم عكارة المؤانسة في الأعراض وتقيم بمنطقة قابس (81).

---

78 الأرشيف الوطني التونسي دفتر الجباية عدد 693، Bailly ... op cit p 13، أوقاف جامعي الحصار والحشر ضمن أرشيف وزارة أملاك الدولةالذكر سابقا، أنظر كذلك لحمر (المولدي) التواصل والقطيعة في الحياة السياسية بالريف التونسي الفرد والمجموعة والدولة (مثال اولاد قادر) ضمن :

- Les transformation actuelles des soccietes rurales du maghreb actes du colloque organise en avril 1993 serie 7 volume 5 Faculté des sciences humaines et sociales de Tunis 1996 p 64.

- يشير كاتب هذه الدراسة إلى وجود مجموعة قبلية تسمى البريكات ضمن مجال دراسته.

79 التليسي معجم ... مرجع سابق ص 158.

80 التليسي... نفس المرجع ص 217.

81 الأرشيف الوطني التونسي دفاتر الجباية دفتر عدد 761.

ويبدو أن عرش عكارة الساحل هو الأكثر أهمية مقارنة ببقية الطياش من عكارة حتى أن بعض الروايات الشفوية بجرجيس مازالت تشير الى أن بعض قرى الساحل قد أسست من طرف بحارة جرجيس، وتقع الإشارة بصفة خاصة الى قرية "خنيس" (82). يوجد مؤشر آخر يدل على اهمية مجموعة طياش عكارة بالساحل ويتمثل في تمتع هذا العرش بتنظيم إداري خاص به حيث يوجد شيخ يرعى شؤونه الإدارية كما تبينه المعطيات الواردة في الوثيقة التالية المؤرخة في عام 1300 هجري : "الحمد لله بعد أن ورد مكتوب من الأجل المحترم الوجيه الأبي، سيدي صالح بن عبد الوهاب خليفة الأعراض بالحاضرة في طلبه الأجل الشيخ ضو بن علي خليفة طياش الأعراض بالساحل مضمونه أن عرش عكارة الذين بالساحل يتفقون على شيخ يليق بهم بشرط ضمانهم بحيث إن ترتب بذمته شيئا من مال الدولة فهم المطالبون به والمؤدون عنه ذلك... أذن الأجل الشيخ المذكور بنقل الشهادة عن العرش المذكور ... حضر لدي وشهد به المكرم عمار بن محمد المحروق والمكرم زايد بن المنافق... الجميع من عرش عكارة وأشهد جميعهم، أنهم يعرفون المكرم الإحيول بن رحومة الإحيول العكاري معرفة صحيحة تامة وإسما ويشهدون مع ذلك بأنه من أهل الخير والصلاح والفقه والنجاح ممن يصلح أن يكون شيخا عليهم لتعاطي امورهم العرفية السياسية في الخلاص والقبض لمال الدولة...الخ (83).

وينقسم عرش عكارة بالساحل والدخلة والأعراض إلى قسمين، القسم الاول قد هاجر الى هذه المناطق في فترات مبكرة مقارنة باستقرار القبيلة الأم بشبه جزيرة جرجيس ويدل على ذلك حضور الإنتساب إلى القبيلة في الألقاب، أي أن لقب العكاري هو الأكثر إستعمالا نظرا إلى أن القسم المهاجر إلى الساحل من عكارة مازال يحتفظ بإنتمائه وهويته القبلية وقد كان إرتباطهم بالقبيلة الأم وبجدها المؤسس لا يزال قويا، وقد إعتمدنا كمؤشر لذلك ما قام به المدعو "رحيم بن خليفة العكاري" من تحبيس أراضي مشجرة زيتونا على زاوية" الولي سيدي الصياح" الموجودة قرب جرجيس (84). أما القسم الثاني فقد كانت هجرته متأخرة نسبيا يدل على ذلك إنتقال أشخاص يحملون نفس الألقاب الموجودة بجرجيس إلى الساحل والدخلة والأعراض (85).

---

82 حوار مع المرحوم الخوجة الحاج حسن خنيسي وقعت الاشارة اليه سابقا
83 الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف عدد 1.
84 رسوم زاوية سيدي الصياح قرب جرجيس ضمن أرشيف وزارة أملاك الدولة
85 يمكن المقارنة في هذا المستوى بين الأسماء الورادة في دفتر الجباية عدد 693 والذي يتضمن أسماء أفراد عكارة القادرين على دفع الجباية والمقيمين بجرجيس والدفتر عدد 761 المتضمن لأسماء افراد عكارة المقيمين بالساحل والدخلة والأعراض.

- عرش شواشين عكارة :

لقد كانت جرجيس تمثل أحد أكبر أسواق العبيد بالإيالة التونسية، نظرا لإرتباطها المباشر بأسواق طرابلس الغرب التي كانت تمثل الإمتداد الطبيعي لإفريقيا مما جعل خمس سكانها يكونون أصيلي جنوب الصحراء الإفريقية (86). وهو ما سهل إمكانيات جلب العبيد وقد كان جزء كبير منهم يباع بحاضرة تونس ليوجه فيما بعد إلى "إستنمبول" أما الجزء الآخر فيتم صرفه بالأسواق المحلية (87)، إلا أن هذا الوضع قد بدأ يتغير تدريجيا نتيجة المحاولات التي قام بها المشير أحمد باي للحد من هذه الظاهرة وذلك بمنع بيع الرقيق في الأسواق كالبهائم وإسقاط المال الموظف للدولة على أثمانهم، وهدم الدكاكين الموضوعة لجلوسهم، كما منع خروج المماليك من الإيالة للتجارة فيهم، ثم وقع إصدار الأمر الذي يعتبر كل مولود في المملكة التونسية حر لا يباع ولا يشترى (88). ولنا مثال على ذلك يتمثل في عتق مملوك بجرجيس (89). إن اجراءات عتق وتحرير العبيد لم تلق رواجا كبيرا بل قوبلت بالرفض والاحتجاج (90) لكن هذا الأمر أصبح يتحول إلى واقع معاش بصفة تدريجية، وأصبحت فئة العبيد تسمى الشواشين ومفردها "شوشان". وبالرغم من عدم توصلنا الى معرفة الدلالة الاصطلاحية لهذه الكلمة إلا أن المتداول في دفاتر السلطة المركزية وكذلك بين القبائل هو أن شواشين اليوم هم عبيد الأمس. وتشير بعض الدفاتر إلى أن "شواشين عكارة" كانوا يتمتعون بتنظيم إداري خاص بهم ويتولى أمرهم شيخ يقع إنتخابه من بينهم يتولى شؤونهم، وقد كان شواشين جرجيس يدفعون الجباية على حده (91)، إلى أن وقع دمجهم ضمن بقية مشيخات عكارة الأخرى. وينقسم عرش الشواشين إلى أربع مجموعات رئيسية وهي الدواهشية، الطراطرية، المواكير والزاوية (92) . واكتسب كثير من أفراد الشواشين ألقابا جديدة هي ألقاب " أسيادهم" سواء كان ذلك في فترة إمتلاكهم كعبيد أو في فترة عملهم كخماسة أو كخدم. ونلاحظ وجود كثير من السود في جرجيس يحملون ألقاب عائلات منتمية إلى أحد عروش عكارة

86 التميمي (عبد الجليل) عتق العبيد وعددهم في منتصف القرن التاسع عشر بإيالة تونس المجلة التاريخية المغربية عدد 39 -40 زغوان 1985 ص 591

87 نفس المرجع والصحفة.

88 نفس المرجع ص ص 592-593.

89جاء في وثيقة عتق مملوك التي عثرنا عليها بجرجيس ما يلي :" الحمد لله يشهد الشوشان العبد المسمى فرج بن عبد الله الجناري عتيق المكرم أحمد بن عمارة مطيمط المونسي العكاري أنه خلص في أجره من عند سيده العاتق المذكور في عرق جبينه وكد يمينه الخلاص التام بأعترافه وأبراه في ذلك بالإبراء التام العام الحاسم القاطع (...)بحيث لم تبقى له قبله سابق الدفع حق ولا بقية حق البتة (...) ختم يوم الأربعاء السابع من حجة الحرام سنة 1307 هجري . إمضاء العدلين محمد بن حفيظ العكاري وسالم بن عمر بورقيبة

90 لقد كان أحد مطالب القبائل في إنتفاضة علي بن غذاهم سنة 1864 هو وضع حد لأمر تحرير العبيد نظرا للضرر الذي حصل بإلغاء هذا الصنف من التجارة.

91الأرشيف الوطني التونسي السلسلة أ صندوق 182 ملف عدد 1

92 Bailly, op cit p 12.

وخاصة أولاد بوعلي وأولاد سعيد والمؤانسة، ومن ذلك عائلة جبنون، عائلة بلهيبية، عائلة لشيهب، عائلة مطيمط، عائلة الختالي وعائلة الجبو.

لقد كانت قبيلة عكارة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تتركب من ستة عروش رئيسية هم أولاد بوعلي، المؤانسة، الزاوية، أولاد سعيد، ألاود إمحمد والخلايفة، إضافة إلى عرشين آخرين هما عرشي طياش و شواشين عكارة، مع الإشارة إلى وجود عدة مجموعات تنتسب إلى عكارة لكنها تقيم بكل من الساحل والأعراض والدخلة وتنعت بإسم طياش عكارة بالساحل . ويشير المؤرخ الفرنسي "مرتال " إلى أن عدد سكان جرجيس (عكارة) قد إنحدر من 6000 ساكن سنة 1853 إلى 5200 ساكن سنة 1860 ليصل إلى 4250 ساكن ما بين سنتي 1884 و1887 (93). وقد إنعكس هذا الانخفاض في عدد السكان على عدد دافعي المجبى بجرجيس الذين كان عددهم سنة 1859 – 1860 حوالي 1039 قادر على الدفع (94)، ثم اصبح هذا العدد 670 سنة 1869 – 1870 وإرتفع من جديد سنة 1875 – 1876 ليصل الى 1000 شخص (95). ويعكس هذا التغير في الأرقام وإنخفاض سكان جرجيس في هذه الفترة حدة الصراع الذي إستمر لفترة طويلة بين قبيلتي عكارة والنوايل الليبية، كما أن الأزمة الإقتصادية التي شهدتها الإيالة التونسية في فترة الستينات من القرن الماضي وإنتشار كثير من الأوبئة قد ساهم فعليا في إنخفاض عدد السكان . وبداية من سنة 1887 سيشهد عدد سكان جرجيس نسقا إرتفاعيا بصفة متواصلة، فحسب إحصائيات الضابط الفرنسي " بايي " فإن سكان جرجيس كان عددهم أثناء السنة المذكورة قرابة السبعة آلاف ساكن وقد شهد هذا العدد نموا مطردا ليصبح 10 آلاف ساكن سنة 1907 و15 ألف نسمة سنة 1922 ثم 16500 سنة 1926 وفي سنة 1946 قدر عدد سكان جرجيس بـــ 29500 ليستقر في بداية الخمسينات من هذا القرن في 35000 ساكن (96). وويرجع ضباط الإدارة الإستعمارية الفرنسية هذا الإرتفاع المستمر في عدد سكان جرجيس إلى الامان والإستقرار الذي أصبح الأهالي ينعمون به منذ إنتصاب الإدارة الإستعمارية بالمنطقة !!! (97).

وتتوزع عروش جرجيس سنة 1887 كالتالي : المؤانسة : 1856 (28,85%)، أولاد بوعلي 1589 (24,70%)، أولاد سعيد 762 (11,85%) الزاوية 701 (10,90%)، الخلايفة 245 (3,81%)، أولاد إمحمد 193 (3%)، طياش عكارة بجرجيس 600 (9,33%) وشواشين عكارة 470 (7,31%). وكانت قبيلة عكارة في نفس الفترة تعد 1644 رجل و1668 إمرأة و1589 فتى و1531 فتاة (98). وتبين لنا

93 Martel, Les confins ...op cit p 98

94 دفاتر الجباية الدفتر عدد 693.

95 الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية صندوق 42 ملف 481.

96 Bailly, Notice... op cit p 56 ; Historique de Zarzis , op.cit, p 33 ; Bellot.. op cit p6.

97 Historique de Zarzis ... op cit p 33

98 Bailly ... op cit p 88

الأرقام ان نصف السكان هم من عرشي أولاد بوعلي والمؤانسة، ويعتبر عرش أولاد إمحمد أصغر عروش عكارة في تلك الفترة وقد يرجع ذلك إلى العدد الكبير من الفرسان الذين خسرهم هذا العرش نتيجة إحدى غارات قبيلة النوايل المجاورة (99).

وتبرز الأرقام المعتمدة أهمية المجموعات الوافدة وشواشين عكارة حتى أن هذا الأخير قد تجاوزت نسبته عرشي الخلايفة وأولاد إمحمد مجتمعين. إن ما تجدر ملاحظته هو غياب أية إشارة الى وجود مجموعة يهودية (إسرائيلية) بجرجيس عند بداية الإحتلال الفرنسي وما قبله لكن بداية من سنة 1906 يلاحظ وجود العنصر اليهودي ضمن مختلف الجنسيات الدارسة بكل من المدرسة الفرنسية– العربية للذكور والمدرسة الفرنسية – العربية للإيناث (100). وقدر عدد هؤلاء اليهود بـــ 649 سنة 1921 وارتفع عددهم ليصل إلى 693 سنة 1926 و802 سنة 1932 واستمر في الارتفاع ليسجل حضور 1026 يهوديا بجرجيس سنة 1946 (101).

من جهة أخرى، أصبح ينتمي إلى سكان جرجيس مجموعة من الأروبيين كان ذلك منذ بداية الإحتلال الفرنسي، وقد تراوح عددهم بين 166 سنة 1907 و204 سنة 1946(102).

III- علاقة قبيلة عكارة بالقبائل المجاورة

لقد تحددت علاقة قبيلة عكارة بالقبائل المجاورة من خلال حدثين هامين كان لهما بالغ الأهمية بالنسبة لتاريخ البلاد التونسية والتاريخ المحلي. يتمثل الحدث الأول فيما يعرف بالأزمة الباشية الحسينية التي إندلعت في القرن الثامن عشر التي نتج عنها بروز نزعة الصفوف التي أدت إلى انقسام القبائل التونسية الى صفين رئيسيين . أما الحدث الثاني الذي لا يقل أهمية عن الحدث الأول فيتمثل في دخول الإستعمار الفرنسي إلى البلاد التونسية وما أدى اليه من إنقسام سكان الايالة التونسية الى مؤيدين للإحتلال ومعارضين له، فما هي دلالات كل ذلك ؟

99 يحدد الفرنسي مانويار عدد هؤلاء الفرسان بـــ 90 فارسا انظر Menouillard zarzis ...opcit p 108

100 أنظر مقالنا : البنية الاجتماعية التقليدية وظهور المدرسة الفرنسية العربية بجرجيس المجلة التاريخية المغاربية عدد 91 – 92 مؤسسة التميمي بزغوان سنة 1998 .

101 Historique de l'annexe de Zarzis... op cit p 33; Bellot op cit p 9
–Direction Genérale de l'interieur, dénonbrement de la population civile indigene (musulmane et israelite) en Tunisie 1931 p 113.

102 Historique de zarzis ... op cit p 33 ; Bellot ...op cit p 9.

1.. الأزمة الباشية الحسينية :

لقد إندلعت هذه الأزمة سنة 1728 على يدي "علي باشا" الذي أعلن الثورة ضد عمه "حسين بن علي" باي تونس الذي تراجع عن وعده الذي بمقتضاه سيتمكن "علي باشا" من السلطة من بعده، وقد إنقسمت القبائل التونسية كما اسلفنا بمساندة هذا أوذاك. وبقطع النظر عن النتائج التي آلت اليها هذه الازمة والمتمثلة في الإنتصار المؤقت لعلي باشا وأنصاره ثم عودة حسين بن علي إلى هرم السلطة فإن القبائل المؤيدة لعلي باشا كانت تسمى الباشية وتعرف في الجنوب التونسي بصف شداد، أما القبائل ذات الولاء الحسيني فقد أطلق عليها تسمية صف يوسف وشمل هذا التقسيم بالاضافة لقبائل الجنوب التونسي القبائل الطرابلسية المتاخمة للايالة التونسية في تلك الفترة كما يبرز ذلك من خلال الجدول التالي (103) :

	قبائل الصف الحسيني (يوسف)	قبائل الصف الباشي(شداد)
قبائل أقصى الجنوب التونسي	المنزل،المطوية،شنني قابس،المرازيق،أولاد يعقوب،توجان،بني زلتن،تامزرت،الدويرات،شنني،غمراسن،بني بركة،قطوفة وورغمة (الودارنة،التوازين،الخزور وعكارة)	جارة،وزرف،مارث،الزارات، كتانة،عرام،بني زيد،الحزم،العلايا،الحمارنة، مطماطة،زراوة،تاودجوت،بني عيسى،الطرايفة والذهيبات
القبائل الطرابلسية	ورشفانة،بني مريم،العجيلات،الزاوية،الزنتان وترهونة	النوايل،الصيعان،المحاميد، الحوامد وأولاد شبل

إن إنقسام القبائل التونسية عامة وقبائل الجنوب التونسي وكذلك بعض القبائل الطرابلسية بصفة خاصة هو إمتداد لإنقسام قديم من المحتمل ان تكون جذوره إثنية (104). ولم يكن أمام هذه القبائل إمكانية عدم إختيار الإنتماء لأحد الصفين، فقد كانت مجبرة على إتخاذ موقف محدد. وفي الوقت نفسه فإن الإنتماء إلى أحد الصفين هو بمثابة إعلان حرب عن القبائل المنتمية للصف الآخر وهو ما يجبر أفراد كل قبيلة على العيش في حالة إستعداد كلي، لأن علاقة القبائل كانت تقوم على وجود معتدي وآخر معتدى عليه وإن التجسيد المادي لذلك هو "الزغب" والإغارة وهذه الظاهرة هي جزء من الأعراف القبلية المتعامل بها التي تمثل إحدى مظاهر النظام القبلي فهي بمثابة العقد المتفق عليه من طرف المجموعات القبلية (105)

---

103 Martel, Les confins ... op cit pp 61-62 ; Ellafi, Organisation sociale d'une tribu du sud tunisien les twazines a la veille du protectoat français memoire de maitrise Paris VIII 1976 p 101

104 Martel, Les confins ...op cit p-p 60-198-199
105 Ellafi, Organisation ... op cit p-p 95-96-97.

وميعاد القبيلة هو الذي يقرر ذلك في كثير من الأحوال. وكانت تقام الإحتفالات وتغني النساء إثر كل عملية من عمليات الإغارة والزغب (106) يقوم بها فرسان قبيلتهم ويعودون غانمين وتقدم لنا بعض الوثائق والدراسات التاريخية معلومات مفصلة ودقيقة حول مختلف عمليات الإغارة التي كانت تقع في أقصى الجنوب التونسي والمنطقة الطرابلسية المتاخمة (107).

لقد انخرطت قبيلة عكارة في هذا الوضع فكانت عرضة لإعتداءات الصف الباشي من القبائل الطرابلسية من "النوايل" و"الصيعان"، بل إن النوايل كانوا يمثلون فكي كماشة بالنسبة لعكارة نتيجة انتصابهم بالأراضي الطرابلسية وكذلك بمنطقة سيدي شماخ شمال جرجيس. إلا ان بعض المؤشرات تبين أن علاقة الصراع والاغارة التي وجدت بين القبائل والتي يصل فيها الاعتداء حد القتل لم تحافظ على إنتظامها خاصة بين قبائل اقصى الجنوب التونسي وبعض المجموعات الطرابلسية فبالاضافة للصراع التقليدي مع النوايل كانت قبيلة عكارة تعيش وضع الاعتداء والاعتداء المضاد مع كل قبيلة زوارة ووريمة رقدالين (108)، فقد جاء في إحدى المراسلات الموجهة للوزير الأكبر ما يلي :

"... وبعد فإن خليفة الأعراض بانه قدم إليه ميعاد عكارة وإستفسر منهم عن الإغارة التي وقعت منهم على البعض من عربان طرابلس فأجابوه بانهم نهبو منهم خمسة أقفزة شعير وإنهم إنتصروا في ذلك لأنفسهم بسبب وقوع التعدي عليهم من زوارة عرب طرابلس وقتلوا لهم ستة عشر نفرا أعني من عكارة وقد نهاهم الخليفة عن العودة لمثل ذلك ...الخ" (109).

ولم تكن هذه العملية سوى جزء من سلسلة من عمليات الإغارة التي لم تعد تشمل القبائل التقليدية بل شملت مجموعات مستقرة مثل قبيلة زوارة الليبية وأصناف اخرى من السكان كانوا يعيشون في المدن وقد عرفوا بثراءهم (110). كما تغيرت أساليب المغيرين ولعل قبيلة عكارة كانت سباقة في هذا الاتجاه، فقد إستطاعت هذه القبيلة توظيف المجال البحري للقيام بغاراتها التي لا يمكن تتبعها وهو ما جعل ولاة طرابلس يوجهون شكاويهم لبايات تونس للحد من هذه الإعتداءات (111).

106Cherif (M,H) Mouvement paysans dans la Tunisie du 19éme siècle. in Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée n° 30 2éme semestre, 1980 p 28.

107 يمكن الرجوع إلى الأرشيف الوطني التونسي السلسلة التاريخية مراسلات عمال الأعراض أثناء فترة حكم خير الدين باشا بصفة خاصة، بنبلغيث الجيش التونسي... مرجع سابق ص ص208-209 ؛

- Ellafi ... op cit p-p 97-98.

108 Bailly... op cit, p 8.

109 الأرشيف الوطني التونسي السلسة التاريخية صندوق 42 ملف 478

110 Cherif, Mouvements ... op cit p 29.

111 بنبلغيث الجيش التونسي ... مرجع سابق ص 210.

إن تكرر ظاهرة الإغارة وانتشارها قد دفع بعض القبائل للقيام بعمليات "الزغب" داخل الصف الذي تنتمي إليه وكمثال على ذلك جاء في إحدى رسائل عامل الأعراض إلى الوزير "خير الدين" أن البعض من عروش غبنتن والحرارزة من ورغمة قد أغاروا على عكارة وأخذوا لهم ألفين ومائتين شاة وأقتسموها بينهم (112). ويمكن القول بأن ظاهرة الإغارة والإغارة المضادة بين القبائل هي مؤشر يدل على ضعف الوازع الديني لهذه المجموعات القبلية أمام قوة الفعل القبلي الذي فرض أعرافه وتقاليده في التنشأة الاجتماعية والممارسة اليومية.

من ناحية أخرى فإنه من المبالغة القول ان كل علاقات عكارة بالمجموعات القبلية الأخرى كانت تقوم فقط على مبدأ الصراع والإعتداء، فقد كانت قبيلتنا المدروسة ترتبط بعلاقات ذات طابع سلمي وتعاوني بعدة مجموعات قبلية اخرى، وكمثال على ذلك نشير إلى مساهمة عكارة في حركة العشابة في فترات الإنتجاع إلى الشمال وكذلك ضمن حركة "الهطاية" للعمل في مناطق الساحل، يؤيد هذا القول إستقرار كثير من أفراد عكارة بهذه المناطق، أطلقت عليهم دفاتر الجباية تسمية طياش عكارة بالساحل.

2- دور الإستعمار الفرنسي في تغيير العلاقات بين عكارة والقبائل المجاورة:

لقد أدى انتصاب الإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية الى تغيير علاقات القبائل ببعضها البعض، فلم تعد المرجعية التقليدية المتمثلة في وجود صفي الحسينية (يوسف) والباشية (شداد) اللذان تنتمي إليهما أغلب القبائل هي المقياس المعتمد. لقد تشكلت مرجعية جديدة ترى في الموقف من الإستعمار هو المحك الواجب اعتماده، وبذلك أصبح كثير من أعداء الأمس أصدقاء اليوم تحت إمرة "علي بن خليفة النفاتي" عامل الأعراض قبل دخول الاستعمار والذي لم يكن يحتكم للباشية أو الحسينية وإنما لما للقبائل من دين تجاه الدولة وخلاصها لذلك. وفي ضوء هذه العلاقات الجديدة أصبحت أغلب القبائل تنتمي إلى صف واحد هو صف الرفض للاستعمار ويضم هذا الصف كل من بني زيد والعلايا والحزم والحمارنة وجلاص والهمامة وورغمة. كما تغيرت علاقة أغلب القبائل الملتحمة بحركة "علي بن خليفة" بالقبائل الليبية فأصبحت هذه الأخيرة بدورها حليفة بعد أن كانت في صف الأعداء. وبالرغم من أن أغلب القبائل التونسية قد هاجرت إلى ليبيا كرد فعل على عملية الإحتلال ثم عادت بعد وفاة قائد الحركة "علي بن خليفة" سنة 1884 فإن القبائل الليبية عادت لتتحالف مع قبائل الجنوب التونسي في ما يعرف بثورة الجنوب لسنة 1915 وبقيادة "خليفة بن عسكر" النالوتي ضد كل من الإستعمار الفرنسي والإحتلال

112الأرشيف الوطني التونسي السلسلة التاريخية صندوق 42 ملف 478.

الايطالي (113). إن بقاء عكارة خارج حركة القبائل الرافضة للاستعمار الفرنسي قد عرضها لتهديد هذه القبائل سنة 1881 ثم تعرضت للاعتداء في شهر جوان من سنة 1882 وذلك بمهاجمة جرجيس بواسطة مجموعة من الفرسان ضمت 500 فارس إضافة إلى مائتين من المشاة وقد سقط في هذه الحادثة عدّة ضحايا من الجانبين (114). وقد كان لهذه الحادثة تأثير كبير على علاقة عكارة بإتحادية ورغمة عامة وبقبيلة التوازين بصفة خاصة. فهذه القبيلة غادرت أراضيها في المنطقة المعروفة بدخلة ورغمة وقصرها المعروف بقصر مدنين، واتجهت للاستقرار بالمنطقة الموجودة جنوب وادي فسي وكذلك بالأراضي الطرابلسية وبعد عودة القبائل بداية من سنة 1884 قامت السلطات العسكرية الفرنسية بوضع إستراتيجية تمكنت من خلالها من توطين جزء كبير من هذه القبيلة بصفة تدرجية، ويصف لنا "فيولار Violard" كيف تمت هذه العملية قائلا : " لقد قررنا مبدئيا إدخال إصلاحات على البرج القديم المسمى "قصر بنقردان"، وبعد ذلك وفي خارج هذا البرج قمنا بتسطير 147 هكتارا لتقسيمها إلى أجزاء صغرى في شكل بساتين وأماكن بناء ثم إتجه اهتمام ضباط الشؤون الاهلية إلى إستقطاب "التوازين" القبيلة البدوية لتحويلهم إلى مالكين لأراضي ثابتة من أجل تحويلهم من البداوة إلى الإستقرار، لكن هذه العملية قوبلت بالرفض، فقامت السلطات العسكرية بإستدعاء بعض أهالي جربة وعكارة جرجيس فرحبوا بالفكرة وامتلكوا أراضي جديدة وبدؤوا يمارسون أنشطة إقتصادية وقد كانت هذه العملية مدخلا لإقناع التوازين بضرورة قبول الواقع الجديد" (115).

ويقدم "مرتال" معطيات أكثر دقة بقوله : " لقد شملت عمليات التحديد في البداية 37 قطعة أرض شملت 110 هكتارا، 24 قطعة كانت من نصيب الاجانب و13 قطعة من نصيب التوازين وفي 1901 و1902 و1903 إمتلك التوازين على التوالي 20 و15 و44 قطعة جديدة، وفي سنة 1904 إمتلك التوازين 110 قطعة أرض من ضمن 186 قطعة وقد شمل التقسيم في هذه السنة 771 هكتارا، وبعد ثلاث سنوات شمل التقسيم 2254 هكتارا وفي سنة 1911 وقع توزيع 823 قطعة أرض بعد أن تم تقسيم 2700هكتار(116).

وإضافة لعمليات تقسيم الأراضي تم بعث سوق بنقردان سنة 1898 الذي لم تتجاوز مساحته 120 متر مربع، ويتكون من مجموعة من الدكاكين التي قام ببعثها بعض اليهود والجرابة، وأصبحت بلدة بنقرادان

113أنظر مذكرتنا لنيل شهادة الكفاءة في البحث القبيلة ومقاومة الإستعمار قسم علم الإجتماع كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية بتونس 1992، ص ص 60-82.

114 Bailly... Notice, op cit p 18.

115 Violard, L'extrême... op cit pp 41-42-43-44

116 Martel, Les confins ...op cit T2 p 192

مركزا إقتصاديا بعد أن تم إصلاح الميناء الصغير المعروف بمرسى القصيبة الذي شهد تصدير عدة مواد فلاحية إلى دول المركز الإستعمارية مثل فرنسا وأنقلترا(117).

تكمن أهمية إستقرار قبيلة التوازين بمنطقة بنقردان في خلق وضع جديد سيكون له انعكاس سلبي على علاقة هذه القبيلة مع عكارة. لقد اتسمت العلاقة بين القبيلتين، قبيل انتصاب الحماية الفرنسية سنة 1881، بالتعاون والعمل المشترك حتى أن الرواية الشفوية تصور عملية طرد قبيلة النوايل الليبية من دخلة عكارة بأنها عمل ملحمي ما كان ليتحقق لولا تحالف عكارة مع قبيلة التوازين المجاورة. لكن نزول التوازين من دخلة ورغمة وقصر مدنين تحت ضغط الإدارة العسكرية الإستعمارية وإستقراهم ببلدة بنقردان المحدثة قد وضعهم في مواجهة قبيلة عكارة التي تمتد أراضيها على طول الساحل إلى الحدود الطرابلسية. وبالرغم من أن أعيان التوازين يدركون أن منطقة بنقردان هي مهد إستقرار عكارة، يدل على ذلك مكان أضرحة أجداد هذه القبيلة من ناحية وإستغلالهم للأرض المتاخمة لهذه الأضرحة في النشاط الزراعي من ناحية أخرى. إلا أن مجموعات التوازين لم يعد يرضيها هذا الوضع وإتجهت في البداية الى إكتساب حق الرعي في أراضي عكارة مثلما ينص على ذلك العرف والعادة وحسب ما هو متعامل به بين القبائل وكما يدل على ذلك نص الإتفاق التالي:

"الحمد لله، حضر المكرمون الشيخ ضو بن خليفة الخزوري من ورغمة والمكرم الشيخ عمر بالحاج احمد بن ناجي من التوازين من ورغمة، والشيخ نصر الكريم بن سعد العويني شيخ اخوته والشيخ محمد.. المزطوري شيخ إخوته والحاج عمر بن مصباح المحضي.. المكرم مصباح التوزني الورغمي والشيخ يحي بن عبد الله شواط.. جميعا من مشائخ وأعيان ورغمة والبقية الشيخ رحومة بلهيبة البوعلي والشيخ سعيد بن سالم الربيع المونسي العكاري والمكرم سالم بن علي بن عبد الله المونسي العكاري والعدل الفقير محمد بن حفيظ الجميع من أعيان الخزور والتوازين وعكارة وإتفق جميعهم على ماجرت به العادة والعرف عن آبائهم وأجدادهم يكونون عليها وذلك أن الأراضي المعدة للرعي من عمل ورغمة من العمالة التونسية التي هي ملك العروش المذكورة تكون مرعى ولا تختص به فرقة دون أخرى وأن الأراضي التي بها الزرع هي ملك العروش المذكورة التي ينزلها آخر مدة عام ونهاية الزرع لا يرعى فيها آخر من نزلها في وقت... الزرع يقع اللوم وترجع شكواه إلى من له الولاية والنظر في أمر العروش المذكورة حضورا وإتفاقا... مؤرخ بتاريخ 18 ربيع الثاني سنة 1303 هجرية، كتب من طرف محمد بن خليفة الكسيكسي المدنيني ختم عمر بن ناجي خليفة التوازين، ضو بن ضو خليفة الخزور الجميع من ورغمة"(118).

---

117 Martel.. op.cit,T2, pp 193-194 ; Violard...op.cit pp 42-43 ; Menouillard, Zarzis ... op cit, p153.

118 عثرنا على نص هذه الوثيقة لدى المرحوم الدكتور "الحارث مزيودات" الأستاذ السابق بكلية الحقوق بتونس.

رغم أن الوثيقة لا تحتوي إمضاء خليفة عكارة ضمن بقية الإمضاءات فذلك لا يحول دون إعتبارها عقدا ينص على حسن الجوار بين القبائل الثلاثة وخاصة مجموعتي التوازين وعكارة نظرا لأن المجموعة الثالثة أي قبيلة الخزور لا تحد أراضيها أراضي عكارة نظرا لإستقرارها في المنطقة المعروفة بالخزور(ببني خداش). لكن علاقة حسن الجوار لم تدم طويلا فالعنف المادي بين القبيلتين قد بدأ بعد فترة غير طويلة من إبرام هذا الإتفاق كما هو مثبت في نص الوثيقة التالية:

"الحمد لله حضر الشهود الذين ذكرت أسماؤهم وشهدوا شهادة واحدة محفوظة لاشك عندهم فيها ولا ريب (...) وقعت مكالمة بين عرش الكراينة التوازين واللهايبة عكارة حتى عمد محمد بن رحومة بالهيبة على المبروك بن رحومة طليق الكرايني وضربه ضربة على يده اليمنى قرب المعصم شاقا للجلد واللحم كما عاينه شاهده اثر ذلك الضرب، وضربه ضربة أخرى على رأسه من الجهة الأخرى شاقا الجلد واللحم مقطرا منه الدم الكثير وعاينه شاهداه بالضربة المذكورة بمحضر الشهود، فقيست فوجد عرض أنملة واحدة مما لا يبعد الفاعل بنفسه غالبا وعلم الشهود بأن طليق الكرايني ضرب منصور باللهيبة العكاري على رأسه شاقا الجلد واللحم قدر أنملة واحدة مقطرا منها الدم الكثير (...) وعلم الشهود أيضا ان زوجة منصور بن بلقاسم الكرايني غيرت... مؤرخ في 1311 هـ الموافق لـ 1893م، إمضاء الشهود 11، إمضاء العدلان. (119) . وجاء في وثيقة ثانية مؤرخة بتاريخ 17 ربيع الثاني 1317 الموافق 23 أوت 1899 ما يلي :

"منصور المحاط من فريق الزاوية عكارة، عمر بن ناجي، الحاج نصر الكردي سعد بن احمد، سالم بن علي شواط، خليفة بن الحاج سعيد بن سعد الجميع من أولاد بوزيد من التوازين، محمد بن عزوق، بلقاسم بن (...)، لطيف بن محمد، خليفة بن مارس، من القبيل محسن بن جنوف من فريق زليطن علي بن عبد اللطيف من القبيل. وبعد فإنكم على علم من المعركة التي وقعت في يوم 30 من مارس الفارط بالمكان المعروف بهنشير الذياب بين جماعة من عكارة وجماعة من التوازين ومات فيها نفر وجرح كثيرون وقد فتح البحث الذي أجري في النازلة أن الكبراء والأعيان أعلاه حضروا تلك المعركة وأن أولهم هو المتسبب في وقوعها وإستعمل جهده لإثارة الهرج وأن الأنفار بعده حرضوا على وقوع ذلك (...) ولما عرضت النازلة على الحضرة السامية صدر الإذن العلي بتخطية الأول بخمسمائة فرنك والانفار بعده المتبقين بخمسة وعشرين فرنك لكل واحد منهم عقابا لهم إداريا عما وقع منهم والزام الجميع بأداء ما ذكر في ظرف أيام ... إلخ. في التاريخ كتب لإدارة المال (120).

---

119 عثرنا على نص هذه الوثيقة لدى المرحوم الدكتور " الحارث مزيودات"

120 الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 183 ملف عدد 1 مراسلة من الوزير الأكبر إلى عامل ورغمة حول الخصومات المتعلقة بالأراضي الجماعية بين عكارة والتوازين .

إن المعطيات التي وردت في كلا الوثيقتين تؤكد تحول العلاقة بين التوازين وعكارة من علاقة سلمية تعاونية الى علاقة صراع، وقد تطور هذا الصراع من مجرد الإختلاف في المواقف حول الوضع المرتبط بإنتصاب الادارة الإستعمارية الفرنسية بالمنطقة الى الإعتداء والإعتداء المضاد حول ملكية الارض خاصة بعد أن استقر جزء من قبيلة التوازين نهائيا جنوب وادي فيسي مما عرض هذه القبيلة إلى الصدام مع عكارة نظرا لامتلاك هذه الاخيرة للجزء الأكبر من الأراضي منذ أمد بعيد.

لقد أخذ الصراع بين القبيلتين أشكالا ثقافية وقد تجسد ذلك من خلال نظم قصيدتين باعتماد الشعر الشعبي، القصيدة الأولى نظمها شاعر التوازين "ضو الأطرش" والقصيدة الثانية قام بوضعها "الهاشمي بوعائشة" شاعر عكارة (121).

121 أنظر نص القصيدتين في كتاب ضو الأطرش إعداد و تحقيق محمد الناصر بالطيب والضاوي موسى (ب د م ن) سنة 2000 ص ص 57 ــ 64

الفصل الثالث

البنـاء المؤسّسي والإداري

في المجتمع المحلّي بـجرجيس

I- التنظيم الإداري بجرجيس قبيل الاحتلال الفرنسي للمنطقة :

إضافة إلى المؤسسة القبلية المركزية التي كانت تدير شؤون عكارة حتى نهاية القرن التاسع عشر وهي مؤسسة الميعاد، كان أهالي جرجيس يخضعون لسلطة خليفة يأتمر مباشرة بأوامر عامل الأعراض المقيم بقابس وعدد من المشائخ تقع تسميتهم من طرف الباي بعد أن يحظو بإجماع عروشهم. ويمكن أن نتبين من خلال الجدولين التاليين بعض ملامح التنظيم الإداري بجرجيس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكذلك بعض التغييرات التي طرأت على هذا التنظيم ([1]).

جدول التنظيم الإداري بجرجيس في النصف الثاني من القرن 19

إسم المشيخة	أسماء المشائخ 1859 -1860
أولاد بوعلي	سعيد بوزميطة
المؤانسة	محمد بن عاشور
الزاوية	- الشيخ عبد الحفيظ - سالم بن معتوق
أولاد إمحمد	محمد بن الصيد
الخلايفة	نصر بالحاج علي
أولاد سعيد	عمر بن ضو
التوازيط	أحمد بن علي الكوت
طياش عكارة	———
شواشين عكارة	سعيد بن مسعود بن فرج

إسم المشيخة	أسماء المشائخ سنة 1875 - 1876
أولاد بوعلي	- محمد بن سعيد بوزميطة - محمد بالحاج سعيد
المؤانسة	- محمد الأبيض - الصيد بن مصدق
الزاوية	- منصور بن عبد السلام المحاط
الخلايفة	منصور الجزيري
أولاد إمحمد	جعفر بن محمد الصيد
أولاد سعيد	أحمد الكوت - أحمد بن الحاج محمد النويلي

---

[1] اعتمدنا في صياغة هذين الجدولين على دفتر الجباية رقم 693 وعلى المعلومات المحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي السلسلة التاريخية مراسلات عمال الاعراض صندوق 42 ملف 481.
- تجدر الملاحظة الى أن تسجيل الأسماء بالنسبة لكل عرش بدفاتر الجباية يبدأ بإسم شيخ العرش وذلك بإستعمال عبارة " شيخ إخوته "، الإستثناء الوحيد بالنسبة لعكارة يتمثل في عدم ذكر كلمة شيخ بالنسبة لمجموعة الطياش في فترة 1859 - 1860 وورد ذكر إسم محمد بن الفقيه عمر مباشرة. أنظر الدفتر رقم 693 مرجع سابق.

لقد إخترنا من خلال هذين الجدولين تقديم معطيات حول واقع التنظيم الإداري بجرجيس قبل إنتصاب الحماية الفرنسية تمكن من المقارنة بين ملامح الوضع الإداري بجرجيس قبل إرتقاء "خير الدين" إلى السلطة وأهم التغييرات التي أحدثها وإنعكاساتها على البناء الاداري المحلي فقد كانت جرجيس تعد 9 شيوخ يشرفون على 9 مشيخات سنة 1859 – 1860، إلا أن عدد المشائخ قد تقلص وأصبحت تعد 6 مشيخات فقط سنة 1875 – 1876 وإحتفظ المشائخ بنفس العدد إلا أن توزيعهم حسب المشيخات قد تغير ومن أهم التغييرات التي احدثت هي دمج مشيختي "الطياش" و"الشواشين" مع بقية المشيخات الاصلية لعكارة.

وحسب التوزيع الجديد للمشائخ بات يشرف على كل مشيخة من مشيخات أولاد بوعلي والمؤانسة وكذلك أولاد سعيد شيخان بينما احتفظت بقية المشيخات بإشراف شيخ واحد ويعزى ذلك للاهمية العددية بالنسبة للعرشين الأولين وكذلك بالنسبة لعرش أولاد سعيد الذي تكاثر عدد أفراده بعد أن إنضم إليه أفراد عرش التوازيط وتم تخفيض مشائخ عرش الزاوية إلى شيخ واحد وبذلك أصبحت كل المشيخات المتبقية تدار بواسطة شيخ واحد بالنسبة للمشيخة الواحدة. وكان إنتداب المشائخ يخضع لمقاييس محددة لعل أبرزها الإنتماء إلى فئة أعيان العرش التي بدورها تعمل على تبجيل ذوي المكانة الإجتماعية من أفراد العائلات الثرية صاحبة النفوذ المادي والأدبي ومن بين هذه العائلات يمكن أن نشير الى عائلة بوزميته من عرش وأولاد بوعلي وعائلات بن عاشور والأبيض ومصدق من عرش المؤانسة...الخ.

وبالاضافة للتغيرات التي شملت نظام المشائخ بجرجيس فقد شهدت البلدة ظهور عدة مصالح إدارية أخرى في فترة "خير الدين باشا" ــــ وقعت الاشارة اليها ــــ مثل إحداث خطة قاضي سنة 1875 وعدلين للشهادة لمساعدة رايس المرسى وأمين وزن وأمين معاش.

إن جرجيس معبر القوافل القادمة من طرابلس والمرتبطة مباشرة بالبحر وما يعنيه ذلك من آفاق مفتوحة للمعاملات الإقتصادية وغيرها كانت في الوقت نفسه تسمى "بلاد الخوف" في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قد عاشت نوعا من الإستقرار في هذه الفترة الوجيزة إلا أنها سرعان ما عادت إلى نظام إداري محكوم بالفوضى الإدارية والسياسية في الفترة الرابطة بين سنة 1877 و1881 أي عند سقوط خير الدين من هرم السلطة وقد وصل عدد مشائخ عروش عكارة في هذه الفترة إلى 15 شيخا، وقد تنامى عدد هذه المشائخ بسبب نزوح كثير من المجموعات الصغيرة إلى جرجيس وعملت هذه المجموعات على تحقيق نوع من الإستقلال الإداري عن العروش التي كانوا ينتمون اليها([2]).

---

[2] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف عدد 1.

II- انتصاب الادارة العسكرية الفرنسية بجرجيس

لا نرغب في هذا الجزء من البحث التعرض الى ظروف إحتلال جرجيس فقد تعرضنا إلى ذلك سابقا([3]). إلا أن ذلك لا يمنع إمكانية تناول هذه المسألة من زاوية ثانية وهي زاوية إنتصاب الإدراة العسكرية الإستعمارية وتأثير النظام الإداري المصاحب لذلك على قبيلة عكارة . فرغم الإحتلال المبكر لأقصى الجنوب التونسي فإن الإنتصاب العسكري والإداري قد جاء متأخرا نسبيا، فقد كان الضباط العسكريون الفرنسيون بين مؤيد ومعارض لاقامة ثكنات بكل من قابس وقفصة، إلا أن فكرة جعل جرجيس المركز الاساسي لثكنة العساكر المنتصبة بالجنوب إزدادت دعما لما وقع التفطن إلى أن جرجيس هي المركز التجاري الأهم بالنسبة لقبائل إتحادية ورغمة فهي سوقهم المفضل والأكثر ارتيادا من بين بقية أسواق المنطقة، وبالتالي فإن التمركز العسكري بها سيسهل إخضاع كافة القبائل "المتمردة" على سلطة الاحتلال الفرنسي بالجنوب. وهو ما دفع بالاميرال "كورناد Cornad " قائد الحملة العسكرية على جرجيس سنة 1881 الى تذكيرالمقيم العام الفرنسي "لوكي Lequeux" بان إقامة ثكنة عسكرية بجرجيس هو عمل ضروري. وقد كان ضباط العسكرية البحرية الفرنسية الأكثر تحمسا لهذا الموقف نظرا للعلاقة الودية المبكرة التي نسجوها مع بعض أعيان عكارة، يؤيدهم في ذلك عامل الأعراض يوسف الليقرو الذي كانت تربطه علاقة تعاون وصداقة مع خليفة جرجيس سي "رحومة بلهيبة" وقد جعل "الليقرو" من جرجيس مقر إقامته الثاني بعد قابس. وتختفي وراء موقف إقامة ثكنة عسكرية بجرجيس خلفية أخرى تتمثل في رغبة الضباط الفرنسيين حماية عكارة نظرا لتعرضهم للتحرش والإعتداء من طرف ورغمة في مناسبتين سنة 1881 و1882 ([4]).

وفي سنة 1882 قام "كمبون Cambon" المقيم العام الفرنسي الجديد بزيارة الى جرجيس ومواقع حدودية أخرى وبعد معاينته لهذه المواقع أصبح مقتنعا بالفكرة الداعية الى تأسيس ثكنة عسكرية بجرجيس، لكن هذه الفكرة لقيت معارضة كبيرة من طرف قنصل فرنسا بإسطنبول بتركيا "تيسو Tissot" والضابط "فورجمول Forgemol" الذي عين وزيرا للحرب بالحكومة التونسية وأصبح مقتنعا تمام الاقتناع بدعوة "تيسو" في ضرورة الإبتعاد عن أي احتكاك مع العثمانيين الموجودين بليبيا وأن أفضل طرق التعامل معهم هي الطريقة الديبلوماسية وذلك بحثهم على تغيير موقفهم الرافض لإحتلال تونس من طرف الفرنسيين ([5]). ويشير "مرتال" أيضا إلى أن أحد كبار الضباط الفرنسيين وهو الجنرال

---

[3] انظر الفصل الأول : شبه جزيرة جرجيس مدخل تاريخي ، أنظر كذلك دراستنا : النسيج القبلي في شبه جزيرة جرجيس : قراءة نقدية في بعض الوثائق الفرنسية ضمن كتاب شبه جزيرة جرجيس عبر التاريخ ... مرجع سابق ص 86.

[4] Martel, Les confins ... op cit, T1, p310

[5] المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية(ميكروفيلم) سلسلة 5 صندوق 68 ملف 1، أنظر كذلك : Martel ...op cit t1 p -p - 310 - 311

"قيون فرني" « Guyon Vernier » قائد الفرقة العسكرية التي قامت بالإنزل بميناء جرجيس في ديسمبر 1882 قد علل موقفه الرافض إقامة ثكنة عسكرية بصغر حجم ميناء جرجيس الذي لا يستطيع تحمل عددا كبيرا من العساكر الفرنسيين([6]).

لقد أدى تعدد الأراء وإختلافها بين الضباط الفرنسيين إلى تأخر إنتصاب الإدارة العسكرية بجرجيس في محاولة لتجنب أي إصطدام مع القوات العثمانية المنتصبة بليبيا لكي لا ينتهي الموقف الى تدويل المسألة التونسية خاصة وأن فرنسا قد تعرضت لعدة ضغوطات داخلية وخارجية لاحتلالها تونس. وإلتجأت فرنسا سنة 1884 إلى حل مؤقت تمثل في إنشاء قبائل مخزن لحراسة الحدود مع العثمانيين بليبيا. وإنتهت هذه المرحلة يوم 30 ديسمبر سنة 1887 تاريخ إنزال فيلق عسكري بجرجيس قام بالإنتصاب بكل من جرجيس وأم التمر والدويرات، ويبدو أن ذلك قد تم بالإتفاق مع السلطات العثمانية التي أصبحت أكثر تقبلا للأمر الواقع بعد حدوث بعض المتغيرات الدولية مثل إحتلال "بريطانيا" لمصر وتهديدات إيطاليا بإحتلال ليبيا . وتلا ذلك إحداث مركز إستعلامات بجرجيس سنة 1887، أوكلت مهمة الإشراف على تسييره إلى الضابط "بتراك Betirac" الذي إستعان في البداية ببعض الأدلاء والصبايجية إلى حدود سنة 1888 تاريخ تكوين المخزن النظامي بجرجيس الذي تألف في البداية من 23 فارسا إنتدب 18 من بينهم من ضمن الأهالي وإثنين من الإجانب بخطة شاوش علاوة على الباش شاوش الذي يقود هذا المحزن ([7]).

ويعرف جهاز المخزن بأنه قوة إضافية مهمتها المساعدة على حفظ النظام بمناطق التراب العسكري وقد اقيمت بالمنطقة العسكرية أربع دوائر مخزنية وهي دائرة مدنين ودائرة تطاوين ودائرة قبلي إضافة إلى دائرة جرجيس التي ذكرناها، وكانت أكبر هذه الدوائر هي دائرة تطاوين التي ضمت باش شاوش و3 أشخاص برتبة شاوش و69 فارسا (مخازني) ([8]). وبالرغم من إعتراض بعض الضباط من القيادة العسكرية الفرنسية على التنظيم القبلي لجهاز المخزن ودعوته إستبدال هذا التنظيم بقوة عسكرية يكون لها وزن كبير ومؤثر في المنطقة ([9]) إلا أن الرأي النهائي تمثل في ضرورة المحافظة على القبائل المخزنية خاصة في المناطق الحدودية وبذلك تم تركيز مخزن جرجيس (عكارة) بمنطقة الشوشة المعروفة بعلوة الغنة برأس جدير في الحدود الليبية، ووقع بعث مخزن بنقردان (التوازين) بسيدي التوي أما مخزن تطاوين (الودارنة) فقد وقع تركيزه بمشهد صالح ([10]). بذلك تمكنت الإدارة العسكرية الإستعمارية

---

[6] نفس المرجع ص 312

[7] Martel (A) le makhzen du sud tunisien document in cahier de tunisie 1966 p 129.

[8] نفس المرجع والصفحة.

[9] نفس المرجع والصفحة.

[10] Guyader, L organisation administrative des territoires du sud tunisien memoire n 6 C H E A M Paris 1941 p 4.

في أقصى الجنوب التونسي من مراقبة القبائل الرافضة لسلطة الإحتلال و العمل على إستقرارها في مواقعها الاصلية التي هرجتها. إن هذا الوضع الجديد قد دفع إدارة الإحتلال إلى تثبيت أجهزة الإستعلامات بصفة عامة بكل من جرجيس وتطاوين ومدنين في 10 ماي 1889، لكن التسمية تغيرت يوم 12 ماي سنة 1900 بقرار وزاري لتصبح مصلحة الشؤون الأهلية وبداية من 1 جانفي 1906 وضعت مراكز الشؤون الأهلية تحت إدارة الإقامة العامة وبذلك أصبحت مكاتب الإستعلامات في أقصى الجنوب التونسي تحمل إسم مكاتب الشؤون الأهلية وأصبح أعوان مصالح الشؤون الأهلية وموظفوها خاضعين للأوامر المباشرة والفعلية للمقيم العام ([11]).

III- مهام ضباط الشؤون الأهلية

ضم مكتب فرع الشؤون الأهلية بجرجيس ضابطا رئيس مكتب، وضابطا مساعدا وخوجة يقع إنتدابه من ضمن الأهالي للقيام بعملية الترجمة وسكرتيرا فرنسيا، وطبيبا عسكريا و28 فارس مخزن من بينهم 12 فارسا بالمناطق الحدودية بجرجيس. وصار مركز جرجيس يمثل جزءا من التراب العسكري في أقصى الجنوب التونسي الذي إنقسم بدوره إلى مجموعة من مكاتب الشؤون الاهلية ظهرت بالتوازي مع التقسيم الإداري التقليدي. ويوجد على رأس مكاتب الشؤون الأهلية مجموعة من الضباط أطلقت عليهم تسمية ضباط الشؤون الأهلية، وأطلقت عليهم ايضا تسمية "مراقبي الشؤون الأهلية" على غرار المراقبين المدنيين، إلا أن التسمية الأولى هي الأكثر إستعمالا ويساعدهم في انجاز مهامهم مجموعة من الضباط المترجمين، ويقع انتداب ضباط الشؤون الأهلية من بين ضباط الجيش النشيطين من مختلف الأسلحة يتلقون تكوينا خاصا يشمل المواد التالية :

- تاريخ إفريقيا الشمالية
- التركيبة الجيوليوجية والجغرافية لإفريقيا الشمالية
- التشريعات والتنظيم الإداري في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الشمالية
- القانون الجنائي الفرنسي، القانون الإداري، القانون الإسلامي، العدالة العسكرية، الاقتصاد السياسي، الإستعمار، الزراعة، الصحة، اللغة العربية، علم الاجتماع الاسلامي والقضايا الاسلامية المعاصرة.

- Historique des affaires indigènes de Zarzis... op cit p 11.

[11] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 193 ملف 1.

وبعد تلقي ضباط الشؤون الأهلية لهذا التكوين يقومون بإعداد مذكرة عند نهاية فترة التكوين ورحلة دراسية ميدانية بأحد مكاتب الشؤون الأهلية تدوم من إسبوعين إلى ثلاثة أسابيع يخضع كل متكون إثر ذلك لإمتحان ترتيبي قد يؤدي الى إقصاء أحد المتكونين من الضباط إذا لم تتوفر فيه الشروط الضرورية، مع الملاحظة أن عملية التكوين تشمل ضباط من كل من تونس والجزائر ([12]). وتتلخص مهام ضباط الشؤون الأهلية حسب الضابط "شافان Chavanne"([13]) الذي سبق له أن أشرف على فرع مصلحة الشؤون الاهلية بجرجيس كالتالي :

إن ضباط الشؤون الاهلية مكلفون بالمراقبة السياسية والحفاظ على الأمن ومراقبة الإدارة الأهلية داخل المناطق العسكرية للجنوب التونسي، ويقوم الضباط كذلك بدور الشرطة العدلية في هذه الربوع وهم مكلفون أيضا بمراقبة الرؤساء والأعوان المحليين حيث تتم إستشارتهم كلما حصلت تعيينات في سلك الموظفين، ويرأس هؤلاء الضباط مجالس الوصاية المحلية الخاصة بالأراضي الجماعية واللجان التحكيمية المكلفة بحسم النزاعات والخلافات، ومن مهامهم العمل على تنمية الزراعة في دوائرهم وإرشاد الاهالي إلى سبيل الرقي! والمساعدة على تطوير الإستعمار اينما وجد . علاوة على كل هذه الإهتمامات فإن ضباط الشؤون الأهلية هم ضباط الحالة المدنية وبإمكانهم حضور المجالس البلدية في الدوائر التي احدثت بها بلديات مثل مدنين وتطاوين وجرجيس حيث يمكن لهم الإطلاع على مراسلات رئيس البلدية والتعليق عليها، مما يجعل مهمة هؤلاء الضباط تكون شاملة تعتني بكل مظاهر الحياة الإقتصادية والاجتماعية والسياسية في المناطق التي تكون تحت إشرافهم. إن المتصفح لركام تقارير ضباط الشؤون الأهلية التي كانت ترسل إلى الإقامة العامة والمحفوظة بأرشيف الحكومة التونسية يلاحظ أن هذه التقارير كانت تحتوي كشوفات متنوعة الأغراض وتخضع لتقسيم زمني كالتالي :

– **تقارير شهرية** : تهتم بمختلف ممارسات الضباط وموظفي المصلحة، وحركة نقل الرؤساء المحليين، ووضع القضاة الملسمين، وأسماء الأهالي من الموقوفين، وعمليات تحديد العقارات، والأوضاع الجوية الفلاحية، وتتبع حركة القوافل القادمة من البلاد الطرابلسية، وأسعار السوق وغيرها من المعاملات اليومية.

– **تقارير ثلاثية** : تشمل تعهد أسلحة الفرسان وإيصالات حمل الأسلحة والتثبيت في سجلات بائعي البارود، وصيانة المقابر، وحالة التجهيزات والأسلحة والذخيرة، متابعة التجهيزات، متابعة مختلف القضايا التي لها أهمية بالمنطقة.

---

[12] Anonyme, Etude sur l'administration militaire du Sud Tunisien. Commandement supérieur des troupes de Tunisie, Etat major 2ème bureau archives de Vincene. Paris p 18.

[13] Chavanne, Historique des affaires indigènes de Tunisie bourg, 1931 pp 24-90.

- **تقارير سداسية :** متابعة الغرامات، النظر في المشاكل الهامة

- **تقارير سنوية :** متابعة عمل المدارس، الاحصائيات الاقتصادية... الخ.

- توجد بعض التقارير اليومية التي كانت ترسل في شكل برقيات عندما تكون هناك قضايا مستعجلة ولا يستطيع الأعوان المحليون البت فيها.

ويضاف الى هذه الأنشطة مراقبة عمل الخلفوات والمشائخ في عملية جمع الضرائب ومكنتهم بعض القوانين (مثل قانون 31 ديسمبر 1921) من القيام بمهام ضباط الشرطة القضائية التي تعود بالنظر إلى وكيل الجمهورية وليس الى الإقامة العامة. ولضباط فروع الشؤون الاهلية مسؤولية تسليم تصاريح التنقل للافراد ورخص حمل السلاح وتصاريح شراء البارود ورخص المرور ومراقبة دفاتر تسجيل الاجانب ويعطي الضابط رأيه في مطالب فتح الخمارات ومراقبة دفاتر النزل والمقيمين بها، والإشراف على تحويل المساجين نحو الدوائر الاخرى، فضلا عن مراقبة العناصر المشبوهة وفض النزاعات بين القبائل والعروش ([14]).

ونظرا للأهمية الإستراتيجية لمنطقة جرجيس باعتبارها متاخمة للبلاد الطرابلسية وإقامة عدد كبير من أفراد الجالية الأروبية بها فإن موقف فرع مصلحة الشؤون الأهلية بجرجيس، وغيرها من مؤسسات الإدارة الاستعمارية، كان يتسم بنوع من الصرامة في تطبيق القوانين وكمثال على ذلك فإن فريقا من عرش المؤانسة قد حكمت عليه المحكمة العسكرية في أواخر سنة 1889 ب 10 سنوات أشغال شاقة نتيجة تعرضهم للمخزن النظامي فيما يعرف بحادثة المخدة، وكمثال ثاني فإن بعض عروش جرجيس قد رفضوا قانون التجنيد العسكري الصادر في 23 نوفمبر 1893 الذي يحرم أهالي جرجيس من يد عاملة هم في أشد الحاجة اليها وقد تمثل رد الفعل في الهجرة إلى طرابلس وترك قصورهم فارغة، إلا ان السلطات العسكرية قامت بإحتلال المراكز الحدودية وإجبار هذه العروش على الإستجابة لهذا القرار ([15]).

لقد تميزت جرجيس مقارنة بمناطق اقصى الجنوب بوجود شرطي فرنسي وضع على ذمة رئيس البلدية ورئيس مصلحة فرع الشؤون الأهلية، وكانت مهمته الرئيسية الحفاظ على أمن الجالية الأروبية،

---

[14] Guyader, L'organisation ... op cit, p17 ;
- Martel les confins ...op cit T2 p-p 42-43. Historique de l'annexe de Zarzis ... op cit p30.
- ليسير، نجع ... مرجع سابق ص 144.

[15] تراجعت السلطات لتقوم بإنتداب 10 أنفار في السنة الى أن جاء قانون 23 مارس 1899 الذي يعفي عكارة وقبائل التراب العسكري من الخدمة العسكرية - انظر السلسلة 26H صندوق 14، ملف 1 أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس(ميكروفيلم) .

وقد تم إنتداب هذا الشرطي بالرغم من إعتراض عامل الاعراض "يوسف الليقرو" معتبرا ذلك خارج الأولويات التي تحتاجها المنطقة ([16]).

IV- ما صاحب انتصاب الإدارة الاستعمارية بأقصى الجنوب التونسي وجهة جرجيس من تحولات في الهياكل الإدارية :

تجدر الملاحظة منذ البداية إلى أن الإدارة الإستعمارية وبالرغم من رغبتها الصريحة في تعويض المؤسسات القبلية مثل مؤسسة "الميعاد" والقوانين المعمول بها مثل قانوني "العرفية والشرطية" إلا أنها حافظت على التنظيم الإداري المعمول به والذي يرجع بالنظر إلى السلطة المركزية بالحاضرة. ذلك ما كان يدركه ضباط الإدارة الإستعمارية الفرنسية منذ تمركزهم في أماكن عملهم وقد عبر أحد هؤلاء الضباط قائلا : "لقد تمكنا بفضل أسلوبنا المتبع أن نحافظ على التنظيم الإداري المحلي، لكن بعد أن قمنا بتحسينه وبذلك أصبح يتم إنتقاء الرؤساء من الإهالي بعناية كبيرة ولا يقع تعيينهم إلا بعد أن تقترحهم مصلحة الشؤون الأهلية بالمنطقة" ([17]).

لقد حافظت الإدارة الإستعمارية الفرنسية في البداية على قابس كمركز إداري لأقصى الجنوب التونسي ولكن إعلان قابس مراقبة مدنية (خارجة عن التراب العسكري) في شهر ماي من سنة 1895 قد دفع هذه الإدارة إلى إحداث عمل جديد بقصر مدنين في شهر جوان من نفس السنة تحت إشراف "رحومة بلهيبة" خليفة جرجيس عند بداية الاحتلال لكن ذلك لم يستمر طويلا ففي شهر أكتوبر من السنة المذكورة قررت الإدارة الفرنسية تقسيم عمل مدنين الى عملين مستقلين، الأول هو عمل عكارة ويضم قبائل عكارة والتوازين والخزور. أما الثاني فهو عمل الودارنة الذي يضم مختلف عروش الودارنة من جليدات وأولاد دباب وأولاد شهيدة وعبابسة ...الخ. إلا أن ذلك لم يدم طويلا نظرا لاحتجاج قبيلة التوازين على تسمية عمل عكارة وإشراف "رحومة بلهيبة" على هذا العمل مما دفع الضابط الفرنسي "لكلارك" إلى إلغاء هذه التسمية المحدثة بعد أن قدم إقتراحا في ذلك للمقيم العام الذي أبدى موافقته عليه([18]).

[16] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة E صندوق 281 ملف عدد 1.

[17] Historique de l’annexe des affaires indigenes de Bengardene bourg 1931 p 47.

[18] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 180 ملف عدد 1 .

- يذهب الضابط "لكلارك Leclerc" في أحد تقاريره إلى المقيم العام إلى ان قبيلة عكارة هي أضعف قبائل ورغمة لذلك إقترح تغيير مركز القيادة من جرجيس إلى مدنين وتغيير التسمية من عمل عكارة إلى عمل مدنين، أنظر الملف السابق رسالة من لكلارك الى المقيم العام بتاريخ 22 أكتوبر 1895.

لم يدم انقسام قبائل أقصى الجنوب التونسي إلى عملين متوازيين طويلا، ففي شهر ديسمبر سنة 1897 قررت الإدارة الإستعمارية حل عمل الودارنة بتطاوين والحاقه بعمل مدنين الذي تغيرت تمسيته لتصبح عمل ورغمة بدل عمل مدنين وسمي على رأسه العامل "مسعود بلعربي"، خليفة الودارنة السابق، بدل "رحومة بلهيبة"، وكان ذلك في شهر جوان سنة 1898، وقد حظيت التسمية الجديدة بقبول قبائل ورغمة نظرا لانها تعبر عن إرادتهم ([19]). وبذلك أصبحت المؤسسات الإدارية المحلية منسجمة مع المؤسسات العسكرية المحدثة وأصبحت مكاتب الشؤون الأهلية لكل من مطماطة وقبلي ومدنين مطابقة لأعمال مطماطة ونفزاوة وورغمة، كما أن فروع مصلحة الشؤون الأهلية بمدنين التي كانت تضم مكاتب تطاوين وبنقردان وجرجيس أصبحت متطابقة مع كهاية الودارنة وخلافتي بنقردان وجرجيس([20]).

1- مؤسسة خلافة جرجيس :

لم تكن مؤسسة خلافة جرجيس مؤسسة محدثة فهي من المؤسسات التقليدية التي عرفها المجتمع التقليدي في تونس وقد كان خليفة جرجيس يرجع بالنظر الى قيادة (عمل) الأعراض إلى حدود سنة 1895 تاريخ إنشاء عمل مدنين حيث أصبح خليفة جرجيس مثل كل الخلفوات التابعين لهذا العمل يستمد سلطاته من عامل مدنين الذي أصبح يسمى عامل ورغمة فيما بعد، وقد كان تعيين الخليفة يتم حسب إقتراح يقدمه قايد المنطقة إلى السلطة المركزية لكن بعد إحداث مصلحة الاستعلامات التي تحولت فيما بعد إلى مصلحة الشؤون الأهلية أصبحت تسمية الخليفة تتم بالإعتماد على الإقتراحات التي يقدمها ضابط هذه المصلحة للإقامة العامة وقد كان خليفة جرجيس يخضع لإشراف ضابط فرع مصلحة الشؤون الإهلية بجرجيس. وكان أول من إشتغل في هذه الخطة أثناء الفترة الإستعمارية بجرجيس هو "رحومة بلهيبة" الذي كان يشغل نفس الخطة قبل أن يدخل الإستعمار إلى البلاد التونسية وبعد تعيينه في خطة عامل مدنين سنة 1895، قرر الضابط الفرنسي "لكلارك" تعيين"أحمد بن رحومة بلهيبة" شيخ أولاد بوعلي مكان والده، وقد إستمرت المفاوضات بين "لكلارك" والإقامة العامة قرابة السنة إرتئى هذا الضابط على إثرها أن الشخص الجدير بهذه الخطة هو "الجزيري بن عبد المؤمن" شيخ عرش الخلايفة من عكارة الذي شغل خطة شيخ فريقه منذ 22 سنة ويعتبر عميد شيوخ قبيلة عكارة على حد تعبير الضابط " لكلارك "([21]). لقد عمل في هذا المنصب عدة أفراد من الأهالي الذين عرفوا بولائهم لسلطات الإحتلال الفرنسي من بين أفراد قبيلة عكارة ومن خارجها، وفي هذا الاطار نشير الى خليفة جرجيس "علي بن أحمد كليش" الذي عين في منصبه سنة 1932، وتشير تقارير ضابط الشؤون الأهلية بجرجيس

---

[19] نفس المرجع.
[20] الارشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 193 ملف عدد1.
[21] الأرشيف الوطني التونسي السلسلة أ صندوق 181 ملف عدد 2.

« Guyader » إلى أن هذا الخليفة كان تحصل على شهادة الإبتدائية باللغة الفرنسية وله تكوين جيد بالعربية وقد درس لمدة ثلاثة سنوات بالمعهد العلوي بتونس، وإشتغل بين سنة 1902 و1907 في خطة تجميع الضرائب من الأهالي لفائدة البلدية التي أصبح كاتبها المترجم بين سنة 1907 و1919 ثم اصبح خوجة أي مترجما بفرع مصلحة الشؤون الأهلية بجرجيس من سنة 1919 إلى سنة1932 وبداية من هذا التاريخ أصبح يحتل منصب خليفة عكارة الى سنة 1941 تاريخ تعيينه خليفة شرفي. وقد تحصل "علي كليش" خليفة جرجيس في هذه الفترة على عدة أوسمة ونياشين نذكر منها "نيشان الإفتخار" مقابل الخدمات التي أداها للسلطة الإستعمارية الفرنسية ([22]). ولم تكن السلطات الفرنسية تستند فقط الى رصيد الخدمات التي يقدمها موظفوها لتعيينهم بمناصب إدارية محلية هامة مثل الخليفة والشيخ، فبالإضافة إلى ذلك كانت تعد بطاقة إرشادات تتعلق بالإصول الإثنية التي ينحدر منها ومدى تقبل السلطات العسكرية لهذه الأصول أو رفضها وكمثال على ذلك نشير إلى رفض هذه السلطات تعيين الباش شاوش "محمد بن الحاج بوزيد المقراني" خليفة بجرجيس سنة 1909 نظرا لإنتماء هذا الشخص إلى عائلة أولاد مقران التي تنحدر من أصول قبائلية جزائرية وكانت هذه العائلة قد هاجرت الى ورغلة ثم إلى بلدة غدامس الطرابلسية سنة 1871 وتعرف هذه العائلة بإنتماءها ومساندتها للثوار المعادين للحضور الفرنسي بالجزائر ([23]).

2 – تنظيم المشائخ بجرجيس أثناء الفترة الإستعمارية :

لقد سبق أن أشرنا إلى أن جهة جرجيس قد شهدت حالة فوضى إدارية بعد أن سقطت إدارة خير الدين سنة 1877 وكان إنعكاس ذلك على هذه المنطقة بأن أصبح عدد الشيوخ يفوق 15 شيخا يشرف عليهم خليفة المكان. ومع مجيئ السلطات الاستعمارية قررت انتهاج إستراتيجية ذات اتجاهين، يتمثل الإتجاه الأول في المحافظة على الإنتماء التقليدي المتمثل في القبائل والعشائر واللحمات ذات تنظيم اجتماعي "تلقائي" يراعى فيه الأصل الواحد والعادات والتقاليد والشعور النفسي بوحدة الإنتماء، فالإنتماء العشائري يمثل مصدرا هاما للشرعية. أما الإتجاه الثاني، فقد تمثل في التغييرات التي طرأت على الهياكل الإدارية بجرجيس على يد الضابط "لكلارك Leclerc" الذي قدم مشروعا للإقامة العامة بداية من

---

[22] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 181 ملف عدد 2

– لقد كان هذا الخليفة يفتخر بالخدمات التي أداها للإدارة الفرنسية وقد عبر عن ذلك في رسالة إلى المقيم العام يطلب فيها منحة التقاعد قائلا :

"J'ai l'honneur d'attirer tres respectueusement votre attention sur un vieux serviteur de la France en territoire millitaire, serviteur, qui en plus des services rendus par ses ancétres, a lui même servi la cause la mère patrie de 1903 jusau'à ce jour...

– أنظر : المرجع السابق، رسالة من علي كليش خليفة جرجيس الى المقيم العام الفرنسي بتاريخ 20 اوت 1941.

[23] الارشيف الوطني التونسي صندوق 181 ملف عدد 2.

أنظر رسالة من النقيب "دونو Donau" الى المقيم العام بتاريخ 7 مارس 1907.

و الرسالة الموجهة من الضابط "فوشار Foucher" الى الكاتب العام للحكومة التونسية بتاريخ 21 ديسمبر 1909.

سنة 1892 كان الهدف منه إعادة هيكلة تنظيم المشيخات في منطقة التراب العسكري ومن ثمة فقد وقع الإختيار على جرجيس كحقل تجريبي لهذا التوجه الجديد نظرا لما لقيه الإستعمار من قبول لدى أهالي هذه المنطقة، ويعلل "لكلارك" اختياراته المتمثلة في اعادة تنظيم المشائخ بعدم قدرة شيوخ منطقة جرجيس الخمسة عشر على جمع الضرائب خاصة وأن عدد المؤدين للمجبى لا يتجاوز عددهم 1510 في حين أن الذين بإستطاعتهم القيام بذلك يتجاوز هذا العدد بكثير ([24]). ويتبين لنا من خلال الجدولين التاليين التحولات التي احدثت على تنظيم المشائخ بجرجيس ([25]).

جدول تنظيم المشائخ قبل تغييرات "لكلارك"

القبيلة	العرش	اللحمات	أسماء الشيوخ
عكارة	أولاد بوعلي	- الزمامطة - اللهايبة - المشاركية - أولاد الحاج - الأغوال - العبايرية - الشويخات - النطاطحة - الحيف - الهنود	- محمد بن سعيد بوزميط - محمد بن منصور العوادي
	أولاد سعيد	- الملالشة - التوازيط	- علي بن الحاج مبروك لعراض (زروق) - أحمد بن الحاج محمد النويلي
	أولاد امحمد	- العبشة - الصيودة - اولاد الوفيني - الحدادة	- عبد النبيء بن الحاج إمحمد بن بوعلي

[24] الأرشيف الوطني التونسي السلسلة أ صندوق 182 ملف عدد 1.
[25] قمنا بصياغة هذين الجدولين بالإعتماد على :
- الارشيف الوطني التونسي السلسلة أ صندوق 182، ملف 1 (التنظيم) ؛ ملف 2 مشيخة أولاد شبل وماقورة ؛ ملف 23 مشيخة المؤانسة ؛ ملف 25 مشيخة حسي الجربي ؛ ملف 26 مشيخة أولاد بوعلي ؛ ملف 27 مشيخة الزاوية ؛ ملف 28 مشيخة اولاد سعيد ووريمة.
- الأرشيف الوطني التونسي دفاتر الجباية دفتر 693 مرجع سابق
- Bailly -Notice ...op cit, p-p 62-63-64-65-66-67
- Nomenclature et réparition ...op cit, p-p 297-298.

	الزاوية	- أولاد عبد الكريم - الحوافي - الصيايحة	- أحمد بن سالم بن معتوق - محمد بن محمد بن حفيظ - منصور بن عبد السلام المحاط
	الخلايفة	- أولاد الجليدي - أولاد الجزيري - أولاد الدخلي - ألاود بن سليم - أولاد الحاج - الغنناندة	- الجزيري بن عبد المؤمن
	المؤانسة	- الهلة - الشنادة - العتايقة - القريرات - العواوجة	- عمر الهنيد بن محمد الزرن - سعيد بن سالم الربيع - نصر بن محمد بن عطية
مجموعات أخرى	أولاد شبل والبريكات	- أولاد شبل - أولاد نوير - خويلد - مارغنة - الأعواد - البريكات	- بلقاسم بن علي بن الطيب الشبلي - سالم بن الفقيه سعيد
	ماقورة	- ماقورة - زواغة - القويات - الشفافرة - الرواشدية - الشياب - العجيلات - الزغيوات	- بلقاسم بن عمر الماقوري
	وريمة	- وريمة	- بوزيد بن محمد المقطوف
الشواشين (السود)	الشواشين	- أولاد عاشور - أولاد بكباك - المواكير - الدواهشية - الطراطرية - الزاوية - أولاد سعيد	- الشوشان محمد الداهش

- جدول لأهم التغيرات التي أحدثها الضابط " لكلارك " على تنظيم المشائح بجرجيس سنة 1892.

القبيلة	العرش	اللحمات	أسماء الشيوخ
عكارة	- اولاد بوعلي - البريكات والعواد - الشواشين	- لحمات أولاد بوعلي - البريكات - الأعواد - العويدات - الدواهشية - الطراطرية - الكوازيز - الطوالية - الدرابلية	- أحمد رحومة بلهيبة
	أولاد سعيد - وريمة - الشواشين	- الملالشة - التوازيط - وريمة	- صالح بن مبروك كريدان
	- أولاد إمحمد	- أولاد إمحمد	- عبد النبيء بن الحاج إمحمد بن بوعلي
	- الزاوية - الشواشين	- الزاوية - أولاد عاشور	- محمد بن عبد الدايم بن عمر
	- الخلايفة	- الخلايفة - أولاد شبل - ماقورة - خويلد - أولاد نوير	- الجزيري بن عبد المؤمن
	- المؤانسة - الشواشين	- المؤانسة - المواكير - أولاد بكباك	-أحمد بن محمد الأبيض
	- حسي الجربي	- جلالطة - ودارنة - جليدات - عكارة	- منصور بن سالم بن مرزوق البوعلي

إن المتأمل في ما أحدثه "لكلارك" من تغييرات على نظام المشائخ بجرجيس يلاحظ حرصه على المحافظة على أشكال الممارسة التقليدية وإفراغها من محتوياتها القديمة، وبذلك تصبح المشيخات إطارا قديما لمحتويات إدارية وسياسية جديدة، من أجل الهيمنة على المشيخات والسكان. لقد كان "لكلارك" يهدف من خلال التغييرات التي قام بها إحداث نظام جبائي محلي يتسم بالنجاعة، لذلك ألغى مشيختي المجموعات الأخرى ودمج المنتسبين في هاتين المشيختين في بقية المشيخات من خلال عملية توزيع يبدو أنها لم تكن غير متساوية نظرا للعدد الكبير من أفراد المشختين الذين إنضم أغلبهم إلى مشيخة الخلايفة ([26]). ويمثل إحداث مشيخة "حسي الجربي" من أهم التغيرات في نظام المشائخ بجرجيس، ذلك انه لأول مرة تبعث مشيخة يراعى فيها الإنتماء الترابي وليس الإنتماء العروشي القبلي وكانت هذه المشيخة تضم خليطا من السكان ينتمون الى أصول عرقية مختلفة . فبالإضافة لبعض السكان الذين ينتمون الى عروش عكارة كان ينتمي إلى هذه المشيخة البعض من الودارنة والجليدات والجلاطة من سكان تطاوين والبعض الآخر من المجموعات الأخرى مثل اولاد شبل. لقد قررت السلطة الفرنسية التخفيض من عدد المشيخات فأصبح عددها 7 بجرجيس بعد أن كان يتجاوز الـــ 15.

وفي ما يتعلق بتعيين الشيوخ بعد تغييرات "لكلارك" فإن المقياس المعتمد هو الخدمات المقدمة لسلطات الاحتلال الفرنسي سواء من طرف الأفراد او العائلات، وطبقا لذلك إستغنت الإدارة الإستعمارية عن خدمات أغلب الشيوخ القدامى بإستثناء "الجزيري بن عبد المؤمن الخليفي" شيخ الخلايفة و"عبد النبيء بن الحاج امحمد بن بوعلي" شيخ أولاد إمحمد اللذان طلبا من الضابط الفرنسي إبقائها في منصبيهما مقابل الخدمات التي قدماها لفرنسا. وتم اختيار بقية الشيوخ من عائلات لها علاقة طيبة مع الإستعمار ولها نفوذ مادي وأدبي لدى افراد العروش التي ينتمون اليها، فكان منصب شيخ أولاد بوعلي يشغله "أحمد بن رحومة بلهيبة"، وعين "أحمد بن محمد الابيض" على رأس مشيخة المؤاسنة خلفا لوالده الذي كان يشتغل بنفس الخطة طيلة 30 سنة خلت وعين على رأس مشيخة أولاد سيعد "صالح بن المبروك كريدان" خلفا لوالده. وعين "محمد بن عبد الدايم بن عمر" شيخا على فريق الزاوية نظرا لتمتع عائلته بمكانة إجتماعية هامة في السلم الإجتماعي لعائلات هذا العرش وتولى "منصور بن سالم بن مرزوق البوعلي" القيام بمهام شيخ مشيخة حسي الجربي المحدثة وقد ساعده على الاشتغال بهذا المنصب تجربته السابقة كشيخ على عرش أولاد بو علي ([27]).

---

[26] إحتفظ أهالي جرجيس بتسمية مشيخة الطياش واليهود للتعبيرعن مشيخة الخلايفة، لكن الوثائق الرسمية للدولة لا تحفظ لنا أية وثيقة حول اليهود المنتمين لهذه المشيخة. أنظر الأرشيف الوطني التونسي صندوق 182- ملف 2.

[27] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف 1.

إن هذا التوجه الجديد الذي وضع أسسه الضابط "كلارك" في تنظيم مشيخات جرجيس قد إستمر به العمل طيلة الفترة الإستعمارية أي إلى حدود سنة 1957، ويتمثل الإستثناء الوحيد هي عملية الدمج التي تمت بين مشيختي أولاد امحمد والزاوية وكان ذلك سنة 1946، إلا أن هذا الدمج لم يستمر طويلا إذ أن أفراد عرش أولاد إمحمد إنفصلوا من جديد سنة 1953 وأعادوا بعث مشيخة خاصة بهم تحمل إسمهم([28]).

ولم تكن عملية "انتخاب" شيخ تتم بطريقة دورية بعد مرور سنوات معينة، فقد كان الشيخ المنتخب لا يتخلى عن وظيفته إلا إذا أصبح عاجزا عن القيام بهذه الوظيفة بسبب المرض أو الوفاة، وكذلك بفراغ منصبه إذا استدعي للقيام بوظيفة أخرى وكمثال على ذلك فقد إستمر "سالم بن رحومة بلهيبة" على رأس مشيخة "أولاد بوعلي" إلى حدود سنة 1920 تاريخ إستدعائه للإشتغال في خطة خليفة الحمارنة بعمل قابس، وأخذ مكانه "محمد بن أحمد بعبورة" الذي مارس مهامه كشيخ على أولاد بوعلي إلى سنة 1936 تاريخ إستعفائه من مهامه ليحل محله "علي بن أحمد الغول البوعلي" الذي تشير تقارير ضباط الإدارة الإستعمارية إلى أنه أصبح عاجزا عن أداء مهامه نظرا لكبر سنه بداية من سنة 1945 لكن مع منحه لقب شيخ شرفي وقد إستمر في منصبه إلى سنة 1949 وهي السنة التي إنتخب فيها "علي بن خليل الشتيوي" الذي إستمر في منصبه على رأس مشيخة أولاد بوعلي إلى سنة 1957.

وقد كانت السلطات الفرنسية تختلق المصاعب وتحرض "أعضاء المشيخة على تحرير العرائض والتشكيات إلى السلطة المركزية عندما تختلف أو تصطدم مع أحد الشيوخ كما هو الشأن بالنسبة للشيخ "علي بن أحمد بن محمد الأبيض" الذي عين في منصبه سنة 1923 خلفا لوالده على رأس مشيخة فريق المؤانسة الذي أصبح عاجزا نظرا لكبر سنه، وتقول التقارير العسكرية الفرنسية أن هذا الشخص أي (علي بن أحمد) لا يوجد أفضل منه للإشراف على مشيخة المؤانسة خاصّة وأنه زاول تعليمه بالجامع الأعظم ويتمتع بتفكير جيد وقد سبق له أن أشرف على إدارة مشيخة فريقه نظرا لمرض أبيه وعجزه وقدم من الضمانات وحسن التصرف في أموال الدّولة ما يؤهله لإحتلال هذا المنصب وبالتالي جاءت تزكيته من طرف ضابط فرع مصلحة الشؤون الأهلية بجرجيس وجاءت تسميته حسب الأمر العلي المؤرخ في 21 ماي 1923 ([29]). وبالرغم من هذا الموقف الصريح المؤيد لتعيين "علي بن أحمد الأبيض" على رأس مشيخة فريق المؤانسة عاد مكتب الشؤون الأهلية بجرجيس ليرسل التقارير والعرائض المعادية لهذا الشيخ متهما إياه بالإنتماء إلى الطريقة التيجانية وقيادة أعضاءها وهي طائفة دينية تعمل على إحداث القلاقل ويعتدي أفرادها على من لا ينتمي إليها على حد تعبير ضابط فرع

[28] Bellot, ... op cit, P 10.

[29] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف 23.

الشؤون الأهلية بجرجيس "قيودار Guyader". وتبين من خلال دراسة ملف هذا الشيخ المحفوظ بالأرشيفات التونسية أن الأسباب الحقيقية التي تقف وراء هذه التقارير والعرائض لم تكن إنتماء هذا الشيخ لطائفة التيجانية وإنما تقاعسه في جمع الضرائب المخلدة بذمته([30]).

وكانت بعض العرائض المرسلة من الأهالي إلى السلطة المركزية تشير بوضوح إلى تجاوزات بعض الشيوخ وفسادهم، وفي هذا الإطار نشير إلى بعض العرائض المرسلة من طرف أفراد من مشيخة الزاوية وأولاد إمحمد التي تتهم الشيخ "الجيلاني بن بلقاسم الكنيس" شيخ الزاوية وأولاد إمحمد بعدم توزيعه الحبوب على المعوزين بطريقة عادلة وإستخلاصه لمبالغ من المال تفوق المبلغ القانوني وعدم إحترامه لشروط توزيع القروض على الفلاحين الصغار... إلخ ([31]).

ويحتوي ملف مشيخة المؤانسة المحفوظ بالأرشيف الوطني تشكيات مشابهة ضد شيخ فريق المؤانسة المسمى "سالم بن محمد مطيمط" وقد وصفته إحدى العرائض الموجهة من بعض أفراد عرش المؤانسة للسلطة المركزية بأنه : "فاسد الأخلاق وسيء السلوك وشاذ التصرف " فيما يوكل إليه من مهام الغرض منها تقديم خدمة لأفراد المشيخة ([32]). وكانت السلطات الفرنسية تغض النظر عن هذه التجاوزات التي يمارسها بعض الشيوخ الذين يدورون في فلكها ويخدمون مصالحها، وكانت هذه السلطات تدرك تجاوزات بعض الشيوخ سواء فيما يتعلق بجمع الضرائب من خلال ما يقوم به المتفقدون الماليون من زيارات فجئية وتقديمهم للحجج والأدلة التي تثبت تجاوزات هؤلاء الشيوخ، لكن السلطات العسكرية كانت تكتفي في أغلب الأحيان بتغريم البعض منهم بطريقة شكلية أو عزل البعض الآخر إذا كانت التجاوزات خطيرة كما جاء في التقرير التالي : "إني أوافق على ما جاء في تقرير رئيس فرع مصلحة الشؤون الأهلية بجرجيس والداعي إلى عزل الشيوخ عمارة بالحاج سعيد شيخ أولاد سعيد وإمحمد بن خليفة بعرون شيخ أولاد إمحمد اللذان لم يستطيعا وبدون إقتراض توفير المبالغ الناقصة أمام متفقدي المالية أما "سالم بلهيبة" شيخ أولاد بوعلي فيمكن تغريمه بـــ 200 فرنك ... الخ ([33]).

---

[30] أنظر رسالة من الضابط Guyader إلى المقيم العام بتاريخ 22 سبتمبر 1932 محفوظة بالملف 23 صندوق 182. انظر أيضا تقرير من الشيخ المذكور بتاريخ 9 سبتمبر 1935 إلى المقيم العام يشرح له فيه موقفه ويبين أن المبلغ المالي المطلوب منه جمعه هو 14427 فرنك فرنسي إلا أنه لم يتمكن من جمع إلا ما مقداره 2730 فرنك فرنسي، نفس الملف والصندوق.

[31] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف 27 عريضة من أعيان مشيخة الزاوية وأولاد محمد إلى الوزير الأكبر بتاريخ نوفمبر 1951 تحمل 64 إمضاء.

[32] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف 23 عريضة من بعض أفراد عرش المؤانسة إلى الوزير الأكبر تضم 106 من الإمضاءات.

[33] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف 28 تقرير للضابط "فيليو" "Filiot" بتاريخ 19 ماي 1915.

3- فئة الضمان :

يستمد شيخ كل فريق شرعية ترشحه لخطة شيخ من ضمانه، لذلك يمكن القول أن هذه الفئة لا تقل أهمية عن الشيوخ أنفسهم، إذ أن هؤلاء الضمان في واقع الأمر هم أعيان الفريق أو العرش الذي يتفقون فيما بينهم على أن يكون الشخص الذي يختارونه شيخا عليهم، وبعد هذا الإتفاق يحضرون لدى عدلين مجتمعين ويشهدوا جميعا أنهم إتفقوا على أن يكون هذا الشخص شيخا عليهم. ويحرر هذا الإتفاق في شكل عقد يرسل إلى السلطة المركزية لإعلامها بذلك، وتعتبر هذه العملية هي نوع من الإجماع حول شخص ما يمثل كل أفراد العرش لدى السلطة المركزية. وكمثال على ذلك نورد وثيقة إجماع عرش العتايقة من فريق المؤانسة حول المسمى "سعيد بن سالم الربيع" ليكون شيخا على هذا العرش وقد جاء فيها ما يلي :

"الحمد لله، المكرم أحمد بن علي المجعاط والمكرم خليفة بن عبد الله المجعاط والمكرم أحمد بن محمد بن سعد والمكرم محمد بن سعيد بن نتيت والمكرم محمد بن سعيد الجبو والمكرم محمد بن سالم الربيع المكرم محمد بن سعيد بن الفقيه والمكرم محمد بن الحاج محمد بورقيبة والمكرم عبد الله بن محمد العبادي ...إلخ (90 إمضاء).

"الحمد لله حضر لدي شهيد به النفر المذكورة أسماؤهم أعلاه كلهم من أعيان عرش العتايقة من المؤانسة عكارة بلد جرجيس وأشهد وأنهم إتفقوا ورضوا بأن يكون إبن عمهم المكرم "سعيد بن سالم الربيع" شيخا عليهم يتعاطى أمورهم العرفية وقوانينهم المخزنية ويستخلص منهم أموال الدولة الموظفة والتي ستوظف وفي إشهادهم أنهم ضامنين فيما عسى أن يتخلد بذمته من أموال الدولة وما يقع فيها من التفريط بسببه، فهم المؤدون من مال أنفسهم الخاص بحكم ضمان الأداء وسبيله إشهادا وإتفاقا وضمانا تاما وشهد على إشهادهم بذلك بحال جواز ومعروف بتاريخ يوم الإربعاء الثالث عشر من شهر ثاني الربيعين عام 1305 وخمسة وثلاثمائة وألف وكتب عن إذن الهمام أمير الأمراء السيد " يوسف الليقرو" عامل الأعراض بتاريخ الواقع طابعه ...إلخ". إمضاء العدلان : عمر بورقيبة وسالم بن عمر بورقيبة([34]).

يعتبر هذا العقد نموذجا لعقود تعيين المشائخ عند بدايات الإحتلال وما قبله، وقد كان ظهور شيخ ما على رأس مجموعة معينة من العرش الذي ينتمي إليه مرهونا بمدى وجود الضمان، الذين كان دورهم كبيرا في تزايد عدد المشائخ في الفترة ما بين سنة 1877 تاريخ سقوط خير الدين من هرم السلطة

[34] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف 28

وسنة 1892 ظهور تغييرات "لكلارك" الإدارية وهي الفترة التي تجاوز فيها عدد شيوخ جرجيس الـــ15. وكانت السلطات العسكرية الفرنسية تدرك أهمية دور هؤلاء الضمان في تعيين المشائخ في إطار العملية الإنتخابية، رغم وعيها بصورية هذه العملية وكذلك في عملية جمع الضرائب، فأصدرت قانون 31 جانفي 1905 الذي بموجبه يضمن المترشح من قِبل مجموعة من الأشخاص يشترط أن يكونوا من أعيان العرش وتكون أسماؤهم مسجلة بجريدة الأعيان الموجودة بمقر الخلافة، وتتمثل التغييرات المصاحبة لقانون 1905 في جرد أملاك الضمان وإبداء إستعدادهم تحمل المسؤولية المالية المتخلدة بذمته لصالح الدولة. وقد كان دور الضمان يبرز كلما وقع فراغ في رأس مشيخة ما وهو ما يؤدي إلى "إنتخاب" شيخ جديد. ([35])

أ- ضمان مشيخة أولاد بوعلي :

تقدم إلى إنتخابات مشيخة أولاد بوعلي سنة 1920 ثلاثة أشخاص هم : "عبد الرحمان بن أحمد كليش" و"الصّادق بن ضو جبنون" و"محمد بن أحمد بعبورة "الذي فاز بأغلبية أصوات أعيان المشيخة.

– ضمان "عبد الرحمان بن أحمد كليش" : وصل عدد ضمان هذا المترشح إلى عشرة أشخاص وقد قدر إجمالي ممتلكاتهم بـــ141 ألف فرنك وكان أثرى الضمان هو الضامن الأول المسمى "علي بن حسن خنيسي البوعلي" الذي قدرت ثروته بـــ 60 ألف فرنك فرنسي أي ما يساوي ثروة خمسة أشخاص من بقية الضمان.

– ضمان "الصادق بن ضو جبنون" : كانت القيمة المالية الإجمالية التي تعهد بها ضمان هذا المترشح العشرة 152 ألف فرنك فرنسي وقد تعهد كل من الضامنين "سالم بن مرزوق بن مشارك" بـــ 40 ألف فرنك و"مرزوق بن سعيد جرمود" بـــ 30 ألف فرنك وهو ما يقارب نصف القيمة الإجمالية وكان ربع أملاك الضمان يصل إلى 10 آلاف فرنك بالنسبة للضامن الواحد وقدرت أملاك ثلاثة من الضمان بـــ 15 ألف فرنك بالنسبة للضامن الواحد.

– ضمان "محمد بن أحمد بعبورة ": قدر إجمالي ثروة ضمان هذا الشيخ بـــ 287,500 ألف فرنك من القيمة الجملية ووفر ضامنان 50 ألف فرنك بالنسبة للضامن الواحد وقد إستطاع نصف عدد الضمان العشرة توفير مبلغ 230 ألف فرنك أي ما يتجاوز نصف القيمة الإجمالية، وربما يكون المبلغ الكبير الذي

[35] سنكتفي بتقديم عينة من ضمان الشيوخ بحسب المعطيات المتوفرة بالأرشيفات التونسية وهذه العينة تضم ضمان كل من مشيخة أولاد بوعلي، المؤانسة، الزاوية. أنظر: الأرشيف الوطني التونسي السلسلة أ صندوق 182 ملف 26 (مشيخة أولاد بو علي) ملف 23 (مشيخة المؤانسة) ملف 27 (مشيخة الزاوية).

وفره ضمان هذا الشيخ وراء تزكيته من طرف السلطات العسكرية المحلية وبالتالي تمكينه من هذا المنصب.

وترشح لخطة شيخ أولاد بوعلي سنة 1949 ثلاثة أشخاص، هم "الهاشمي بن سالم بلهيبة "و"عبد الله بن محمد لبيض" و"علي بن خليل الشتيوي" وأصبح جرد أملاك المترشح وضمانه يتم من خلال وثيقة تعرف بجريدة في بيان مكاسب المترشح لمشيخة أولاد بوعلي ومكاسب ضمانه وتضم هذه الجريدة معلومات مفصلة حول عقارات المترشح وضمانه مثل البناءات والأشجار المثمرة ومنقولاته ومنقولات ضمانه مثل الخيل والإبل والغنم.

– ضمان "الهاشمي بن سالم بلهيبة" : بقي عدد ضمان هذا المترشح 10 أشخاص قدرت القيمة الجملية لأملاكهم بـــ 47460000 فرنك، وكانت قيمة أملاك الضامن الأول "رحومة بن أحمد كليش" 3.500,000 فرنك كما قدرت أملاك خمسة من الضمان بـــ 1.100,000 فرنك بالنسبة للضامن الواحد.

– ضمان "عبد الله بن محمد لبيض" : وصلت أملاك ضمان هذا المترشح العشرة إلى 10.800,000 فرنك وتمثلت أعلى قيمة في أملاك والد المترشح العدل" محمد بن بلقاسم لبيض" المقدرة بـــ 2.200,000 فرنك وتراوحت أملاك بقية الضمان بين 7.000,000 فرنك و1.700,000 فرنك بالنسبة للضامن الواحد.

– ضمان "علي بن خليل الشتيوي" : هم عشرة أشخاص يملكون بصورة إجمالية 28.800,000 فرنك، وينفرد "الحاج الهاشمي بن علي سريب" بملكية ما قيمته 13.000,000 فرنك فرنسي وجميعها من العقارات، بينما تراوحت بقية أملاك الضمان بين 2.500,000 فرنك و800,000 فرنك.

ب – ضمان مشيخة المؤانسة :

لعل إنتصاب المدعو "أحمد بن محمد الأبيض" على رأس مشيخة المؤانسة منذ سنة 1892 إلى سنة 1923 ثم تولي إبنه "علي بن أحمد الأبيض" نفس الخطة إلى سنة 1934 تاريخ إعفاءه من مهامه كشيخ، ثم إنتخاب" سالم بن محمد بن عمارة مطيمط"، قد حال دون وجود جرود متكررة للضمان، فلا نجد سوى جرد ضمان "علي بن أحمد الأبيض" في مرحلة أولى وفي مرحلة ثانية تحفظ لنا الأرشيفات وجود تقارير حول جرد أملاك ضمان كل من "عبد الله بن محمد بن عطية "و"عمر بن قويدر بورقيبة" و"سالم بن محمد بن عمارة مطيمط".

- انتخابات 1923 :

- ضمان "علي بن الشيخ أحمد الأبيض" : كان عدد ضمان هذا المترشح إحدى عشرة وقدرت ثروتهم بـــ 405,200 فرنك ويعتبر والد المترشح الشيخ "أحمد الأبيض " أكبر الضمان ملكية ب 181,000 فرنك ويليه "عمارة بن سعيد الحبو" بـــ 141,000 فرنك، وبلغت أدنى قيمة من الممتلكات لدى المسمى "ميلود بن أحمد شلبي " المونسي بـــ 83000 فرنك.

- انتخابات 1934 :

- ضمان "عبد الله بن محمد بن عطية" : بلغ عددهم 16 ضامنا وقدرت قيمة ممتلكاتهم بـــ 755 ألف فرنك وكانت أكبر قيمة من الضمانات على ملك "محمد بن علي بوصرة" وقدرت بـــ 75 ألف فرنك أما أقل الضمان أملاك فهم "الحطاب بن علي بن مصدق" و"المبروك بن سعد التريكي" و"عون بن محمد بو بطان" وكان نصيب كل ضامن منهم 20 ألف فرنك، والجدير بالملاحظة هو إنتماء كل ضمان هذا المترشح إلى عرش "القريرات" من فريق المؤانسة.

- ضمان "عمر بن قويدر بورقيبة" : كان عدد ضمان هذا المترشح 16 ضامنا، قدرت أملاكهم بـــ639 ألف فرنك، منهم 150 ألف فرنك على ملك "محمد بن علي الفورتي" وهي أكبر قيمة من بين ملكيات الضمان أما أصغر قيمة فكانت 10 آلاف فرنك على ملك "الحطاب بن نصر الميلادي".

- ضمان "سالم بن محمد مطيمط ": قدر ضمان هذا المترشح بـــ 16 ضامنا بلغت أملاكهم 530 ألف فرنك وكان أكبر الضمان أملاكا هو والد المترشح "محمد بن عمارة مطيمط وتقدر هذه الأملاك بـــ 61,200 فرنك أما أقل الضمان أملاكا فهو "مصباح بن الحاج محمد الربيع" وتقدر أملاكه بـــ 13 ألف فرنك، وينتمي أغلب الضمان إلى مجموعة الهلة من عرش المؤانسة.

ج- ضمان مشيخة الزاوية :

- إنتخابات 1923 :

ترشح لمشيخة الزاوية في هذه الفترة أربعة أشخاص هم "محمد بن بلقاسم الضاوي" و"حفيظ بن أحمد بن عمر" و"مسعود بن علي خنشيل" و" عبد السلام بن منصور المحاط".

- ضمان "محمد بن بلقاسم الضاوي" : كان عدد ضمان هذا المترشح 10 أشخاص وقدرت قيمة أملاكهم المالية بـــ 280 ألف فرنك وتقدر أكبر قيمة أملاك بـــ 100 ألف فرنك وهي على ملك والد المترشح "الحاج بلقاسم الضاوي" بينما كانت أقل قيمة من الأملاك 10 آلاف فرنك للضامن "سالم بن سعيد الباجي".

- ضمان "حفيظ بن أحمد بن عمر" : كان عددهم 14 أما القيمة المالية لأملاكهم فقد قدرت بـــ 294 ألف فرنك ويعتبر "عبد الدايم بن أحمد المقرون" أثرى هؤلاء الضمان بما قيمته 50 ألف فرنك. أما أقلهم ثراءا فهما كل من "بلقاسم بن سعيد بن عمر" و"أحمد بن علي بن سعيد" ويملك كل واحد منهما ما قيمته 10 آلاف فرنك.

- ضمان "مسعود بن علي خنشيل" : بلغت قيمة أملاك ضمان هذا المترشح الأربعة عشر، 183 ألف فرنك أما أكبر الضمان ملكية فهم كل من "علي بن علي خنشيل" و"رحيم بن يوسف" وقدرت قيمة أملاك كل واحد منهما بـــ 30 ألف فرنك، وقدرت قيمة أملاك أقل الضمان بـــ 8 آلاف فرنك وهو المدعو "منصور بن سالم الصيايحة".

- ضمان "عبد السلام بن منصور المحاط" : بلغ عددهم 14 ضامنا وقدرت القيمة الإجمالية لأملاكهم بـــ 265 ألف فرنك وكان المدعو "أحمد بن منصور المحاط" أخو المترشح يملك 100 ألف فرنك وهي أكبر قيمة بالنسبة لبقية الضمان بينما لم تتجاوز قيمة أملاك "محمد بن الحميد بنور" 8 آلاف فرنك وهي أقل قيمة.

- انتخابات سنة 1947 :

أثناء هذه الإنتخابات أصبح ينتمي إلى مشيخة الزاوية عرش أولاد إمحمد الذي وقع حل مشيخته من طرف السلطات الإستعمارية سنة 1946، وأثناء هذه الإنتخابات ترشح كل من "عبد السلام بن مسعود الخلبوص" و"الحاج علي بن عمر القمير" و"الجيلاني بن بلقاسم الكنيس".

– ضمان "عبد السلام بن مسعود الخلبوص" : بلغ عدد ضمان هذا المترشح 11 ضامنا يملكون ما قيمته 3.814,000 فرنك، وقدرت قيمة أملاك المدعو "محمد بن عمر العاشق الجليدي" بـــ 820 ألف فرنك وهي أكبر قيمة، وتجاوزت أملاك ثلاثة من الضمان 500 ألف فرنك، وقدرت قيمة أملاك أقل المالكين بـــ 120 ألف فرنك وهو المدعو "عبد المجيد بن عمر معتوق".

– ضمان "الحاج علي بن عمر القمير" : بلغ عدد ضمان هذا المترشح 10 أشخاص ينتمون جميعا إلى عرش أولاد إمحمد، وقدرت القيمة الإجمالية لأملاكهم بـــ 2.397.500فرنك، يرجع النصيب الأكبر منها للمدعو "بلقاسم بن عمر القمير" أخو المترشح أي بما قيمته 380 ألف فرنك أما أقل الضمان أملاكا فهو "البشير بن محمد عبيشو" وقدرت أملاكه بما قيمته 50 ألف فرنك.

– ضمان "الجيلاني بن بلقاسم الكنيس" : تجدر الملاحظة إلى أن ضمان هذا المترشح هم أنفسهم ضمان المدعو عبد السلام بن مسعود الخلبويص" المرشح الأول.

4– نشأة بلدية جرجيس :

تأسست بلدية جرجيس بأمر علي من الباي في 24 ديسمبر 1889، وهي أول بلدية تبعث بالجنوب التونسي، وثالث بلدية في تونس بعد تونس العاصمة وسوسة. أطلق عليها في البداية إسم "مجلس الطرقات"، وإلى حدود سنة 1907 لم تكن مهام هذا المجلس تتجاوزضمن مشمولاتها المكان المعروف "بقصر أولاد بو علي" أو "قصر الشلبة" أي مركز مدينة جرجيس الحالي، لقد كان المجلس البلدي عند بداياته يتكون من رئيس و6 أعضاء كلهم من الأهالي، ولكن مع تطور ونمو مهام المجلس. البلدي، تغيرت تركيبة أعضاءه وأصبح يضم بداية من 14 أوت 1904 – تاريخ إصدار القانون الجديد الذي ينظم تركيبة المجالس البلدية ومهامها– مجلسا بلديا يتركب من : –إثنان من المستشارين من الفرنسيين – ثلاثة مستشارين من الأهالي– مستشار يهودي، وكل هؤلاء يتم تعيينهم بموجب مرسوم يصدر عن الباي. وكانت ميزانية بلدية جرجيس قد تطورت من 10.917,18 فرنك سنة 1907 إلى 20. 295. 200 فرنك سنة 1929. كما أن الدائرة البلدية بجرجيس قد شهدت تواجد شرطي فرنسي يأتمر مباشرة بأوامر كل من رئيس البلدية ورئيس فرع مصلحة الشؤون الأهلية، وكان وجوده بجهة جرجيس ناتجا عن أهمية الجالية الأوروبية المستوطنة بالمنطقة ([36]).

---

[36] Historique de l'annexe de Zarzis ... op.cit, pp 32-34 ;

5 – بعض نتائج إنتصاب الإدراة الإستعمارية الفرنسية بأقصى الجنوب التونسي وجرجيس :

أ – " **السلم الفرنسية** " : تجمع تقارير ضباط الإدارة العسكرية الفرنسية أن منطقة أقصى الجنوب التونسي قد إنتقلت من واقع الفوضى الذي كان سائدا قبل إنتصاب الحماية والمتمثل في إستقلالية قبائل المنطقة ولو نسبيا عن السلطة المركزية وسيادة علاقات الإغارة والنهب والإعتداء المتبادل بين القبائل بالرغم مما تجده هذه السلوكيات من دعائم في الأعراف السائدة، إلى واقع جديد " يتسم بالأمن والسلم الفرنسية " حتى أن الضابط "شافان" عبر عن ذلك قائلا : "إن هذه المناطق التي كانت عند مجيئنا إليها ميدانا للفوضى والنهب ولحالة إعتداء مستمر والتي لم يكن الأمن فيها مضمونا للأشخاص والممتلكات أصبحت تتمتع اليوم بالهدوء والأمن الشامل على إمتداد كل الجهات بما فيها المناطق الصحراوية خاصة بعد تعميم النظام السياسي والإداري المعمول به في كل أنحاء المحمية" ([37]). ووصف أحد الرحالة الفرنسيين الذين زاروا أقصى الجنوب التونسي في نهاية العشرينات المنطقة بأن وضعها الأمني لا يختلف كثيرا عن الوضع الأمني في ضواحي باريس ([38]) وبالرغم مما يظهر من مبالغة في تقارير الضباط الفرنسيين المتعلقة بالواقع الأمني بالمنطقة الجنوبية للبلاد فإن بعض المؤشرات تشير إلى صدق هذه التقارير في عدة جوانب، ومن هذه المؤشرات رسم الحدود نهائيا مع البلاد الطرابلسية طبقا لاتفاقية 19 ماي 1910 ([39])، وما يعنيه ذلك من وضع حد لحركة القبائل الجنوبية وحصر مجالاتها، لقد إنعكس هذا الوضع على جرجيس بأن أصبحت سلطة ضابط الشؤون الأهلية سلطة مطلقة مكنته من التدخل في نشاط المشائخ ومراقبتهم بصفة مستمرة وتحريضهم على جمع الضرائب التي إنتظم دخلها مما أدى إلى إزديادها ففي سنة 1888 كان الحجم الجملي للضرائب بجرجيس 44808 فرنك موزعة كالتالي :

- المجبي ... 35496 فرنك
- العشور ... 750 فرنك
- قانون الزياتين ... 8562 فرنك

وابتداء من سنة 1929 أصبحت القيمة الجملية للضرائب 253.697,50 فرنك تتوزع كالتالي :

---

[37] Cahvanne Historique des affaires indigenes de Tunisie 97.

[38] يتعلق الأمر "بجان توماس « Jean Thomas » الذي تناول الواقع الأمني في الجنوب التونسي في محاضرة أمام أعضاء الجمعية الجغرافية الفرنسية في باريس يوم 7 جويلية 1928 ؛

- Thomas (Jean), A travers le Sud Tunisien, Paris 1930 P91.

[39] مجلة وثائق عدد 15 تصدر عن المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس.

- العشور ... 33.445,76 فرنك

- ضريبة الماشية ... 23.111,18 فرنك

- قانون الزياتين ... 88.552,56 فرنك

- قانون النخيل ... 18.531,92 فرنك

- الاستيطان .... 83.980,07 فرنك ([40])

لا شك أن تطور الدخل الضريبي قد كان نتيجة لجملة الإصلاحات الإدارية التي شهدتها جرجيس وخاصة التغييرات التي قام بها الضابط "لكلارك" سنة 1892. وشكل ذلك بالإضافة لعامل "الإستقرار وسيادة السلم الفرنسية" مرتكزا لإنتهاج سياسة تعمير فرنسية ستبرز في مستوى تعبيد الطرقات وحفر الآبار وتجهيز الميناء وبعث المصالح الإدارية مثل إدارة البريد (التلغراف) ... الخ في محاولة لإستقطاب مزيد من المعمرين الذين تزايد عددهم مقارنة مع بداية الإحتلال الفرنسي للمنطقة.

ب – أحداث عام القارب : رغم أهمية عام القارب في الذاكرة الجماعية لأهالي جرجيس لأنها تحولت إلى مرجع يؤرخون إنطلاقا منه point de repere historique بالنسبة للتاريخ الشعبي لعكارة ، فإن الدراسات التي تناولت هذه المسألة تكاد تكون منعدمة بإستثناء الإشارة العابرة التي وردت في مقال " الأستاذ عبد المجيد ذويب " بعنوان " جرجيس " و تحدث فيه عن " فاجعة 5 جوان 1907 التي مات أثناءها ثلاثة و سبعون فلاحا جاءوا من جرجيس في زوارقهم إلى موضع الكتف في الحدود الليبية لحصاد زرعهم و كان الحاكم العسكري سخرهم مكرهين لحجز سفينة تهريب أجنبية شحنتها بارود و أسلحة تفجرت كالبركان عند وصول زوارق الحصار إليها " [41]. فما هي حقيقة أحداث عام القارب ؟ ما هي أسبابها ؟ ما هي تأثيراتها على عكارة ؟كيف تفاعلت السلطة الإستعمارية مع الحادثة[42] ؟

---

[40] Historique de l'annexe de Zarzis ... op cit, P33.

– لقد وقع استبدال ضريبة الاستيطان بضريبة المجبي بداية من سنة 1914.

[41] ذويب (عبد المجيد) جرجيس دائرة المعارف التونسية بيت الحكمة قرطاج، كراس عدد 1، 1990 ص 74

[42] تجدر الإشارة إلى أننا إعتمدنا في هذا الجزء من المؤلف و بصفة رئيسية على التقارير المحفوظة بأرشيفات الحكومة التونسية و المتمثلة في تقارير الضابط " مورو Moreau " رئيس مصلحة الشؤون الأهلية بجرجيس و في شهادات الأدلاء الذين حضروا الحادثة و جملة الأوامر و القرارات التي إتخذتها السلط المركزية بتونس تجاه الحادثة.

- **التوقيت و المكان** : إن إنطلاقة حادثة عام القارب حسب بعض الشهادات " قد بدأت يوم 2 جوان عندما دخلت مجموعة من مراكب عكارة المختصة في صيد الإسفنج وأنذرت بدخول مركب من الحجم الكبير تشتغل بالطريقة البخارية إلى المياه التونسية. لقد أرست الباخرة على مقربة من سواحل الشوشة الطويلة قرب الكتف في عمق مائي يفوق 80 .1 مترا [43] .و قد تمت عملية مراقبة السواحل بين منطقة الكتف و رأس جدير إلى تارخ 4 جوان 1907 و فيه وقعت الفاجعة على الساعة الرابعة . لابد من الإشارة إلى أن المصادفة !!! قد جعلت من قبيلة عكارة ضحية لهذه الحادثة للأسباب التالية :

- إرساء القارب في السواحل المتاخمة لأراضي عكارة في منطقة الشوشة الطويلة وبصفة خاصة قرب أراضي عرش أولاد بوعلي في منطقة الكتف
- تزامن توقيت هذه الحادثة مع وجود قبيلة عكارة بمنطقة الشوشة في فترة الحصاد في بداية شهر جوان
- المعروف أن قبيلة عكارة تمارس نشاطا مزدوجا ذو طابع فلاحي وبحري .

لقد بدأت هذه الحادثة عندما أصدر رئيس فرع مصلحة الشؤون الأهلية ببنقردان أوامره إلى أعضاء مخزن بنقردان بسيدي التوي و أعضاء مخزن جرجيس بالشوشة و إلى بحارة عكارة المنتصبين في تلك الفترة بالشوشة بمحاصرة المركب (القارب المشحون بالكنترة le navire charge de contre bande) . و عندما أعطى الشاوش أوامره إلى البحرية صعد على المركب كل من خليل بن إمحمد الشتيوي و رحيم بن عيسى بن شويخة و رحومة بن منصور و منصور بن أحمد بن سعيد ثم المسمى عامر بن عمر بن منصور. و رغم تهديدات رئيس القارب بالحرق و تفجير المركب فقد لوحظ إصرار على التفتيش من طرف مخزن عكارة و التوازين . و تشير التقارير أيضا إلى تبادل التهديدات بإطلاق النار . لقد أصر رئيس المركب على إجتناب المواجهة كما تشير إلى ذلك هذه العبارة المكثفة على لسان الضابط " مورو" " Laissez – moi tranquille vous ne pouvez pas me prendre Akkara " [44] . لقد أدى هذا الإحتكاك و المواجهة بين أفراد من مجموعات عكارة و التوازين والبيبانية الجرابة من ناحية و رايس القارب من ناحية أخرى إلى حدوث الكارثة المتمثلة في إنفجار المركب المحملة بأطنان من البارود و الأسلحة و المتفجرات و كانت نتائج الإنفجار وخيمة مما جعل السلطات الإستعمارية تستعمل في كافة تقاريرها و مراسلاتها مصطلح catastrophe الكارثة للتدليل على حجم المأساة .

---

[43] أرشيفات الحكومة التونسية سلسلة E صندوق 393 ملف 1-2 شهادة محمد بلحاج مبروك بن شامخ من عرش الخزور من قبيلة التوازين و شهادة ضو بن حسن بوشهيوة من قبيلة عكارة.

[44] أرشيفات الحكومة التونسية سلسلة E صندوق 393 ملف 1-2

- **ضحايا الإنفجار** : تشير تقارير الضابط " مورو" إلى السلطة المركزية بتونس إلى وفاة 37 شخصا و جرح 19 آخرون في حادثة إنفجار القارب بالشوشة الطويلة كما يشير إلى ذلك الجدول التالي[45] : - المتوفون

إسم الشخص	السن	المهنة	القبيلة	العرش
الشيباني بن محمد الحفيان	30	cavalier guide	عكارة	-
علي بن عمر بن شويخة	40	cavalier makhzen	عكارة	أولاد بوعلي
أحمد بن عبيد	30	cavalier makhzen	أولاد شبل	العصايدة
محمد الشراح	30	cavalier makhzen	التوازين	-
رحيم بن عيسى بن شويخة	40	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
محمد بن رحم بن عسة الملقب بالقباجي	16	بحري	عكارة	أولاد بوعلي
الشوشان منصور بن مسعود بن فرج	25	بحري	عكارة	شواشين أولاد بوعلي
خليل بن محمد الشتيوي	45	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
علي بن عبد الله العودي	25	بحري	عكارة	أولاد بوعلي
سعيد بن عبد الدام التريكي	28	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
مبروك بن علي بوحافة	28	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
محمد بن بلقاسم بن مسعود بن شويخة	16	بحري	عكارة	أولاد بوعلي
محمد بن مصباح بن شويخة	18	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
أحمد بن سالم الهنيد	18	بحري	عكارة	أولاد بوعلي
عامر بن عمر بن منصور بن عبدالله	22	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
سعد بن علي خنيسي	45	بحري	عكارة	أولاد بوعلي
الشوشان سالم بن علي بن طالب	25	بحري	عكارة	شواشين أولاد بوعلي

[45] أرشيفات الحكومة التونسية سلسلة E صندوق 393 ملف 1-2

رحومة بن منصور بوشهيوة جدو	25	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
عمر بن علي المكشر	25	بحري	عكارة	أولاد بوعلي
محمد الطرابلسي	35	بحري	عكارة	أولاد بوعلي
أحمد بن محمد العودي	25	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
محمد بن عمر اللعاب	17	بحري	عكارة	أولاد بوعلي
عبد اللطيف بن رحومة الفندلي	25	بحري	عكارة	أولاد بوعلي
محمد بن أحمد بن هنيد القمباري	35	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
منصور بن أحمد بن سعيد بن مرزوق	50	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
الشوشان أحمد بن الحاج سالم بوبي	30	بحري	عكارة	شواشين أولاد بوعلي
بلقاسم بن عبد اللطيف بوشهيوة	20	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
محمد بن أحمد بن شويخة	35	رايس	عكارة	أولاد بوعلي
الشوشان عمر بن عون الله	31	بحري	عكارة	شواشين أولاد بوعلي
عبد الحميد بن حسن الهوش	25	بحري	عكارة	الزاوية
الشوشان محمد بن مبروك لحيمر	33	بحري	عكارة	شواشين أولاد بوعلي
الشوشان عمر بن ناصر لحيمر	25	بحري	عكارة	شواشين أولاد بوعلي
أحمد بن محمد الخياري	-	رايس	جربي	بيباني
سليمان بن بوزيد	-	رايس	جربي	بيباني
معتوق ولد حسين شوباب	-	بحري	جربي	بيباني
يحي ولد علي معتوق	-	بحري	جربي	بيباني

- قائمة الجرحى :

إسم الشخص	السن	القبيلة و العرش
محمد بن شامخ	40	التوازين – الخزور
عمارة بن حفيظ	40	عكارة – أولاد بوعلي
مبروك الحرابي	32	التوازين
عمر بن أحمد المكشر	25	عكارة – أولاد بوعلي
علي بن سعد الغبنتني	30	التوازين –الخزور
عمر بن الشيباني الوريمي	18	عكارة – وريمة أولاد سعيد
ضو بن حسن بوشهيوة	28	عكارة – أولاد بوعلي
عبد الرحمان بن أحمد بوعبورة	16	عكارة – أولاد بوعلي
خليفة بن عبد السلام بن سليم	20	عكارة – خلايفة
محمد بن مرزوق بعبورة	40	عكارة – أولاد بوعلي
محمد بن أحمد غميض بوشهيوة	40	عكارة – أولاد بوعلي
عبد الله بن سعيد الجبالي	20	جربي – بيباني
أحمد بن سماعيل البيباني	–	"
مسعود بن عاد البيباني	–	"
محمد الهرمي البيباني	–	"
صالح بن حسن البيباني	–	"
محمد بن حسن البيباني	–	"
مسعود اللافي	–	التوازين
سعيد اللافي	–	"

إن قراءة الجداول و الأرقام [46] تفضي بنا إلى القول بأن قبيلة عكارة كانت المتضرر الرئيسي في أحداث عام القارب فقد وصلت نسبة قتلى عكارة إلى حوالي83% من المتوفين ، و تأتي نسبة قتلى الجرابة البيبانية في المرتبة الثانية بعد عكارة و تصل إلى 10 % . في المرتبة الثالثة نجد ضحايا التوازين و العصايدة من القتلى حيث تصل نسبة كل فريق إلى5. 2% . أما عن المتوفين من قبيلة

[46] تتكون عينة الضحايا من 37 شخصا و الجرحى من 19.

عكارة فقد تضرر عرش أولاد بوعلي بصفة خاصة إذ وصلت نسبة قتلاه إلى 83 % بينما لم تتجاوز نسبة ضحايا عرش الزاوايا 1 %. تفيد نفس الأرقام أن جرحى عكارة وصلت نسبتهم إلى حوالي 40 % و لم تتجاوز نسبة جرحى قبيلة التوازين 20 % و فاقت نسبة جرحى الجرابة 30 %.أما داخل قبيلة عكارة فإن جرحى أولاد بوعلي كانت نسبتهم 75 %و لم تتجاوز نسبة جرحى عرش الخلايفة ووريمة 1 % .و كان قرابة 90 %من الضحايا القتلى يشتغلون بالصيد البحري كرايس أو كبحري ، بينما لم يتجاوز عدد القتلى المشتغلين في جهاز المخزن بمركز الشوشة (مخزن عكارة)و مخزن سيدي التوي (مخزن التوازين) 10 % . أما فيما يتعلق بأعمار الضحايا فقد تراوحت بين 16 و 40 سنة . و تفيد النسب المتحصل عليها أن قبيلة عكارة هي الضحية الرئيسية كما أسلفنا و قد كان ذلك ناتجا عن وجود هذه القبيلة بمنطقة الشوشة أين توجد أغلب أراضيها الصالحة للزراعة و بآعتبار النشاط الإقتصادي – صيد بحري و نشاط فلاحي – فقد كانت النسبة الكبرى من الضحايا من عرش أولاد بوعلي لإختصاصه في ممارسة النشاط البحري و بآعتبار أن أراضي هذا العرش كانت متاخمة لمكان إرساء القارب المنفجر و قد إتجه بعض الأفراد من عرشي أولاد بوعلي و الزاوية و من البيبانية الجرابة إلى مكان الكارثة تحت ضغط الضابط رئيس فرع مصلحة الشؤون الأهلية ببنقردان أو بصفة فضولية و يؤكد ذلك النسبة المتدنية من المخازنية و النسبة المرتفعة من " الرياس و البحرية "إنطلاقا من طبيعة مهنتهم في مجال النشاط البحري بينما نلاحظ غيابا شبه كلي لأفراد بقية عروش عكارة و كان ذلك ناتجا عن إبتعاد أراضيهم الجماعية عن مكان الحادث و كذلك لعدم إشتغالهم بالصيد البحري وآكتفائهم بالنشاط الزراعي.

- **الخسائر المادية :** لقد أدى إنفجار قارب الأسلحة و البارود إلى إحتراق أو فقدان حوال 20 مركبا توزعت كما يلي [47]:

عدد المركب	إسم صاحبها
1	عمر بن محمد المكشر
2	ضو بن حسن بوشهوة
3	مبروك بن علي بوحافة
4	رحيم بن عيسى بن شويخة
5	خليل بن محمد الشتيوي
6	سعيد بن عبد الدايم التريكي
7	محمد بن مصباح بن شويخة

[47] أرشيفات الحكومة التونسية سلسلة E صندوق 393 ملف 1-2

8	عامر بن عمر بن منصور
9	مصباح بن الحاج محمد الشتيوي
10	محمد بن حسن البيباني
11	سليمان بن بوزيد البيباني
12	أحمد بن محمد الخياري
13	رحومة بن منصور بوشهيوة جدو
14	أحمد بن محمد العودي
15	محمد بن أحمد هنيد القمباري
16	منصور بن أحمد بن سعيد
17	بلقاسم بن حفيظ بوشهيوة
18	محمد بن أحمد بن شويخة
19	أحمد بن عبدالله لحمير
20	سعد بن أحمد التاجوري

يشير المرجع السابق إلى أن المراكب التي إندثرت تحمل الأعداد التالية : 18،17،16،15،14،13،12،11،10،8،7،6،5،4،3،2،1 و19 . و قد تمكن المركب عدد 9 من الوصول إلى الشاطئ لكن في حالة إحتراق و نجا المركب عدد 20 بأعجوبة في حين أنه لم يكن يبعد سوى 200 متر عن القارب المنفجر . و قد قدرت سلطات الإحتلال الفرنسي القيمة المالية لهذه الخسائر بحوالي 900 .3 فرنك فرنسي .

– **رد فعل عكارة تجاه الحادثة :** خرج سكان جرجيس في رد فعل عفوي أمام حجم الفاجعة في محاولة لمعرفة حقيقة الأحداث ، و إتجهوا إلى منطقة المرسى ثم تظاهروا بشوارع البلدة و بمنطقة حمادي طيلة ليلة 4 و5 جوان 1907 و قد تابع أفراد قبيلة عكارة مطالبة السلطة الفرنسية بالتعويضات المادية لمدة طويلة .

– **تعامل سلطات الإحتلال الفرنسي مع نتائج الإنفجار :** تمثلت أولى ردود الفعل في زيارة الضابط فوشار Foucher رئيس مصلحة الشؤون الأهلية بالأقامة العامة بتونس ممثلا للمقيم العام و قد كان ذلك يوم 8 جوان 1907 أي بعد أيام قليلة من وقوع الحادثة فإتجه مباشرة إلى مكان الإنفجار بمنطقة الشوشة و إثر ذلك إجتمع بأعيان عكارة في محاولة لإمتصاص الغضب الشعبي الناتج توريط الإدارة الإستعمارة للأهالي في هذه الحادثة و في نفس الإطار قام الضابط فوشار بإعتباره يمثل المقيم العام الفرنسي بتوزيع دفعة أولى من الإعانات على المتضررين و عائلاتهم من قتلى و جرحى قدرت ب025. 2 فرنك فرنسي . و في خطوة لاحقة حدد الضابط مورو رئيس فرع مصلحة الشؤون الأهلية بجرجيس القيمة

المالية الجملية التي يجب أن تمنح لضحايا الإنفجار ب 825 .12 فرنك فرنسي ووجه مكتوبا رسميا إلى Dubourdieu المسؤول عن التعويضات المخصصة لضحايا الحادثة بإدارة المالية يطلب منه إدراج المبلغ المطلوب ضمن ميزانية 1908 . و إضافة إلى ذلك قام الضابط فوشار بتقديم جملة من النياشين مثل نيشان الإفتخار بصنفيه أ و ب [48]. كما حاول الضابط مورو حل بعض النزاعات الناتجة عن مديونية بعض المتوفين لدى وسيطين فرنسين قاما بتمويل و شراء عدة مراكب و نفس الشيء بخصوص متوفين آخرين كانوا مدينين بما قدره75. 130 فرنك لليهودي إسحاق مدر الذي كان يشتغل وسيطا .

- **خلفية الموقف و كبش الفداء** :بدأت السلطات الإستعمارية إستكشاف خلفية الإنفجار عن طريق تجميع شهادات الأدلاء الذين أجمعوا على أن الشوشان الذي كان يحاور أصحاب المراكب المحيطين به من عكارة يدعى "مفتاح " و يرتدي "كشابية " . أما بقية طاقم القارب فقد كانوا يرتدون ملابس ذات طابع مالطي و كان البعض منهم يرتدي الشاشية ذات اللون الأحمر و الأبيض . و من المفترض أن تكون هذه المعلومات بمثابة الدليل على أن الباخرة المحملة بالأسلحة و البارود كانت تابعة للأتراك المنتصبين بطرابلس بليبيا في تلك الفترة . و تتأكد هذه الخلفية من خلال ماجاء في إحدى الوثائق من أن " الجربي يوسف بن صالح بن داق أحد بحرية الشقف الذي وقع نسفه برأس الكتف كان بارح السفينة قبل ذلك بأيام لقضاء مأمورية لدى الطرابلسية المجلوب لهم الكنترة بحيث نجا من الهلاك و لما سمع بالواقعة رجع إلى بلده فبلغ أمره الحكومة و ألقت عليه القبض ، و من خلال بعض التحقيقات التي أجريت معه إعترف ببعض الأمور و إعتبر الأخرى مخالفة للواقع ".[49] يؤكد هذا النص بأن الأتراك هم وراء وجود السفينة المنفجرة في المجال البحري للبلاد التونسة و المعروف أن الأتراك كانوا يكنون عداءا كبيرا للحضور الفرنسي على الأراضي التونسية هذا إضافة إلى أن موازين القوى العالمية كانت تنبؤ بأن العالم في تلك الفترة ستحصل عليه تغيرات هيكلية وهو ما وقع بالفعل من ذلك إحتلال إيطاليا لليبيا و قيام الحرب العالمية الأولى و ما أفرزه ذلك من تبدل في الخارطة العالمية مثل تفكك الإمبراطورية العثمانية كإحدى أقوى الإمبراطوريات في العالم .

---

[48] تتمثل قائمة المتحصلين على النيشان الفرنسي فيما يلي : 1 عمر بن أحمد المكشر 2 مبروك الحرابي 3 عمارة بن حفيظ 4 سعيد اللافي 5 عمر بن الشيباني الوريمي 6 مصباح بن محمد الشتيوي 7 ضو بن حسن بوشهيوة 8 مسعود اللافي 9 خليفة بن حسن بن عبد السلام 10 عبد الرحمان بن أحمد بن علي 11 علي بن سعد الغبنتني 12 محمد بن حسن البيباني 13 صالح بن حسن 14 محمد الهرمي 15 مسعود بن عياد 16 أحمد بن إسماعيل خروبة 17 محمد بن مرزوق بعبورة 18 محمد بن أحمد غميض 19 عبد الله بن سعيد الجبالي 20 إمحمد بن محمد شلبي 21 أحمد بن عبد الله بن حسين 22 عمر بن علي الخويلدي 23 الناصر بن مسعود بن رحومة 24 الشوشان حمدان كزوز 25 عبد الله بن علي بن نصر 26 سعد بن إمحمد التاجوري. و كلهم من مجموعات عكارة و التوازين و البيبانية الجرابة. أنظر المرجع السابق نفس الملف و الصندوق

[49] أرشيفات الحكومة التونسية سلسلة E صندوق 393 1-3 مكرر و ثيقة عدد 122

لقد كانت قبيلة عكارة هي الضحية و كان الجربي " يوسف بن صالح بن داق " هو كبش الفداء و لم تحمل الإدارة الإستعمارية الضابط "Chavin " رئيس فرع مصلحة الشؤون الأهلية ببنقردان أية مسؤولية في حين أنه المسؤول المباشر عن الفاجعة التي حصلت لعكارة و تمسكت سلطة الإحتلال بإتهام " بن داق " الذي سجن في البداية في سجن بنقردان ثم نقل إلى السجن الجديد بالحاضرة تونس " نتيجة تلاعبه وتواطئه مع الأتراك ومحاولة إدخال ما هو ممنوع إلى الأراضي التونسية" [50].

[50] أنظر مقالنا قراءة في علاقة عكارة بالسلطة المركزية في تونس ... مرجع سابق ص 30

الفصل الرابع

أشكال الممارسة الثقافية

I – الممارسة الدينية وظهور الزوايا في المجتمع المحلي العكاري :

تميزت الممارسة الثقافية في جرجيس أثناء الفترة الإستعمارية وما قبلها في غالب الأحيان بطابعها الديني في شكله الطرقي وذلك بالإعتماد على الزوايا كفضاء لهذه الممارسات. فلا تحدثنا الوثائق – الفرنسية منها بصفة خاصة– على نشاط ديني خارج الزاوية –المسجد . إن الملفات المحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي تحفظ لنا وثائق عديدة وذات أهمية تتعلق بالزوايا – المساجد الموجودة بجهة جرجيس وكيفية إدارتها ومدى وجود أئمة خطباء بها ومستواهم التعليمي وتكوينهم الديني وإقامتهم للصلاة ([1]) وعدد أنصار كل طريقة صوفية وأبرز مشائخها ومختلف نشاطاتهم.

تعتبر جرجيس – كنموذج للمجتمع المحلي في تونس – مجالا خصبا لنشاط العديد من الطرق والزوايا فقد ظهرت أول زاوية طرقية بها في سنة 1163 هـ وهي فرع للطريقة العيساوية وأسس هذه الزاوية "منصور بن عبد الرحمان العكاري المغربي" ([2]) وشكل ذلك بداية لإنتشار الطرقية بجرجيس التي عرفت بكثافتها منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن كما يتبين من خلال الجدول التالي:

---

[1] لاشك أن التكوين العلمي الذي كان يتلقاه الدارسون في جامع الزيتونة بالحاضرة وبفروعه بالجهات كان يؤهل الكثير منهم للتكفل بمهام الإمامة، إلا أن السلطة في بعض الأحيان تنصب أشخاصا يفتقدون للتكوين الديني الضروري ويشفع لهم في ذلك علاقاتهم وخدمتهم لمصالح الإدارة الاستعمارية، في هذا الإطار بعث المسمى ضو بن محمد بن عبد الله لصيلع المونسي العكاري برسالة إلى الوزير الأكبر عبد العزيز بوعتورة يطلب منه تغيير إمام زاوية وجامع سيدي مصدق بقصر المؤانسة بجرجيس المدعو محمد بن الصيد بن مصدق نظرا لجهله بقواعد الصلاة وعدم معرفته بالكتاب والشرع وقد أمر الوزير الأكبر بحفظ الرسالة، وقد تبين أن سلطات الإحتلال تحمل إنطباعا طيبا على هذا الشخص وعلى أفراد عائلته حتى أن رئيس مكتب فرع مصلحة الشؤون الأهلية بجرجيس كتب إلى السلطة المركزية بمناسبة تعيينه وكيلا لجمعية الأحباس بجرجيس قائلا : " هذا الشخص يقوم بمهام الإمامة بجامع المؤانسة، وعائلته قدمت عدة أدلة على إرتباطها بفرنسا لأن عدة أعضاء من هذه العائلة عملوا سواء كجنود أو كعملة إستعماريين!!! أنظر الأرشيف الوطني التونسي السلسلة D صندوق 34 ملف عـــدد 2.

و في نفس الإطار أبدات الإدارة الإستعمارية تأييدها لتعيين البغدادي بن بلقاسم بوحافة إماما بجامع الحصار بجرجيس رغم صغر سنه (25 سنة في عام 1889) لأنه ينتمي إلى عرش أولاد بوعلي وإلى عائلة بوحافة التي يقول عنها القائد العسكري الفرنسي إن إرتباطها بالأمة الحامية (فرنسا) كان دائما صحيحا !!! إلا أن ما يميز هذا الشخص هو تكوينه الديني والعلمي الذي مكنه من الإشتغال كعدل. أنظر الأرشيف الوطني التونسي سلسلة D صندوق 34 ملف عـــ3ــدد.

[2] وردت هذه المعلومات بالوثيقة المحفوظة لدى القائمين على الزاوية العيساوية بجرجيس وتحمل عنوان شجرة ورد العيساوية بجرجيس وهي مؤرخة في سنة 1163 هــجرية.

جدول لأهم المجموعات الطرقية وأسماء شيوخها وعدد أنصارها في نهاية القرن الماضي (1887) (3)

إسم الزاوية	إسم الشيخ المشرف	عدد الأنصار	مكان النشاط
الزاوية الرحمانية	- المقدم سي سالم بوشهيوة	120	- زاوية سيدي الحسين
الزاوية السلامية- العروسية	- الحاج بن حفيظ - الحاج مسعود النويلي -علي بورقيبة القاضي	150	- قصر الزاوية - قصر أولاد بوعلي - قصر المؤانسة
زاوية مولاي الطيب	- الحاج علي بن عويدة	70	- قصر أولاد بوعلي
الزاوية العيساوية	- الحاج إبراهيم بن أحمد بن سالم	-	- مسجد أولاد سعيد - جامع أولاد بوعلي (الحصار) جامع المؤانسة
القادرية	- الحاج إمحمد بن خليفة مطيمط	75	- قصر المؤانسة جرجيس
العلوية	-	45	-

وبالرغم من تواجد سبع طرق صوفية رئيسية بجرجيس فإن ثلاثة طرق فقط قامت بإحتكار المجال الديني العكاري، وهي على التوالي القادرية، السلامية والتيجانية :

1-الزاوية القادرية :

تشير تقارير الإدارة العسكرية الإستعمارية إلى وجود ثلاثة مراكز للزاوية القادرية بجرجيس عند بدايات الفترة الإستعمارية. يوجد المركز الأول قرب قصر أولاد بوعلي بجرجيس ويشرف عليه الشيخ "الشيباني القبة " الذي تصفه التقارير بأنه بدون نفوذ ولا يمتلك ثروة، وقد قامت السلطة العسكرية المحلية بإنتزاع الأراضي التي شيد عليها مركز الزاوية وضمتها للثكنة العسكرية ورغم إعتراف التقارير بخطإ هذا الإجراء إلا أنها تمسكت بما قامت به لأسباب عسكرية. ووجد المركز الثاني لنفس الزاوية بالمؤانسة ويبدو أن هذا المركز هو الأول من بين مراكز الزاوية القادرية بجرجيس وقد أسسه "الحاج محمد بن خليفة مطيمط" وقد تولى الإشراف عليه بعد وفاة المؤسس إبنه "سعد مطيمط" الذي وقع تعيينه على رأس هذه الزاوية بعد أن أرسل " فقراء" القادرية بالجهة بمكتوب أول إلى شيخ الطريقة القادرية بالقطر التونسي "صالح بن محمد بن شعبان" لإعلامه بأنهم إتفقوا على أن يكون المدعو "سعد مطيمط" شيخا عليهم ثم أرسلوا بعريضة تحمل 67 إمضاء في نفس الغرض إلى السلطة المركزية التي قررت

[3] Bailly, Notices ..opcit, p 55
- Menouillard Zarzis monographie du territoire ..opcit, p 150
-الأرشيف الوطني التونسي السلسلة D صندوق 111 ملف 9

الإستجابة لهذا الطلب حسب أمر 6 جويلية لسنة 1933. تشير التقارير الإستعمارية إلى أن هذا الشيخ لا يحسن القراءة والكتابة باللغتين العربية والفرنسية بالرغم من أن والده متحصل على شهادة التطويع من الجامع الأعظم. ويمتلك هذا الشيخ ثروة محترمة قدرت في الثلاثينات ب 20 ألف فرنك. وبعد وفاة هذا الشيخ تولى إبنه نفس المهمة وهو ما يعني توارث أفراد عائلة " مطيمط " مهمة الإشراف على فرع الزاوية القادرية بالمؤانسة.

يوجد فرع ثالث لهذه الزاوية بجرجيس هو مركز حمادي الذي كان يشرف عليه في بدايات الفترة الإستعمارية المدعو"عمارة بن محمد مطيمط" وبعد وفاته تولى الإشراف المدعو "محمد بن عمارة المحروق" الذي أرسل فقراء هذه الزاوية في شأنه بمكاتيب لشيخ الزاوية القادرية بالقطر التونسي وللسلطة المركزية يطلبون توليته شيخا على فرع زاويتهم وتشير تقارير الإدارة العسكرية الفرنسية إلى أن هذا الشيخ الذي تولى هذه الخطة سنة 1939 ليست له معارف في اللغتين العربية والفرنسية وقد آشتغل بجهاز المخزن بجرجيس وتقدر ممتلكاته بـــ 20000 فرنك فرنسي.

لا بد من الإشارة أيضا إلى أن للزاوية القادرية فرعا آخر بجرجيس يوصف بأنه غير ذي أهمية وكان يشرف عليه الشيخ "سعد غميض" الذي تصفه التقارير بعدم التأثير وضعف النفوذ([4]).

2- الزاوية السلامية :

إن المعلومات المتعلقة بالزاوية السلامية بجرجيس تشير إلى وجود فرعين لهذه الزاوية، يوجد الفرع الأول بقصر أولاد بوعلي ولا تشير التقارير الإستعمارية إلى ظروف تأسيسه، فلا نجد إلا إشارات عابرة تتعلق بإشراف العدل "مسعود النويلي" - وكيل جمعية الأحباس بجرجيس -على هذا الفرع وبعض التشكيات المرسلة من طرف المدعو " محمد بن عبد النبيء بعبورة " الذي يرغب في إستخدام مقر الزاوية كفرع لتعليم القرآن ولكن مطلبه رفض من طرف شيخ الزاوية الذي يصفه بعدم القدرة على القيام بهذه المهمة.أما الفرع الثاني لهذه الزاوية فقد وقع بعثه بقرية المؤانسة سنة 1926 من طرف "الحاج محمد بن محمد الفيتوري" الشريف القاطن بجربة الذي كان يبث " الدعوة السلامية في سائر جهات البلاد وقد إستجاب لهذه الدعوة مجموعة من الأفراد من عرش المؤانسة بجرجيس وأسسوا فرعا للزاوية السلامية، وتشير التقارير إلى أن فرع الزاوية السلامية بالمؤانسة كان خاضعا لإشراف شيخها المقدم " بلقاسم بن محمد بن الصيد بن مصدق" الذي توفي سنة 1949، مما أدى إلى تعويضه مؤقتا من طرف المدعو "محمد بن سعيد بن عبد الله الفقي". وعلى إثر ذلك طالب أعضاء الزاوية المذكورة بتسمية

[4] - الأرشيف الوطني التونسي السلسلة D صندوق 111 المفات 6 - 7 - 8 - 9

المدعو "عبد السلام بن علي بن عبد الله درين المونسي العكاري " شيخا مقدما على فرع هذه الزاوية وذلك بإرسال عريضة تحمل 41 إمضاء إلى السلطة المركزية.

وأشارت التقارير العسكرية المحلية إلى أن "عبد السلام بن علي درين" يحسن القراءة والكتابة باللغة العربية فقط وهو صاحب ثروة متوسطة. ورغم إقرار الإدارة العسكرية المحلية بتوفر شروط اللياقة في الشخص المذكور حتى يكون مقدما لفرع الزاوية السلامية بالمؤانسة فإن السلطة المركزية لم تستجب لهذا الطلب، إلا بعد سنتين وقد يكون وراء هذا التأخير شك في إنتماء هذا المترشح إلى خلايا الحركة الوطنية بجرجيس ([5]).

3- الزاوية التيجانية :

جاء دخول الطريقة التيجانية وانتشارها بجرجيس متأخرا مقارنة ببقية الطرق الصوفية. ولم يقع تأسيس الزاوية الأولى والوحيدة لهذه الطريقة إلا بداية من العشرينات وعلى خلاف بقية الطرق لا تحفظ لنا الأرشيفات التونسية ملفات خاصة بنشاط أعضاء الزاوية التيجانية بجرجيس وقد يعود ذلك إلى عدم وجود مراسلات دورية بين مشائخ هذه الطريقة المحليين والسلطة المركزية. ونجد بعض الإشارات لنشاطات أعضاء التيجانية ببعض الملفات الأخرى أو بالصندوق المخصص لأنشطة أفراد التيجانية بالقطر التونسي وكذلك إحتواء بعض الدراسات لمثل هذه الإشارات. ومن هذه الإشارات الزيارة التي قام بها عضوان من قادة التيجانية بجرجيس وهما "العربي بن سالم بن مشارك" و" علي بن سالم مشارك " لمركز الطريقة بتماسين بالجزائر ([6]). ولم ترد معلومات مفصلة ودقيقة حول نشاط الطريقة التيجانية بجرجيس من طرف ضباط الإدارة العسكرية الفرنسية إلا بعد وقوع بعض المصادمات بين أعضاء هذه الطريقة وأفراد آخرين من أهالي المنطقة ويقول تقرير الضابط " "قيدار Guyader " بتاريخ 22 سبتمبر 1932 أن اعضاء هذه الطريقة البارزين في تلك الفترة هم " محمد بن عبد الغفار" القاضي و"علي الأبيض " شيخ مجموعة المؤانسة و" حسن بن مشارك " شيخ قديم على فريق أولاد إمحمد و"عمر بن سالم الحافي " العدل و"عبد السلام بن عبد الله " العدل و"العربي بن سالم بن مشارك" كاتب كاهية جرجيس السابق، وقد تمكن أفراد هذه الطريقة من تحقيق إنتشار كبير لطريقتهم بين اهالي جرجيس وذلك بفضل التاثير الكبير الذي كان يقوم به "محمد بن عبد الغفار" القاضي، لكن ذلك لم يعجب البعض وخاصة المدعو "حسن بن عبد الله بن صالح " الذي جلب من إمام مدنين "الحاج محمد كسيكسي" كتابا مطبوعا بالمكتبة الشرقية بالقاهرة يحمل عنوان "في تفنيد عقائد الطريقة التيجانية "، وأدى تداول

---

[5] – الأرشيف الوطني التونسي السلسلة D صندوق 153 الملفات 2 -3 -4 -5

[6] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة D صندوق 156 ملف 31

هذا الكتاب إلى تذكية الصراع بين أعضاء الطريقة التيجانية بجرجيس وبعض الأشخاص الذين أعلنو عدائهم لهذه الطريقة وكل من ينتمي إليها ([7]).

وقد ورد في بعض الدراسات أن مجموعة من طلبة الجامع الأعظم أصيلي جرجيس قد قدموا لائحة تنديد ضد الطريقة التيجانية بجرجيس للمحامي" الحبيب بورقيبة " لتسليمها لوزير العدل يشتكي أصحابها من سلوكات بعض أنصار هذه الطريقة بمنطقتهم على إثر الخلافات التي جدت في جهة جرجيس في فترة الثلاثنيات و التي كانت تحركها أيدي ضباط الإدارة الفرنسية ([8]).

II – دور فئة العدول في تشكيل الرأي العام المحلي بجرجيس

يحتوي الدفتر رقم 4065 المحفوظ بالأرشيفات التونسية على القائمة الإسمية لعدول جرجيس، بين سنة 1874 و1904 وقد توزعوا كما يلي :

– جدول لعدول جرجيس بين سنتي 1874 و1904 ([9])

إسم العدل ولقبه	سنه	تاريخ أمر العدلية	أنشطة أخرى قام بها	القبيلة	العرش
محمد بن شلبي بن ونيس	35	1299 ه	–	عكارة	أولادإمحمد
الحاج سالم بن عمر بورقيبة	35	1300ه	–	عكارة	المؤانسة
حامد بن الحاج علي بن عويدة	–	1301 ه	–	عكارة	أولاد بوعلي
علي بن محمد العليوي	–	1311 ه	–	عكارة	أولاد امحمد
خليفة بن سالم بن مصباح	–	1311 ه	–	عكارة	أولاد بوعلي
الحاج مسعود النويلي	40	1302 ه	وكيل جمعية الأحباس	عكارة	أولاد سعيد
حسين بن الحاج علي بن عويدة	–	1302 ه	–	عكارة	أولاد بوعلي
علي بن الحاج محمد العكاري	–	1302 ه	–	عكارة	المؤانسة
مرزوق بن لهيبة	86	1252 ه	–	عكارة	أولاد بوعلي
علي بن مصدق	39	1301 ه	–	عكارة	المؤانسة
سالم بن محمد الجزيري	30	1298 ه	–	عكارة	الخلايفة
محمد عبد الحفيظ	40	1298 ه	مقدم الزاوية السلامية	عكارة	أولاد بوعلي

[7] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف 23 تقرير الضابط Guyader بتاريخ 22 سبتمبر 1932، لقد عثرنا على هذا التقرير ضمن ملفات المشائخ نظرا لوجود شيخ مجموعة المؤانسة ضمن قادة التيجانية بجرجيس

[8] Lieutenant d'arbaument La confrerie tijania situation et role en Tunise (etude dactylographie) Juillet 1941 p 25

[9] الأرشيف الوطني التونسي دفتر رقم 4065، Bailly Notices ...opcit p25

عبد الله بن سعيد الربيع	-	1309 ه	-	عكارة	المؤانسة
محمد بن عبد القادر مسلم	-	1309 ه	-	عكارة	أولاد إمحمد
محمد البغدادي بوحافة	25	1312 ه	إمام بجامع الحصار بجرجيس	عكارة	أولاد بوعلي
عمر بن محمد الربيع	-	1312 ه	-	عكارة	المؤانسة
منصور بن محمد الوريمي		1296ه	-	عكارة	عرش وريمة
محمد بن سالم الشبلي	-	1300 ه	-	عكارة	أولاد شبل
محمد بن الشيباني الخويلدي	-	1317 ه	-	عكارة	عرش خويلد
الصياح كريدان	-	1320ه	-	عكارة	أولاد سعيد
علي بورقيبة	45	-	قاضي بداية 1302 م مقدم الطريقة السلامية	عكارة	المؤانسة

إن الإهتمام بفئة العدول من الناحية العلمية لا يزال ضعيفا ([10])، رغم أن العدل يعتبر خزينة قومه وسجل حياتهم اليومية وضابط شؤونهم. والعدول يجمعون بين الأنشطة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والدينية، إن العدول في المجتمع المحلي في تونس أثناء الفترة الإستعمارية وما قبلها هم قادة الرأي العام، يحظون بمكانة إجتماعية مرموقة متأتية من تكوينهم العلمي والديني الزيتوني المتميز، ومن كونهم فئة إجتماعية محظوظة مادّيا نظرا لكثافة دورها في الأوساط المدينية وسخاء الأهالي في البوادي والمناطق الريفية.

وإنطلاقا من ذلك كان خريجو جامع الزيتونة من الطلبة يرغبون في الإلتحاق بهذه المهنة التي كانت تصنف ضمن المهن النبيلة التي كثيرا ما يختارها الأهالي لأبنائهم. وفي ذات الوقت كانت لحمات القبيلة الواحدة وعروشها تتباهى بإرتفاع عدد العدول الذين ينتمون إليها، بل يتزاحمون في الحصول على أمر العدلية بالنسبة لخرجيهم من جامع الزيتونة.

وتبين المعطيات الواردة بالجدول السابق أن عدد عدول جرجيس كان يقدر بـ 21 عدلا في الفترة الممتدة بين سنتي 1874 و1904 يعملون في المجتمع المحلي العكاري الذي يقدر عدد سكانه حسب إحصائيات الضابط "بايي" لسنة 1887 بـ 6432 ساكن ([11]). وكان عدول جهة جرجيس يتوزعون حسب الإنتماء العروشي بنسب متفاوتة فقد كانت النسبة الغالبة من العدول ينتمون إلى كل من أولاد

[10] من الدراسات القليلة التي نشرت حول هذا الموضوع، دراسة الجدي (أحمد) مصادر جديدة عن تاريخ الوطن القبلي في العهدين الحديث والمعاصر : تقديم دفاتر عدول الإشهاد بمنزل تميم (1874 - 1930) مجلة روافد المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس عدد 1 سنة 1995.

[11] Bailly , Notice ...op.cit p 56.

بوعلي والمؤانسة وكان عددهم يقدر بـــ 6 عدول لكل فريق أي بنسبة 28,5 %. ويأتي في الدرجة الثانية عدول عرش أولاد إمحمد وعددهم 3 أي بنسبة 14 % وهي نفس نسبة العدول من العروش الذين أطلقنا عليهم تسمية أخرى، وينتمي إلى أولاد سعيد عدلان فقط أي بنسبة 9,5 % وكان أضعف عدد من العدول من عرش الخلايفة أي عدل واحد أي بنسبة 4,7 % ولا يحتوي الجدول المشار إليه أسماء عدول من عرش الزاوية.

لقد كان العدل بآعتباره مثقف المنطقة يلعب دورا دينيا مثل التكفل بمهام الإمامة بأحد المساجد أو قيادة إحدى زوايا الطرق الصوفية، إن هذه المهام يقوم بها أشخاص محدودي العدد ودلالة ذلك تكمن في تقلص عدد المتعلمين بالمنطقة بصورة عامة وضعف تواجد المؤسسات التعليمية باستثناء بعض الكتاتيب التي تشكل الأرضية التي تعتمدها بعض الأسر لتعليم أبنائها وقد يرجع ضعف المتعلمين بالجهة إلى واقع نصف الإستقرار الذي كان يعيشه عكارة أثناء الفترة المذكورة وكذلك إلى بعد المؤسسات التعليمية التي كانت توجد في العاصمة -مثل جامع الزيتونة الذي لم يكن له فرع بجرجيس- وفي المدن الكبرى بالقيروان وسوسة ...إلخ وكذلك بمنطقة الجريد.

إن هذا التقلص في عدد المتعلمين كان له إنعكاس سلبي على موقف السكان من قضية التعليم بصفة عامة بالرغم من أن العدل كان يمثل نموذجا مثاليا للراغبين في تعليم أبنائهم فإن الطبيعة التقليدية للمجتمع المحلي العكاري ستمثل عائقا أمام انتشار نموذج ثقافي مغاير ستكون المدرسة العصرية ركيزته الأساسية.

III- أهمية النموذج التعليمي في تشكيل ثقافة المجتمع المحلي

1 - النموذج التقليدي :

لقد كان النموذج التعليمي السائد في المجتمع المحلي هو تعليم الكتاتيب و المدارس القرآنية وكان عدد هذه المدارس 113 مدرسة في تونس العاصمة يؤمها قرابة 1700 تلميذ، أما المدارس الموزعة في الدواخل فقد وصل عددها إلى 500 مدرسة قرآنية ([12]). وكانت كثير من الزوايا والمساجد تعتمد كمراكز للكتاتيب في كامل البلاد لاسيما في أقصى الجنوب التونسي أين عرفت بعض مقرات أضرحة الأولياء

---

[12] العياشى (مختار) التعليم العصري الفرنكو / عربي في تونس في بداية الحماية ملتقي واقع التعليم و المعرفة بتونس نظمته جمعية المحافظة على التراث بجرجس بمناسبة المائوية الأولى لأول مدرسة إبتدائية بجرجيس سنة 1996 ص 2.

مثل ضريح الولي "سيدي عبد الله بو جليدة" بتطاوين وضريح "الولي سيدي علي بن عبيد" بمدنين و"سيدي مخلوف" بالمكان الذي يحمل نفس الإسم وضريح "سيدي الصياح العكاري" قرب بنقردان.

وحسب الموروث الشفوي العكاري فإن أبرز الكتاتيب والمدارس القرآنية بجرجيس هي جامعي الحصار وسيدي الحسين بقصر أولاد بوعلي، جامع وزاوية سيدي مصدق وزاوية سيدي عبد القادر وزاوية سيدي منصور بقصر المؤانسة، جامع وزواية مولاي الطيب بقصر أولاد سعيد، زاوية سيدي بن عيسى بقصر أولاد إمحمد . وفي بعض المجتمعات البدوية الصرفه التي تمارس الإنتجاع بصفة مستمرة مثل الودارنة بجهة تطاوين فإن المجموعة القبلية عادة ما تكون مصحوبة بمؤدب مع عائلته يستقل بما يعرف "بالخيمة الكتاب"، يقوم بتحفيظ القرآن لأبناء القبيلة وبكل ما يتعلق بالجانب المعرفي الديني التقليدي لدى الأطفال مثل تعلم الكتابة والتدرب على العمليات الحسابية وتنمية الجانب القيمي لدى الأطفال ([13]).

لقد استمر العمل بنظام الكتاتيب والمدارس القرأنية إلى أن قررت الإدارة الإستعمارية بعث نمط تعليمي جديد تجسد محليا بإنشاء المدرسة الفرنسية العربية دون أن تهمل النموذج التقليدي الذي بدأ يعرف بالمدرسة القرآنية العصرية ([14]).

2- النموذج التعليمي الفرنسي : المدرسة الفرنسية - العربية

لقد قررت السلطة العسكرية الفرنسية بعث إدارة خاصة بالتعليم بتونس منذ 6 ماي 1883 وقبل أن تتمكن من إتمام سيطرتها العسكرية على كامل التراب التونسي، يعكس هذا الموقف حرص الإدارة الفرنسية على إدماج مستعمراتها ضمن المنظومة الثقافية الفرنسية ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بنشر النموذج التعليمي الفرنسي الذي تجسد في المستوى المحلي ببعث المدرسة الفرنسية.

---

13 بوطبة (أحمد التهامي) مظاهر التربية والتعليم التقليدية بالزوايا والكتاتيب في الجنوب الشرقي ملتقى واقع التعليم...مذكور سابقا ص ص 4 - 5

14 لم تشهد جهة جرجيس بعث أي مدرسة قرآنية عصرية وهو ما أشار إليه علي بن منصور الكواش أصيل جرجيس عند طلبه من السلطة المركزية بتونس تمكينه من بعث مدرسة قرآنية عصرية بجرجيس التي كانت تحتوي مدرسة فرنسية - عربية للذكور وأخرى للإيناث فقط. ورغم ما توفر في الشخص المذكور من شروط مثل حصوله على شهادتي التطويع والعالمية من القسم الأدبي والشرعي فإن السلطة الإستعمارية لم تستجب لطلبه لنشاطه ضمن مكتب الشباب الأدبي الإسلامي وكذلك ضمن جماعة الدستور الجديد، لكن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى رفض هذا الطلب هي النجاح النسبي الذي حققته المدرسة الفرنسية - العربية كما سنرى ذلك، أنظر الأرشيف الوطني التونسي سلسلة E صندوق 2 ملف عدد4.

أ - المدرسة الفرنسية - العربية في أقصى الجنوب التونسي:

بأستثناء المدرسة التي وقع إحداثها بجرجيس، فإن المدرسة العربية الفرنسية في اقصى الجنوب التونسي قد ظهرت ببلدة مدنين بداية من سنة 1892 حيث كان عدد التلاميذ متقلصا ثم إرتفع ليصل إلى 70 تلميذا سنة 1910 وفي سنة 1914 أسست المدرسة الفرنسية - العربية للفتيات التي لم ينضم إليها إلا عدد قليل من التلميذات الأروبيات واليهوديات. وفتحت مدرسة أم التمر(على بعده 6 كلم من مدنين) أبوابها أمام تلاميذ المنطقة سنة 1926 الذين وصل عددهم إلى 60 تلميذا عند سنة الإفتتاح لينخفض إلى 53 تلميذا سنة 1930 حسب ماورد في الجدول التالي:

جدول تطور عدد التلاميذ والتلميذات بمدارس جهة مدنين ([15])

السنة / إسم المدرسة	1892	1900	1910	1914	1922	1926	1930
مدرسة الذكور بمدنين	20	35	70	90	98	102	159
مدرسة الفتيات بمدنين	–	–	–	13	15	20	24
مدرسة أم التمر	–	–	–	–	–	60	53
المجموع	20	35	70	103	113	182	236

لقد تأخر ظهور المدرسة الفرنسية - العربية بتطاوين إلى بداية سنة 1909 حيث لم يسجل للدراسة إلا عدد قليل من التلاميذ "اليهود" و"المسلمين "، ولم يتجاوز هذا العدد المائة تلميذ في فترة العشرينات من هذا القرن. وشهدت بلدة غمراسن (على بعد 23 كلم من تطاوين) تأسيس مدرستها الأولى سنة 1909 ([16]) وهي نفس السنة التي شهدت تأسيس مدرسة بنقردان التي لم ينضم إليها إلا عدد قليل من التلاميذ " المسلمين" و"اليهود" وقد إستقرهذا العدد في حدود 70 تلميذا في وسط العشرينات([17]).

إن ما يمكن ملاحظته هو تأخر ظهور المدرسة الفرنسية - العربية بكل من تطاوين وبنقردان ويفسر هذا التأخر بالموقف الرافض التعامل مع الفرنسيين من طرف قبيلتي التوازين والودارنة نتيجة الطبيعة البدوية الغالبة وهو ما انجرّ عنه انتقال هاتين القبيلتين للإستقرار بالتراب الليبي المجاور بعد أن إلتحمت بالقبائل " المتمردة "التي كان يقودها علي بن خليفة أثناء بدايات الإحتلال الفرنسي للجنوب التونسي وكذلك عند قيام ثورة الودارنة سنة 1915 - 1918.

---

[15] Historique des affaires indigenes de Medenine bourg 1931 p 33
[16] Historique des affaires indigenes de Tataouine bourg 1931 p 48
[17] Historique de Bengerdane...op cit, p 72.

3 – المدرسة الفرنسية – العربية بجرجيس

أ – النشـــــأة :

رغم عدم إتفاق اغلب الدراسات التي تناولت جهة جرجيس بالبحث على التاريخ المحدد لظهور أول مدرسة فرنسية – عربية بالمنطقة فإن بعض المعلومات الواردة في دراسة "بايي" السالفة الذكر تبين أن تأسيس هذه المدرسة يرجع إلى سنة 1887 وقد أحدثها "يوسف الليقرو" حاكم منطقة الأعراض عند بداية الإحتلال وأشرف على هذه المدرسة ضابط فرنسي يسمى "M. Gallet" أطلق عليه أهالي جرجيس إسم "سي عبدالله". ولم يسجل بالمدرسة إلا عدد قليل من التلاميذ ([18])، وهو ما جعل نشاطها لا يستمر لفترة طويلة لتفتح أبوابها من جديد بعد أن أرسل عامل منطقة لعراض بمكتوب للحكومة المركزية يطالب فيه بتجديد فتح مدرسة جرجيس ([19]) خاصة وأن أهالي جرجيس لا يتكلمون العربية الفصحى وإنما يستعملون اللهجة العامية مما يؤهلهم لتعلم اللغة الفرنسية وآستعمالها ومن ثمة إعادة بناء وتوجيه مقومات شخصية العكاري على المستوى الفردي أو بآستهداف الضمير الجمعي. وعلى أرضية هذا الموقف أعيد فتح المدرسة نهائيا بداية من سنة 1896 ([20])، ليستمر نشاطها بصفة متواصلة ودون توقف. وآستقر عدد التلاميذ في حدود 40 إلى 50 تلميذ أثناء العشرية الأولى ولم يرتفع هذا العدد بصفة ملحوظة إلا بداية من سنة 1910 حيث وصل إلى 117 تلميذا ، وكانت المدرسة خاضعة لإشراف معلم – مدير فرنسي

---

[18] بايي... مرجع سابق، ص 75.

[19] ورد في مراسلة يوسف الليقرو عامل لعراض إلى المقيم العام الفرنسي بتاريخ 10 مارس 1889 مايلي :

J'ai l'honneur de soliciter votre bienveillance la reouverture de l'ecole mixte de zarzis. Cette ecole que j'avais cree en 1887 a été fermee après le départ de son directeur le sieur gallet dit abdallah expulse pour inconduite. beaucoup d'enfants de zarzis et des Accara qui avaient deja reçu les premiers elements d'instruction primaire n'ont pu continuer leurs etudes au grand regret des parents qui les voyaient avec satisfaction apprendre la langue français. Des adultes même suivaient les cours et nous pouvions attendes de cette creation des resultas satisfaisants au point de vue non seulement de la propagation de la langue française mais encore de l'extension de l'arabe dont la plus part des habitatants ne connaisseent que les elements en dehors du langage usuel(...) l'esprit d'assimilation est tres developpe chez eux et leurs intelligence merite d'être cultiveè au profit de l'influence française.

– أنظر الأرشيف الوطني التونسي سلسلة E صندوق 281 ملف عدد1

– يحتوي نفس الملف على مراسلة ثانية من يوسف الليقرو إلى المقيم العام بتاريخ 21 ماي 1889 يذكره فيها بأهمية إعادة بعث المدرسة الفرنسية العربية بجرجيس بل إن فتح هذه المدرسة أكثر أهمية من تسمية ضابط شرطة بالمنطقة بالنسبة للعائلات الفرنسية التي ترغب في تعليم أبنائها.

[20] Historique de Zarzis ...op.cit, P 43.

الجنسية ومعلمتين فرنسيتين ومدرّس يعلّم أبناء الفرنسيين اللغة العربية (اللهجة العامية) ومؤدب يدرس القرآن وقواعد اللغة العربية لأبناء "الأهالي" ([21]).

ب - المدرسة الفرنسية - العربية للذكور بجرجيس:

جدول تطور عدد التلاميذ بالمدرسة الفرنسية - العربية للذكور حسب الجنسيات بين سنة 1906 و1935 ([22])

	الفرنسيون	%	الإيطاليون	%	المالطيون	%	المسلمون	%	الإسرائليون	%	المجموع
سنة 1907/1906	2	10	4	20	7	35	6	30	1	5	20
أكتوبر1910/1909	2	2. 27	3	3. 41	2	2. 27	73	82. 95	8	9. 09	88
جوان1910/1909	2	2. 63	2	2. 63	3	3. 95	63	82. 89	6	7. 89	76
أكتوبر1913/1912	0	0	1	1. 33	1	1. 89	46	86. 79	4	7. 55	53
جوان1913/1912	0	0	0	0	1	1. 33	59	78. 67	11	14. 67	75
أكتوبر1914/1913	1	0. 89	0	0	2	1. 79	99	88. 39	10	8. 93	112
مارس1914/1913	4	3. 23	0	0	8	6. 45	104	83. 87	8	6. 45	124
جوان1914/1913	4	5. 06	0	0	2	2. 53	66	83. 54	7	8. 86	79
أكتوبر1915/1914	2	2. 30	0	0	10	11 .49	66	75 .86	9	10 34.	87
أفريل1915/1914	1	1. 05	0	0	9	9 .47	74	77. 89	11	11. 58	95
جوان1915/1914	3	5. 17	0	0	3	5 .17	41	70 .69	11	18 .97	58
أكتوبر1916/1915	0	0	0	0	0	0	61	81 .33	14	18 .67	75
أكتوبر1917/1916	0	0	0	0	0	0	89	97 .80	2	2 .20	91
ديسمبر1918/1917	0	0	0	0	0	0	64	87 .67	9	12 .33	73
مارس1918/1917	0	0	0	0	0	0	65	94 .20	4	5 .80	69
ديسمبر1920/1919	3	3. 33	3	3. 33	7	7 .78	71	78 .89	6	6 .67	90
جوان1920/1919	4	6. 06	3	4. 55	3	4 .55	51	77 .27	5	7 .58	66
أكتوبر1921/1920	4	3. 85	2	1. 92	3	2 .88	82	78 .85	13	12 .50	104
جوان1921/1920	5	7. 04	4	5. 63	3	4 .23	51	71 .83	8	11 .27	71
أكتوبر1922/1921	7	29.7	3	3. 13	2	2 .08	71	73 .76	13	13 .54	96
ديسمبر 1922/1921	11	10. 58	3	2. 88	0	0	81	77 .88	9	8 .65	104
أكتوبر1923/1922	9	7. 69	3	2. 56	0	0	97	82 .91	8	6 .84	117
جوان1923/1922	6	9. 68	3	4. 84	0	0	47	75 .81	6	9 .68	62
أكتوبر1924/1923	5	4. 46	2	1. 79	4	3 .57	89	79 .46	12	10 .71	112
جوان1924/1923	5	4. 35	2	1. 74	1	0 .87	97	84 .35	10	8 .70	115
أكتوبر1925/1924	5	3. 42	4	2. 74	2	1 .37	131	89 .73	4	2 .74	146

[21] نفس المرجع والصفحة.

[22] إعتمدنا على عينة من تلاميذ مدرسة الذكور بجرجيس بين سنة 1906 و1935 وقد قمنا بصياغتها بالإعتماد على السجل التاريخي LE CARNET HISTORIQUE POUR LA MONOGRAPHIE وهو عبارة عن كراس أحدثتها السلطات الفرنسية لتدوين كل ما يحدث بالمدرسة أو بمحيطها .

108	6 .48	7	85 .19	92	0	0	0. 93	1	7. 41	8	جوان1925/1924
142	7 .04	10	84 .51	120	1 .41	2	0. 70	1	6. 34	9	أكتوبر 1926/1925
117	8 .55	10	81 .20	95	2 .56	3	0. 85	1	6. 84	8	جوان1926/1925
154	9 .74	15	83 .77	129	1 .30	2	0. 65	1	4. 55	7	أكتوبر 1927/1926
135	9 .63	13	85 .93	116	1 .48	2	0	0	2 .96	4	جوان1927/1926
163	6 .13	10	86 .50	141	0	0	0	0	7. 36	12	أكتوبر 1930/1929
194	6 .19	12	85 .57	166	0	0	0	0	8. 25	16	جوان1930/1929
197	0 .21	2	95 .43	188	0	0	0	0	3. 55	7	أكتوبر 1931/1930
182	6 .59	12	89 .01	162	0	0	0	0	4. 40	8	جوان1931/1930
202	13 .86	28	81 .19	164	0	0	0	0	95.4	10	أكتوبر 1932/1931
195	9 .23	18	85 .13	166	0	0	0	0	5. 64	11	جوان1932/1931
196	9 .69	19	86 .73	170	0	0	0	0	3. 57	7	أكتوبر 1933/1932
153	7 .84	12	86 .93	133	0	0	0	0	5. 23	8	جوان1933/1932
192	5 .21	10	90 .10	173	0	0	0	0	4. 69	9	أكتوبر 1934/1933
203	4 .93	10	90 .64	184	0	0	0	0	4. 43	9	جوان1934/1933
232	5 .17	12	92 .24	214	0	0	0	0	2. 59	6	أكتوبر 1935/1934

- تطوّر عدد التلاميذ :

لقد تطور عدد تلاميذ المدرسة من 17 تلميذ سنة 1908 إلى88 تلميذ سنة 1910 ثم إرتفع هذا العدد ليصل إلى 124 تلميذ سنة 1914 وقد بقي هذا الرقم بين الإرتفاع والنزول بداية من هذه السنة. وقد سجلنا أكبر الأرقام سنة 1923 حيث كان عدد التلاميذ 117 وآرتفع سنة 1926 إلى 142 تلميذ وسنة 1927 كان عدد التلاميذ 154 ثم في سنة 1932 إرتقى عدد التلاميذ إلى 202 ليصل إلى 232 سنة 1935 وهو أكبر رقم سجل بالمدرسة إلى حدود هذا التاريخ. وتجدر الملاحظة إلي تغير عدد التلاميذ في السنة الواحدة فقد انخفض هذا العدد سنة 1909 – 1910 من 88 تلميذا في شهر اكتوبر إلى 76 تلميذا في شهر جوان، وفي شهر أكتوبر من السنة الموالية سجل حضور 112 مرسم ليرتقي هذا العدد إلى 124 في شهر جوان ثم بقي هذا العدد دون المائة إلى حدود جوان 1920 وهي السنة التي شهدت تزايد العدد الجملي للتلاميذ ليصل إلى 104 تلميذا ثم تواصل إرتفاع عدد التلاميذ بصفة مستمرة ليرتفع من 146 في شهر أكتوبر 1925 إلى 232 في أكتوبر من سنة 1934 – 1935. هذا الإنخفاض والإرتفاع في عدد التلاميذ يبرر حسب الملاحظات الواردة في السجل التاريخي للمدرسة بتأثير المواسم الفلاحية على دراسة التلاميذ فقد كان جزء كبير منهم يترك مكانه ليرافق عائلته في عملية الزرع أو الحصاد التي ينجر عنها الخروج إلى أراضي أهالي جرجيس الفلاحية الموجودة في منطقة الشوشة قرب الحدود الليبية ولم تتعامل إدارة المدرسة بصرامة كبيرة مع غيابات التلاميذ بل تركت إمكانية العودة أمام الراغبين في ذلك .كما يبرز نمو عدد التلاميذ في شكل تصاعدي نتيجة إقتناع السكان التدريجي بأهمية

وجدوى الدراسة في شكلها الجديد ومحتوياتها المختلفة على محتويات النظام التعليمي السابق المتجسد في الكتاتيب خاصة وأن المدرسة الفرنسية – العربية قامت بإدماج بعض محتويات الكتاتيب في برامجها.

– إنتماء التلاميذ إلى جنسيات مختلفة : ([23])

ينتمي تلاميذ المدرسة الفرنسية – العربية للذكور بجرجيس إلى خمسة جنسيات مختلفة وهي : "المسلمون، الفرنسيون، الإيطاليون، المالطيون والإسرائيليون" ([24]). لقد كانت أكبر نسبة من رواد المدرسة أثناء السنة الدراسية 1906 – 1907 من الجنسية المالطية وقد قدرت بـــ 41 % ويلي ذلك نسبة التلاميذ المسلمين بـــ 35.29 % وفي الدرجة الثالثة كانت نسبة التلاميذ من الإيطاليين 23.52 % بينما كانت نسبة الفرنسيين 11.76 % وقدرت نسبة التلاميذ من الإسرائليين بـــ 5.88 % وهي أضعف نسبة. ستتغير المعطيات بداية من السنة الدراسية 1909 – 1910 لتصبح نسبة التلاميذ من المسلمين 82.95 % وتتقاسم بقية الجنسيات النسبة المتبقية ويتبين من خلال دراسة الجدول غياب العنصر الفرنسي سنة 1912 – 1913 وطيلة الفترة الممتدة من 1914 إلى 1918 وهي الفترة التي إندلعت فيها الحرب العالمية الأولى كما لوحظ غياب العنصر الإيطالي طيلة السنوات بين 1913 و1918 كذلك من سنة 1929 إلى 1935 وسجلت أكبر نسبة من التلاميذ الفرنسيين 10.57 % أثناء السنة الدراسية 1921 – 1922. وكانت أكبر نسبة سجلها الحضور المالطي 41 % في سنة 1906 – 1907 وقد تغيب التلاميذ من الجنسية المالطية طيلة سنوات 1915 – 16 – 18 – 21 – 22 وكذلك من سنة 1930 إلى 1935.

ولم يتغيب العنصر اليهودي طيلة الفترة المدروسة حيث كانت أكبر نسبة 18.96 % سنة 1914 – 1915 أما أصغر نسبة فقدرت بـــ1.62 % سنة 1930 – 1931، ويعتبر عدد التلاميذ المسلمين في إرتفاع مستمر وكانت أقل نسبة 35.29 % سنة 1906 – 1907 ووصلت أكبر نسبة إلى 92.24 % ولم نسجل تغيب هذا العنصر طيلة السنوات المدروسة.

لقد تنامى تواجد التلاميذ الفرنسيين مع تزايد المعمرين بمنطقة جرجيس التي مثلت مركز إستقطاب للعديد من الجنسيات الأخرى، وحرص اليهود بصفة خاصة على تعليم أبنائهم بالمدرسة الفرنسية – العربية للذكور ويمكن تفسير هذا الحرص بعدم خوف اليهود من هذا النوع من التعليم خاصة وأن أبناءهم يتلقون دروس في العبرية وهو ما يمكنهم من تكوين مزدوج، على عكس ذلك تمسك السكان من المسلمين

[23] أنظر الجدول السابق
[24] حافظنا على إستعمال نفس التسميات التي وردت في السجل التاريخي للمدرسة

بعدم إرسال أبنائهم في البداية إلى المدرسة الفرنسية - العربية لكن هذا الموقف سرعان ما تغير خاصة وأن السلطات الفرنسية أدمجت اللغة العربية ضمن المواد المدرسة وبدأت نتائج التعليم تبرز بآعتبارها وسيلة للرقي الإجتماعي في مجتمع يشهد تحولات عميقة على أرضية الإنتصاب العسكري الفرنسي.

- توزيع التلاميذ حسب الإنتماء إلى العروش

- جدول توزيع التلاميذ الذكور حسب الإنتماء للعروش ([25])

إسم العرش	عدد التلاميذ	النسبة %
أولاد بوعلي	242	45.15
المؤانسة	40	7.46
أولاد سعيد	46	8.58
أولاد إمحمد	18	3.36
الزاوية	29	5.41
الخلايفة	34	6.34
قبائل مجاورة	68	12.69
الأوربيون واليهود	59	11.07
المجموع	536	100

اعتمدنا عينة تضم 536 تلميذا وقد تبين لنا أن 242 تلميذا هم من عرش أولاد بوعلي بنسبة 45.14% وهي أكبر نسبة. يأتي في الدرجة الثانية التلاميذ من القبائل المجاورة (الودارنة - التوازين -الجليدات...ألخ) وقدرعددهم ب 68 تلميذا بنسبة 12.68 % وكان عدد التلاميذ من الأروبيين واليهود 59 بنسبة 11.07 % ووصل عدد التلاميذ من عرش أولاد سعيد إلى 46 تلميذا بنسبة58 .8% يلي ذلك التلاميذ من عرش الخلايفة بـــ 34 تلميذا بنسبة 6.34 %، أما التلاميذ من عرش الزاوية فقد كان عددهم 29 بنسبة 5.41 % وسجل أصغر عدد من التلاميذ لدى عرش أولاد إمحمد بـــ 18 تلميذا بنسبة 3.35% .

يمكن تفسير إنتماء العدد الأكبر من التلاميذ إلى أولاد بوعلي بقرب أفراد هذا العرش من مركز المدرسة كما هو الشأن بالنسبة لعرش أولاد سعيد وكل من الأروبيين واليهود، كما أن علاقة عرش أولاد بوعلي بالسلطات الفرنسية لم تكن علاقة صدامية في حين إتسم موقف بعض العروش الأخرى برفض

[25] قمنا بصياغة هذا الجدول بالإعتماد على دفتر المنادات بين سنة 1920 و1935، وتعد العينة المعتمدة 536 تلميذا

التعليم الفرنسي وبرز ذلك بصفة خاصة لدى عرش المؤانسة الذي كان عدد أفراده كبيرا بينما كان عدد التلاميذ من هذا العرش في حدود 40 تلميذا بنسبة 7.46 % إلا أن هذا الموقف قد تغير وتنامى عدد التلاميذ من هذا العرش بصفة تدريجية إلى درجة تأسيس فرع للمدرسة الفرنسية – العربية بقرية المؤانسة بداية من الأربعينات. ويفسر إنخفاض عدد تلاميذ بعض العروش الأخرى بصغر حجمها كما هو الشأن بالنسبة لعرش أولاد إمحمد. أما العدد المرتفع للتلاميذ من القبائل المجاورة فيمكن تفسيره بآشتغال أوليائهم بمراكز إدارية أو عسكرية بجهة جرجيس وبالنزوح المتواصل من طرف القبائل المجاورة في إتجاه دخلة عكارة.

– توزيع التلاميذ حسب الانتماء المهني لأوليائهم :

– جدول الإنتماء المهني لأولياء التلاميذ [26]

المهنة	العدد	النسبة %
بحار	35	18.22
تاجر	41	21.35
خليفة	5	2.60
مخازني	15	7.81
طباخ	2	1.04
فلاح	37	19.27
حارس	3	1.56
قاضي	3	1.56
شيخ	3	1.56
ضابط	1	0.52
ممرض	2	1.04
ساعي بريد	4	2.03
موظف	9	4.68
عامل يومي	5	2.62
سائق	3	5.61
مؤدب	4	2.08
كاتب خليفة	3	1.56
أمين	4	2.08
خباز	6	3.12
مهن أخرى	11	5.72
المجموع	**192**	**100**

تعد العينة المعتمدة 192 تلميذا، وقد تبين لنا أن أكبر نسبة من التلاميذ يشتغل أولياؤهم بالتجارة 21.35 % وتأتي في مرتبة ثانية فئة الفلاحين وعددهم 32 بنسبة 19.27 % وفي المرتبة الثالثة نجد فئة البحارة بنسبة 18.22% ويلي ذلك أولياء التلاميذ الذين يشتغلون بجهاز المخزن بنسبة 7.81 % أما بقية المهن (خليفة – شيخ ضابط – كاتب خليفة – موظف – ممرض – سائق – مؤدب – أمين – قاضي – عامل يومي... ألخ) فتتراوح نسبتهم بين 5.72 % و0.52 % يمكن تفسير النسبة المرتفعة من التجار

[26] وقعت صياغة هذا الجدول بالإعتماد على عينة مأخوذة من دفتر مناداة التلاميذ بين سنة 1920 و1935

(أولياء التلاميذ) بالدور الإقتصادي الكبير الذي لعبته منطقة جرجيس في أقصى الجنوب التونسي بأعتبارها السوق المركزي " لنجع " ورغمة كما تشير إلى ذلك تقارير الضباط الفرنسيين المحفوظة بالأرشيفات التونسية [27]. أما إرتفاع نسبة الفلاحين والبحارة مقارنة بالمهن الأخرى فيرجع إلى طبيعة النشاط الإقتصادي الغالب في هذه المنطقة والمتمثل في العمل الفلاحي (غراسة الزياتين – زراعة الحبوب – تربية الماشية...) والصيد البحري (صيد الأسماك والإسفنج). إن ما يمكن ملاحظته هو إصرار أولياء التلاميذ من الفلاحين والبحارة على إرسال ابنائهم للدراسة رغم مستواهم التعليمي المحدود، وقد كان ذلك بداية من العشرية الثانية لنشأة المدرسة مما يدل بوضوح على أن التفاعل الإجابي لأبناء جهة جرجيس مع هذه المؤسسة الجديدة كان صعبا في البداية.

ج – المدرسة الفرنسية – العربية للفتيات بجرجيس :

بدأت المدرسة نشاطها إنطلاقا من 1 ماي 1906 ([28]) وتميزت بطابعها المهني حيث يقع تلقين التلميذات لمعارف مهنية وتشرف على عملية التكوين مدرّسة مختصة في الخياطة وصناعة الزربية([29]).

ولا يحتل الإهتمام بتعليم اللغة الفرنسية للتلميذات إلا حيزا صغيرا وتتدرج الغاية من التركيز على التكوين المهني بالمدرسة ضمن خطة فرنسية لإستقطاب الفتيات من "الأهالي" قصد الدراسة وذلك من أجل وضع حد لموقف سائد وموروث يمنع الفتيات من حقهن في التعلم ([30]). وخدمة لهذا التوجه الفرنسي، قامت الإدارة العامة للتعليم بإدخال وسائل عمل جديدة ومتطورة لم يكن " الأهالي" على معرفة بها ([31]).

---

[27] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة E صندوق 59 ملف عدد 4

[28] حسب السجل التاريخي فإن أول مدرسة للفتيات بالجنوب التونسي تم تأسيسها بجرجيس وتلا ذلك تأسيس مدرسة للفتيات بمدنين سنة 1914، انظر:

Historique de Medenine ...opcit P33- 34

[29] – عثرنا على رسالة بالأرشيف الوطني التونسي مؤرخة في 19 ماي 1950 تشير إلى طلب أهالي جرجيس إدخال صناعة نسيج الزربية بالمدرسة الفرنسية – العربية للبنات وأقترحوا تكليف المرأة المسماة مباركة بنت أحمد بن عمارة العاير العكارية زوج المبروك بن محمد بن المبروك الزواي بذلك لما لها من معرفة جيدة بسائر أنواع الزربية ...إلخ، وهو ما يدل على أن الطابع المهني للمدرسة قد إنتهى مع نهاية الأربعينات، وقد رد الوزير الأكبر على هذا الطلب برسالة لعامل ورغمة جاء فيها ما يلي :" بمقتضى الأمرين العليين المؤرخين في أكتوبر 1944 وأكتوبر 1945 أدخلت على مدارس البنات المسلمات إصلاحات لتمكين البنات من تعلم اللغة العربية والحصول على ثقافة تماثل ثقافة الذكور إذا تعلقت رغبتهن بذلك وبهذا الإصلاح وقع التفريق جليا بين التعليم الإبتدائي والتعليم الصناعي وجعل لكل منهما محلات خاصة وصارا يرجعان بالنظر إلى مصلحتين مختلفتين وبذلك وقع توسيع نطاق التعليم بالمدارس الإبتدائية وتحسين التعليم الصناعي بالمراكز المعدة له خصوصا النسيج والطرز، وبحيث أن بلد جرجيس أحدث به مركزا للتدريب الصناعي تدرس به صناعة النسيج بكل عناية " أنظر الأرشيف الوطني التونسي سلسلة E صندوق 281 ملف عدد1 .

[30] Marty les Territoires...op cit p 109

[31] جاء في السجل التاريخي لمدرسة الفتيات بجرجيس مايلي :

- النمو العددي لفتيات المدرسة

جدول تطور عدد التلميذات بالمدرسة الفرنسية - العربية للفتيات

بين 1906 و1945 حسب الجنسيات : ([32])

المجموع	%	الإسرائليات	%	المسلمات	%	المالطيات	%	الإيطاليات	%	الفرنسيات	
23	52.17	12	0	0	4.35	1	8.70	2	34.78	8	جوان 1906/1905
21	38.10	8	0	0	23.81	5	9.52	2	28.57	6	جوان 1907/1906
22	31.82	7	4.55	1	18.18	4	13.64	3	31.82	7	جوان 1908/1907
22	40.91	9	4.55	1	13.64	3	4.55	1	36.36	8	جوان 1909/1908
23	43.48	10	8.70	2	13.04	3	8.70	2	26.09	6	جوان 1910/1909
20	40	8	10	2	20	4	10	2	20	4	جوان 1911/1910
19	15.79	3	21.05	4	21.05	4	15.79	3	26.32	5	جوان 1912/1911
19	36.84	7	5.26	1	21.05	4	5.26	1	31.58	6	جوان 1913/1912
22	22.73	5	27.27	6	9.09	2	9.09	2	31.82	7	جوان 1914/1913
20	45	9	10	2	5	1	5	1	35	7	جوان 1915/1914
22	18.18	4	0	0	36.36	8	13.64	3	31.82	7	جوان 1916/1915
26	15.38	4	0	0	38.46	10	0	0	46.15	12	جوان 1917/1916
36	33.33	12	8.33	3	25	9	8.33	3	25	9	جوان 1918/1917
46	19.57	9	2.17	1	45.65	21	4.35	2	28.26	13	جوان 1919/1918
41	29.27	12	0	0	29.27	12	17.07	7	24.39	10	جوان 1920/1919
20	45	9	5	1	10	2	15	3	25	5	جوان 1921/1920
23	8.70	2	26.09	6	4.35	1	13.04	3	47.83	11	جوان 1922/1921
23	30.43	7	4.35	1	0	0	17.39	4	47.83	11	جوان 1923/1922
22	31.82	7	18.18	4	0	0	27.27	6	22.73	5	جوان 1924/1923
25	36	9	28	7	0	0	12	3	24	6	جوان 1925/1924
22	27.27	6	31.82	7	4.55	1	4.55	1	31.82	7	جوان 1926/1925
23	43.48	10	13.04	3	0	0	4.35	1	39.13	9	جوان 1927/1926
74	44.59	33	44.59	33	4.05	3	2.70	2	4.05	3	جوان 1930/1929
33	27.27	9	69.70	23	0	0	0	0	3.03	1	جوان 1931/1930
56	37.50	21	53.57	30	0	0	0	0	8.93	5	جوان 1932/1931
30	33.33	10	43.33	13	0	0	0	0	23.33	7	جوان 1933/1932
39	10.26	4	82.05	32	0	0	0	0	7.69	3	جوان 1934/1933

« Une machine à coudre a été envoyee par la direction générale de l'enseignement ce qui permet à la maitresse d'apprendre aux elèves à confectionner quelques chemises surtout et robes et à raccomader ceux que les élèves apportent souvent chez elles » .
Le carnet Historique pour la monographie ecole de Fille Zarzis 1913 -1914

[32] قمنا بصياغة هذا الجدول بالإعتماد على السجل التاريخي للمدرسة الفرنسية -العربية للفتيات بجرجيس بين سنتي1906- 1945

جوان1935/1934	5	12.50	0	0	0	0	24	60	11	27.50	40
جوان1936/1935	4	7.69	0	0	0	0	41	78.85	7	13.46	52
جوان1938/1937	6	9.09	6	9.09	6	9.09	38	57.58	10	15.15	66
جوان1939/1938	0	0	0	0	0	0	74	62.71	44	37.29	118
جوان1941/1940	0	0	0	0	0	0	62	50.82	60	49.18	122
جوان1942/1941	0	0	0	0	0	0	72	51.43	68	48.57	140
جوان1943/1942	1	0. 70	0	0	0	0	67	47.18	74	52.11	142
جوان1944/1943	0	0	0	0	0	0	94	53.41	82	46.59	176
جوان1945/1944	0	0	0	0	0	0	113	62.43	68	37.57	181

عند انطلاق عمل المدرسة في سنتها الأولى أي سنة 1906 لم يكن عدد التلميذات المرسمات يتجاوز 23 تلميذة وقد بقي هذا العدد منخفضا إلى حدود شهر جوان 1919 وهي السنة التي شهدت حضور 46 تلميذة ثم تقلص العدد ثانية في الفترة الممتدة بين 1920 و1927 لتشهد المدرسة ترسيم 74 فتاة سنة 1929 ولم يتجاوز عدد التلميذات المائة إلا بداية من سنة 1939 وهي السنة التي شهدت حضور 118 تلميذة وبدأ العدد في آرتفاع مستمر ليقع تسجيل 181 تلميذة في جوان سنة 1945 وهو أكبر عدد مسجل إلى حدود هذا التاريخ. ويعكس تطور الأرقام البداية الصعبة التي وجدتها السلطات الفرنسية عند فتحها لمدرسة الفتيات، فلم يكن إقناع السكان بإرسال بناتهم للدراسة بالأمر السهل خاصة وأن المجتمع المحلي لا يزال يحافظ على بنياته التقليدية. ويمكن القول أن تفاعل " الأهالي" مع مدرسة الذكور كان أقل صعوبة مقارنة بالنمو العددي البطيء الذي شهدته مدرسة الفتيات.

- تطور عدد التلميذات حسب الجنسيات ([33]):

كما هو الشأن بالنسبة لمدرسة الذكور بجرجيس فإن مدرسة الفتيات كانت تعد تلميذات ينتمين إلى جنسيات مختلفة وهن "المسلمات" ([34]) "الإسرائليات" ([35]) "الفرنسيات"، "الإيطاليات" و"المالطيات". لقد تميزت إنطلاقة المدرسة سنة 1906 وكذلك السنة التي تلتها بتغيب الفتيات من "الأهالي" اللواتي بقي عددهن متقلصا إلى حدود سنة 1926، فقد سجلنا سنة 1908 - 1909 حضور تلميذة واحدة بنسبة 4.55%، وآرتفع العدد ليصل إلى 6 تلميذات "مسلمات" بنسبة 27.27% سنة 1914 ثم إنخفض العدد مجددا إلى حدود 0% طيلة سنتين متتاليتين 1916 و1917 وآرتفع العدد من جديد فقد سجلنا حضور 7 تلميذات مسلمات بنسبة 31.82% سنة 1926. بداية من سنة 1930 ستشهد المدرسة نموا

33 أنظر الجدول السابق
34 تطلق هذه التسمية على التلميذات أصيلات جرجيس والقبائل المجاورة
35 تطلق هذه التسمية على التلميذات اليهوديات

نسبيا بصفة متواصلة في عدد الفتيات المسلمات فقد وصل العدد إلى 33 تلميذة بنسبة 44.59% ثم شهدت المدرسة حضور 72 فتاة من أهالي جرجيس بنسبة 51.43% كما سجلنا أكبر رقم سنة 1945 وهو 113 تلميذة بنسبة 62.43% .

وتحتل التلميذات "الإسرائيليات" المرتبة الثانية فقد كان عددهن مرتفعا منذ البداية مقارنة بالعدد الإجمالي، فقد سجل حضور 12 فتاة إسرائيلية بنسبة 52.17% سنة 1906 ثم شهد العدد نموا ملحوظا فآرتفع إلى 33 مرسمة بنسبة 44.59 % وتواصل الإرتفاع فكانت النسبة 37.29% سنة 1939 وسجل أكبر عدد من الفتيات من نفس الجنسية سنة 1945 فكان 68 فتاة بنسبة 37.57%.

بالنسبة للجنسيات الأروبية فإن الحضور الكبير قد سجل في صفوف الفرنسيات اللواتي كان عددهن مرتفعا نسبيا عند إفتتاح المدرسة بـ8 مرسمات وبنسبة 34.78 % وقد سجل الحضور الفرنسي أكبر عدد سنة 1919 حيث وصل إلى 13 تلميذة بنسبة 28.26% أما بقية السنوات فقد تراوح العدد بين غياب للعنصر الفرنسي والحضور المتوسط.

ولم يكن للحضور المالطي والإيطالي من بين فتيات المدرسة أهمية كبرى، وكان اكبر عدد من المالطيات المرسمات بالمدرسة 21 بنسبة 45.65% وكان ذلك سنة 1919، أما الإيطاليات فسجلن أكبر عدد سنة 1920 وقدر بـ 7 تلميذات بنسبة 17.07% وكان الحضور المالطي والإيطالي متقلصا أو منعدما طيلة بقية السنوات.

إن التعامل مع هذه الأرقام يفضي بنا إلى القول بأن عدد التلميذات "المسلمات" ضعيف جدا مقارنة بعدد السكان وهو ما يعكس موقفا سلبيا من تعليم الفتاة، وهو ناتج عن التقاليد المعمول بها في جهة جرجيس، لذلك كان ارتفاع العدد متدرجا، كما أن تفحص دفاتر مناداة التلميذات قد نبهنا إلى أن عدد المرسمات يعتبر مرتفعا أما اللواتي يواصلنا الدراسة لسنوات متتالية فقد كان منخفضا.

إن الموقف السائد بعدم تمكين الإيناث من الدراسة ناتج عن خلفية موروثة تتعامل مع الفتاة بآعتبارها ذات نواقص ذهنية فدراستها غير ضرورية كما أن نفس الموقف يتعامل مع الأنثى تعاملا برغماتيا وذلك بالإستفادة من قدراتها البدنية بإدماجها في دورة الإنتاج الإقتصادي منذ طفولتها وقبل زواجها خاصة وأن العائلة تعتبر وحدة إجتماعية منتجة تمارس عدة نشاطات إقتصادية . ومن بين الجنسيات الأخرى نلاحظ أن حضور الأروبيات كان منسجما مع حجم العائلات المستقرة بجرجيس، وتبرز الكثافة خاصة لدى"الإسرائيليات" وهو ما يعكس موقفا مشجعا من دراسة الإناث.

-توزيع التلميذات حسب العروش

جدول توزيع التلميذات حسب الإنتماء للعروش ([36])

إسم العرش	العدد	النسبة %
أولاد بوعلي	218	44.21
المؤانسة	12	2.43
أولاد إمحمد	7	1.41
أولاد سعيد	10	2.02
الزاوية	13	2.63
الخلايفة	18	3.65
قبائل مجاورة	75	15.21
يهوديات وأوروبيات	140	28.39
المجموع	**493**	**100**

تتكون العينة المدروسة من 493 فتاة من بينهن 218 ينتمين إلى عرش أولاد بوعلي بنسبة 44.22% وهي أكبر نسبة وقدر عدد الفتيات الأروبيات واليهوديات بـــ 140 تلميذة بما نسبته 28.39% وقد كان إهتمام العائلات من القبائل المجاورة المقيمة بجرجيس بتعليم بناتهن مرتفعا نسبيا فقد وصل هذا العدد إلى 75 مرسمة بنسبة 15.21% وبقي العدد منخفضا بالنسبة لبقية عروش قبيلة عكارة الأخرى فلم يتجاوز عدد التلميذات من عرش المؤانسة إثني عشر تلميذة بنسبة 2.43% وكان عدد التلميذات من عرش أولاد سعيد 10 بنسبة 2.02% ويعتبر عدد المرسمات بالمدرسة من عرش الخلايفة مرتفعا مقارنة بعرشي المؤانسة وأولاد سعيد فقد سجلنا حضور 18 فتاة بنسبة 3.65% وكان عدد التلميذات متقلصا من عرش الزاوية أي في حدود 13 بنسبة 2.63 % رغم الطابع الديني لهذا العرش بآعتباره "عرش زاوية" يهتم أكثر من غيره بما هو ديني عامة وبما هو "علمي" على وجه الخصوص، ويمكن تفسير إنخفاض عدد التلميذات من عرش أولاد إمحمد 7 مرسمات بنسبة 1.41% بصغر حجم هذا العرش.

[36] قمنا بصياغة هذا الجدول بالإعتماد على دفتر مناداة التلميذات بين سنة 1935 و1945.

د- تأثير المدرسة الفرنسية – العربية في المجتمع المحلي العكاري ودورها في التراتب الإجتماعي :

لقد أشرنا سابقا إلى أن المدرسة الفرنسية – العربية بجرجيس قد وجدت عدة صعوبات عند إنطلاقتها ومحاولة إنغراسها في محيطها الجديد. إلا أن ذلك لم يدم طويلا فآستفادة الأهالي من هذا الفضاء الجديد سرعان ما برزت خاصة بالنسبة لبعض العائلات التي كانت تربطها علاقات جيدة بسلطة الإحتلال مما جعلها ترتقي بسرعة في السلم الإجتماعي الذي صاحب ظهور إنتصاب الدولة الإستعمارية من خلال بعض الوظائف الإدارية التي بعثت حديثا أو بعض الوظائف التقليدية التي خضعت لعدة تغييرات. كمثال على ذلك فقد إستطاع المدعو "علي بن أحمد كليش" من عرش أولاد بوعلي عكارة أن يزاول تعليمه بالمدرسة الفرنسية العربية بجرجيس وأن يتحصل على الشهادة الإبتدائية ويتحول للدراسة بالمدرسة العلوية بتونس طيلة ثلاث سنوات وهو ما مكنه من الإشتغال ببلدية جرجيس ككاتب مترجم ثم خوجة (مترجم) بمكتب الشؤون الأهلية بجرجيس ثم خليفة بنفس المكان إلى أن وصل سن التقاعد حيث منحته السلطات الفرنسية رتبة خليفة شرفي لما قدمه لها من خدمات ([37]).

وفي نفس الإطار زاول المدعو "محمد بن بلقاسم الضاوي" من عرش الزاوية عكارة تعليمه بالمدرسة الفرنسية العربية ثم بالجامع الأعظم بالحاضرة لمدة سبع سنوات، وآشتغل بعد ذلك مخازني في الحدود الليبية التونسية ثم مستشارا بالمجلس البلدي إلى أن ترشح ليشغل خطة شيخ على عرش الزاوية ([38]).

يتبين من خلال هذين المثالين الذين إخترناهما من بين أمثلة كثيرة صدق الرأي الذي ذهبنا إليه والمتمثل في أن المدرسة الفرنسية – العربية لعبت دورا كبيرا في توفير الإطار الإدراي المحلي ليأخذ مكانه ضمن الأجهزة المحلية مثل جهاز المخزن والمجلس البلدي وإدارة البريد وإطار التدريس والمناصب الإدارية ذات الأبعاد السياسية مثل خطة الشيخ والقايد والخليفة وقد كان من نتائج استفادة الأهالي من النظام التعليمي المحلي وارتقائهم في السلم الإجتماعي قيامهم ببعث مدارس جديدة مثل المدرسة الفرنسية – العربية بالمؤانسة سنة 1949 والمدرسة الفرنسية – العربية بحمادي سنة 1951 والمدرسة الفرنسية العربية بحسي الجربي سنة 1952([39]).

---

37 – الأرشيف الوطني التونسي السلسلة أ صندوق 181 ملف عدد2

38 - الأرشيف الوطني التونسي السلسلة أ صندوق 182 ملف عدد 27

39 – الأرشيف الوطني التونسي السلسلة E صندوق 281 الملفان 1 و8

وكانت السلطة الفرنسية تشجع عملية بعث المدارس لإدراكها الدور الفعال للمدرسة الفرنسية العربية في بناء نسيج إجتماعي جديد وخلق نمط تفكير مغاير للنمط التقليدي السائد قد يساهم في خدمة مصالح الإدارة الإستعمارية .

IV- السلوك الإحتفالي

إذا أمكن لنا اعتماد التصنيف الذي يقسم أشكال الممارسة الثقافية إلى ثقافة عالمة وأخرى شعبية، فإن السلوكات الإحتفالية تندرج ضمن هذه الأخيرة، والسلوك الإحتفالي له مظاهر متعددة ترتبط في أغلب الأحيان بمناسبات إجتماعية مثل الزواج، أو دينية مثل عاشوراء أو إقتصادية مثل إنطلاقة الموسم الفلاحي أو موسم الجز..إلخ. وسنتعرض لبعض هذه السلوكات الإحتفالية في جهة جرجيس في بداية هذا القرن من خلال مصدرين رئيسيين يتمثلان في المادة الإثنوغرافية التي قام بتجميعها ضباط الإدارة الفرنسية إضافة إلى ما حفظته الذاكرة الشعبية من معلومات متعلقة بهذه السلوكات.

1- العرس :

آثرنا استعمال مصطلح العرس بدل الزواج للتاكيد على تناولنا الجانب الإحتفالي. والعرس هو من أهم مناسبات الفرح الشعبية سواء كان ذلك في الريف أو لدى السكان الحضر وكثيرا ما تتأثر هذه المناسبة بطبيعة الأنشطة الإقتصادية. فأحتفالات المجتمعات التي تعتمد النشاط الرعوي أو الزراعي تختلف عن المجتمعات ذات الأنشطة الحرفية ([40])، وعرس الريفيين يتمايز مع عرس الأوساط الحضرية وتختلف المظاهر الإحتفالية للأعراس من قبيلة إلى أخرى، وفي أقصى الجنوب التونسي يلاحظ بعض الدارسين وجود تقارب بين المظاهر الإحتفالية في أعراس كل من عكارة ومختلف قبائل ورغمة ([41]).

ويتميز العرس العكاري في بداية هذا القرن بأختيار الزوج لزوجته، ففرص التعارف بين الشباب والفتيات تتوفر سواء أثناء القيام بعملية التحطيب (الخروج إلى الغابة لجمع الحطب) أو أثناء ذهاب الفتيات لجلب الماء من الآبار ([42])، وهو ما كان يؤدي إلى تجمع" نسائي" له أهمية في المجتمع التقليدي العكاري خاصة فيما يتعلق بتبادل الأخبار، وقد وقع التأكيد من طرف الإثنوغرافي الفرنسي "منويار" على عملية التعارف قبل الزواج رغم أن هذه العملية غير سهلة نظرا إلى أن إلتقاء شاب بفتاة دون سابق

[40] ديب (فرج الله صالح) : طقوس العرس الشعبي مجلة الفكر العربي عدد 77 بيروت 1994 ص 35
- من أبرز التصنيفات المتعلقة بالثقافة الشعبية وبالعادات والتقاليد في تونس وبصفة خاصة المجموعات البدوية، كتاب محمد المرزوقي مع البدو في حلهم وترحالهم الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس 1984

[41]- Zaied le monde des Ksours dans l'extrem sud tunisien beit el hekma Tunis p 199

[42]- Menouillard Zarzis Monographie .. opcit p 118

رابطة زوجيه في المجتمع التقليدي العكاري يشكل خطورة على الإثنين إنطلاقا من الطبيعة المحافظة لهذا المجتمع لكنه لا يحول دون خلق الفرص من أجل الإلتقاء كخطوة في إتجاه عملية الزواج التي يبدو أنها عملية معقدة نسبيا.

إن الإتفاق على الزواج يدفع العروسين للمرور بعدة مراحل يفرضها هذا الإتفاق. فأول خطوة تتمثل في تقدم العريس لخطبة عروسه وما يفرضه ذلك من توفير للهدايا من طرف الخطيب وهي أشياء أطلق عليها عكارة تسمية المقدمات، وتكمن أبعادها الرمزية في دفع ولي العروس للموافقة على عملية الزواج. وعادة ما تكون هذه الهدايا متكونة من لحوم وزيوت وحناء... إلخ .

ويعتبر الإتفاق حول مهر العروس و"جهازها" بمثابة إعلان العرس بصفة رسمية للعموم، والعمل على إبلاغ أكبر عدد ممكن من أفراد العرش أو العرشين الذين ينتمي إليهما العروسان . بهذا الحدث الذي يبدأ في يومه الأول بدعوة كل الأقارب والأصدقاء للمشاركة في الإحتفال، ولما كانت علاقات النسب والقرابة تربط أغلب أفراد أهالي جرجيس فإن الدعوة ستوجه إلى النسبة الغالبة من هؤلاء الأهالي ويقوم بهذا الدور مجموعة النساء الزنجيات وبعض الفتيات من قريبات الزوجة. وفي نفس اليوم يقع دفع المهر -الذي عادة ما يكون مرتفعا نسبيا- بأقرب مسجد، كما تتم كتابة عقد الزواج من طرف أحد عدول المنطقة. وفي اليوم الثاني تبدأ الإحتفالات صباحا بنصب خيمة جديدة ستكون مأوى العريسين الجديدين، وفي نفس اليوم ينقل جهاز العروس على ظهر جمل بصفة مؤقتة من بيت عريسها إلى بيتها ويسمى الكسوة، وهذه التسمية تطلق على كامل اليوم الثاني الذي ينتهي بما يعرف لدى قبيلة عكارة "بالبرنوس" ويتمثل هذا الحدث في وضع مبالغ مالية رمزية على "برنس" العريس وهذه العملية موجودة في أغلب أعراس المنطقة وتسمى الحناء. وفي اليوم الثالث الذي يسمي " الجحفة " تتكفل عائلة العريس بإطعام كل مدعوي عائلة العروس وفي المساء يقع نقل العروس إلى بيت زوجها ممتطية " الجحفة" التي توضع على ظهر الجمل وتنتهي هذه العملية بـــ "الدخلة".

إن العملية الإحتفالية تكون مصحوبة طيلة الأيام الثلاثة للعرس العكاري بالغناء والزغاريد وكثير من التفاصيل الإحتفالية التي تخضع لبرنامج محدد يشمل كل أيام العرس ويكون مصحوبا بعدة ممارسات إحتفالية مثل ضرب البارود بالنسبة للرجال والنخ بالنسبة للنساء ([43]).

43 – فيما يتعلق بالعرس بجرجيس وبأقصى الجنوب التونسي فقد إستفدنا من المعلومات الواردة في :
Menouillard (H) Une noce à Zarzis le danse des cheuveux, in La presqu'ile de Zarzis à travers l'histoire...op cit, p 19 – 27 ; - Zaied le monde des Ksours...opcit p 192 - 199

2- عيد عاشوراء : يقع إحياء عيد عاشوراء في العاشر من محرم الهجري من كل سنة وتختلف المدة المحددة لهذا العيد بين يوم واحد وستة أيام وذلك بآختلاف التقاليد المعمول بها في مختلف المدن والقرى والأرياف والبوادي من طرف مختلف المجموعات ذلك ما توصل إليه "منشيكور Monchicourt " في دراسته "العادات الأهلية" ([44])، ويذهب "المرزوقي" إلى أن الإحتفال بعيد عاشوراء هو من بقايا تقاليد الشيعة الفاطميين منذ تأسيس دولتهم بالبلاد التونسية في القرن الثالث ([45]).

لكننا لا نتفق مع هذا الكاتب في توجهه وذلك لغياب أي تقاليد وعقائد شيعية أخرى معمول بها في البلاد التونسية، والأقرب للصواب أن تكون "عاشوراء" من إفرازات الهجرات المتتالية التي قام بها بعض أدارسة المغرب في إتجاه إفريقية والإستقرار بها، فالأدارسة هم من سلالة الأسرة العلوية (نسبة لعلي بن ابي طالب).

ويحتفظ الموروث الشفوي لأهالي أقصى الجنوب التونسي بعدة مأثورات وقصائد شعرية حول "علي بن أبي طالب" وزوجته "فاطمة الزهراء" وإبنيهما "الحسن والحسين" وهي ترمز إلى الحضور الكبير لـــ"علي" في الذاكرة الشعبية ([46]). كما يتجسد هذا الحضور بصفة مكثفة في شجرات أنساب كثير من المجموعات القبلية في مختلف اقطار المغرب العربي التي تنتهي دائما بالإنتساب إلى "علي بن أبي طالب" و"فاطمة الزهراء".

لا شك أن هذا الحضور الكبير "لعلي" في الموروث الشعبي قد ساهم في ترسيخ تقليد إحياء ذكرى عاشوراء المتمثلة في مقتل " الحسين بن علي " في معركة كربلاء، وقد أخذت هذه الذكرى عدة مظاهر إحتفالية. ففي اقصى الجنوب التونسي ومن ذلك جهة جرجيس، يتم الإحتفال سنويا بعاشوراء من خلال إشعال حلاقات النار والقفز فوقها ورمي الأحجار على شجرة السدرة ويرمز ذلك إلى إحتجاج بل الإنتقام من قتلة "الحسين" ([47]). وتتميز احتفالات عاشوراء ببعض العادات الغذائية المميزة لهذه الذكرى، ويختص أهالي جرجيس بإعداد أكلة تسمى "الكسكسي بالقديد" (لحم مجفف) وفي هذه المناسبة يقع تقديم هذه الأكلة لكل زائر، كما أن البعض يعتبر عاشوراء مناسبة للصدقة، وفي جرجيس هذه الصدقة لا تقدم

---

[44] Monchicourt (CH) Moeurs indigene la fête de l'achoura in revue Tuinsienne 1910 p 284 - 292

[45] المرزوقي البدو في حلهم..مرجع سابق ص 194

[46] Jouili (Mohamed) Le leader politique dans l'imaginaire islamique : Deux archetypes : Ali et Muawiya, thèse de doctorat, Ecole pratique des hautes études, Paris Sorbonne 1995 voir notamment , Ali d'aprés un poème épique oral du Sud - Est de la Tunissie p 314

[47]- Zaied, Les ksours...op cit p 187.

إن عادة إشعال النار والرقص حولها خاصة من طرف الأطفال معمول بها في كثير من المدن التونسية لاسيما في مدينة القيروان أين تسمى " هجيج " وكذلك في حاضرة تونس أين يطلق عليهاإسم لهيب، voir monchicourt moeurs...opcit p 293

إلى الفقراء بل لكل من يطلبها من الأطفال والشبان الذين يعتقدون أن ذلك يمثل أحد حقوقهم بل هو واجب على كل عائلة يقصدونها ، حتى أن رفض بعض العائلات لتقديم هذه "الصدقة" يسبب لها أشكالا من العنف الرمزي ([48]).

إن الإحتفال بعاشوراء يتضمن مستويين من الرمزية، يتمثل المستوى الأول في الإحتفالية التي تتجسد من خلال ممارسة أشكال متعددة من اللعب والرقص وتقاليد الأكل المتنوعة التي تختلف من وسط إلى آخر، ويهدف كل ذلك إلى الخروج عن المألوف اليومي. أما المستوى الثاني فيتجسد من خلال إستعمال النار كعنصر رئيسي في عملية الإحتفال، والنار في الموروث الشيعي -الذي يمنح عيد عاشوراء أكبر مساحة من بين الأعياد والمناسبات الدينية الأخرى - مستمدة من التقاليد الفارسية القديمة المعروفة بقدسيتها. وهي كذلك أداة ترمز للإنتقام والغضب في الموروث الإسلامي.

3- بعض السلوكات الإحتفالية المرتبطة بالنشاط الإقتصادي

- الممارسات المتعلقة بجلب الأمطار :

تبرز هذه الممارسات في فترات الجفاف، وتميل الثقافة العالمة في المجتمع المحلي العكاري إلى ممارسة صلوات الإستسقاء والدعاوي والتضرع لله رغبة في نزول الغيث. أما ثقافة المجتمع المحلي الشعبية فتتجسد من خلال ما يقوم به بعض الأطفال (معبرين عن رغبة الأهالي) عندما يخرجون وفي أيديهم "دمية" ذات شكل مثلث ترمز إلى "مرأة فقيرة" تتمتع بنوع من القدسية ([49])، مما يجعلها قادرة على ممارسة دور الوسيط بين البشر والله وتجسيد رغبتهم في نزول الأمطار. وتطلق على هذه الدمية تسمية "أم كتنبو"، يقوم الأطفال الحاملين لهذه الدمية بزيارة عدة منازل للحصول على بعض الصدقات التي يقتسمها الفقراء منهم وهم يرددون "أم كتنبو الشهلولة إن شاء الله اتْرَوَّحْ مبلولة". وهذه العادات يشترك في ممارستها أهالي جرجيس مع كثير من سكان البلاد التونسية في تطاوين وقفصة والسواسي... إلخ ([50])، ويمارس أهالي جرجيس بعض التقاليد الأخرى الهادفة إلى جلب الأمطار عندما تمتد فترات الجفاف، والمتمثلة في التجمع قرب جامع سيدي مصدق بالمؤانسة بجرجيس والتوجه بطريقة جماعية إلى

---

[48] يذهب منشيكور إلى أن عاشوراء مشتقة من حيث الإصطلاح من كلمة عشر، والعشر هو زكاة وليست صدقة (أنظر ص 284) وهذا التصور مبالغ فيه وليس له سند تاريخي.

[49] يعتقد "منويار" أن الشكل المثلث لهذه الدمية يرمز إلى إلاه قرطاج القديم " تانيت " "Tanit" الذي كان يتقرب إليه سكان قرطاج حتى يجلب لهم الأمطار – أنظر :

- Menouillard (H) moeurs et coutumes indigènes pratiques pour solliciter la pluie, Revue Tunisenne 1910 p 302

[50] – نفس المرجع ص 303.

ضريح سيدي الصياح الجد المؤسس لقبيلة عكارة قرب بنقردان ثم القيام بذبح " ثور" وإقامة الزردة والحضرة وحلقات الذكر من طرف بعض المجموعات الطرقية مثل العيساوية وكل ذلك يهدف إلى التقرب إلى الله عبر جد القبيلة الولي سيدي "الصياح" حتى يأتيهم الغيث!!!

- **الجـــــــــز:**

بداية من 20 أفريل من كل سنة يختار كل مالك غنم بجرجيس يوما معينا للقيام بجز أغنامه، وفي هذا اليوم توزع المأكولات من "عيش" و"كسكسي"...إلخ، على المدعوين، ويجلس الراعي أمام خيمة صاحب الأغنام مستعملا آلة قص كبيرة تسمى "الجلم" وتبدأ إحتفالات الجز بإطلاق "الزغاريد" من طرف النساء وإطلاق البارود من طرف الرجال وترديد بعض الأغاني والأهازيج من طرف الرعاة أنفسهم([51]).

[51] menouillard (H) moeurs indigenes en Tunisie la tonte des moutons (EZ - ZEZA) revue Tunisenne 1906 p 118

الفصل الخامس

الإقتصاد المحلي و أشكال الملكية

I - طبيعة الاقتصاد المحلي بجرجيس قبيل انتصاب الحماية الفرنسية

يتميز إقتصاد أقصى الجنوب التونسي عامة قبل إنتصاب الحماية الفرنسية بطابعه البدوي المرتكز على تربية الماشية (أغنام - ماعز - إبل) وعلى زراعة الحبوب وخاصة الشعير الذي كان يمثل الأساس الذي يرتكز عليه النظام الغذائي لقبائل الجنوب ([1]). وتميزت قبيلة عكارة مقارنة ببقية قبائل المنطقة بأستقرارها النسبي المبكر الذي يرجع إلى نهاية القرن الثامن عشر، وقد إنعكس ذلك على إقتصادها الذي إتسم بالتنوع نتيجة ثراء المنطقة المعروفة بـ "دخلة عكارة" ومتاخمتها للبحر. لقد إستطاع عكارة وعلى عكس غيرهم من القبائل التي تداولت على المنطقة من إضفاء طابع خاص يعكس جدية في العمل ورغبة في تغيير المشهد التاريخي الذي لم يكن يرمز إلا إلى "بلاد الخوف" وهي التسمية التي تطلقها القبائل المجاورة على "دخلتهم" فماهي أهم الأنشطة الإقتصادية لعكارة أثناء فترة ما قبل الإحتلال ؟

1- يعتبر النشاط الفلاحي بجرجيس قبيل إنتصاب الحماية من أبرز الأنشطة الإقتصادية وقد إنقسم بدوره إلى عدة مستويات، فقد إحتل الإهتمام بغراسة أشجار الزيتون موقعا متميزا منذ منتصف القرن التاسع عشر وتحديدا سنة 1840 وهو التاريخ الذي شهد بداية غراسة هذا النوع من الأشجار وقد كانت غابة جرجيس تعد آنذاك قرابة الـ 40 ألف شجرة ([2])، وإرتفع هذا الرقم ليصل إلى73 ألف شجرة سنة 1877 ([3])، ويبدو أن اشجار الزيتون الموجودة بغابة جرجيس اثناء هذه الفترة لا تعود إلى العصر الروماني القديم كما هو الحال بالنسبة للغابة الموجودة بجزيرة جربة أو بغابات الساحل ([4]). لقد تزامن ظهور شجرة الزيتون بجرجيس مع إنشاء عدة معاصر تحت الأرض تستعمل طرق الضغط التقليدية مستخدمة الجمل وقد قدر عددها بـ 30 معصرة كانت الواحدة منها تنتج 4 مطر جربي من الزيت يوميا، أما الكمية المنتجة سنويا فتقدر بـ 7500 مطر من الزيت في سنوات الصابة، أما السنوات الجافة فلا يتجاوز إنتاجها 4000 مطر، وكان أجر عمال المعاصر لا يتجاوز ربع مطر من الزيت بالنسبة للعامل الواحد بعد أن يقوم بعصر ما قيمته ويبة من الزيتون ([5])، ويستمد إنتاج الزيت بجرجيس شهرته من جودته التي يرى البعض أنها منتشرة بكامل أنحاء الإيالة ([6]). وإهتم عكارة أثناء فترة ما قبل الإحتلال بغراسة النخيل، فقد قدر عدد نخيل واحة جرجيس بـ 30 ألف شجرة، ولم يحل عدم وجود

---

[1] Ellafi organisation sociale d'une tribu du sud tunisien les twazin a la veille du protectorat francais memoire de maitrise d'histoire universite paris VIII 1976 p 62

[2] Douib la région MDES...opcit p 91

[3] Bailly...opcit p 38

[4] Douib la région MDES. ..opcit p 92

[5] Bailly...opcit p 39

[6] Laffite; servonnet le golf. ..opcitp 254

أصناف جيدة من التمور- كما هو الشأن بالنسبة لمناطق الجريد ونفزاوة أين يقع إنتاج أصناف مثل " دقلة النور" – من إستغلال الأصناف الموجودة في توفير الأعلاف للماشية وخاصة منها الإبل. وآستغل عكارة حقولهم في غراسة أشجار التين التي وصل عددها إلى 10 ألاف شجرة، وقد كانت بساتين عكارة تحتوي إضافة إلى هذا النوع من الأشجار المثمرة على شجرتي اللوز والرمان ([7]).

تعتبر زراعة الحبوب من الأنشطة الفلاحية التي كانت تلقى إهتمام عكارة، وكانت أغلب أراضي هذه القبيلة في الفترة السابقة على الإحتلال مخصصة لهذا الغرض، ووجدت هذه الأراضي بمنطقة الصياح، هنشير طرف الليل، هنشير البقرة، جميلة والصلب، وكان أفراد قبيلة عكارة لا يميلون إلى إستغلال أراضيهم المتاخمة للحدود الليبية خشية إعتداءات القبائل المجاورة مثل النوايل وزوارة والصيعان والمحاميد...الخ. وكان نشاط عكارة في هذا المجال ينطلق في فصل الخريف مع نزول الأمطار الأولى بالقيام بعملية الحرث والزراعة وهو " حرث بدري " حسب التسمية المحلية أي مبكر، أما إذا جاءت الأمطار متأخرة، فعملية الحرث تتأخر وتطلق عليها تسمية "حرث مازوزي" ([8])، وتختلف كميات الشعير والقمح المبذورة من سنة إلى أخرى بحسب الأمطار التي تنزل في فصل الخريف، ويكون لأمطار فصل الربيع تأثير على مردودية الكميات المبذورة، أما موسم الحصاد فيبدأ في شهر أفريل بالنسبة لمحصولات الشعير، في حين أن محاصيل القمح يتأخر حصادها عن ذلك بقليل ([9]). ويستقطب هذا الموسم أغلبية أفراد قبيلة عكارة كما هو الشأن بالنسبة لموسم جني الزيتون، وتعد صابة الحبوب في المواسم العادية 5000 قنطار من الشعير و3000 قنطار من القمح ([10])، يقع خزنها في قصور القبيلة المخصصة لهذا الغرض ([11]) أو بإستعمال تقنية خزن يطلق عليها الأهالي تسمية المطمور. كما خصص عكارة عددا من البساتين قدر عددها بـــ 566 بستانا لزراعة الخضر والبقول، وهي بساتين مروية بمياه الأبار التي يعتمد في جلبها على إيناء مصنوع من جلد الأبقار يسميه الأهالي "الدلو"، يقع إخراجه بواسطة "بقرة" لينصب في حوض كبير ومن ثمة توزع المياه على البساتين بواسطة السواقي. وتعد مساحات البساتين المروية ما بين هكتار وهكتارين ([12]). ومثلما هو الشأن بالنسبة لأغلب القبائل التونسية في نهاية القرن الماضي إهتم عكارة بتربية الماشية وكان الإهتمام الأكبر مخصصا لتربية الأغنام التي وصل عددها إلى 6672، أما عدد قطيع الماعز فقد قدر ب 3834 رأس، و كان عدد الإبل يقدر بقرابة الألفين ، ودأب عكارة على الإنتجاع مع قطعان مواشيهم في فصل الربيع إلى مناطق

[7]bailly...opcit p 39
[8]Ellafi organisation. . opcit p 63
[9]Bailly...opcit p p 39 - 40
[10] نفس المرجع ص 39
[11]Lafitte, servonnet le golf...opcit p 255
[12]Douib la region MDES...opcit p 50

المرعى أين توجد أراضيهم الجماعية، وتتواصل هذه العملية لمدة طويلة قد تتجاوز الشهرين، أما المراعي التي توجد في دخلة عكارة أي قرب القصور فإن الأهالي يلتجؤون إلى تجفيفها وخزنها وآستغلالها خارج فصل الربيع. وبالنسبة لقطيع الإبل فإن عكارة كانوا يميلون إلى إيداعه لدى القبائل المجاورة من توازين وجلالطة ومدنين وربايع وعوين، نظرا لما تتطلبه رعاية هذا النوع الحيواني من مساحات شاسعة من أجل الرعي وكذلك من أجل حمايته من إعتداء بعض القبائل المجاورة خاصة وأن عدد فرسان عكارة من مستعملي الخيول وهو الجناح الحامي للقبيلة لا يتجاوز الثلاثين. ويتقاضى رعاة الإبل أجرة سنوية تقدر ب 4 ريالات عن كل جمل ([13]).

وتميز عكارة على بقية القبائل المجاورة بآتجاهم للنشاط البحري الذي كان يتمحور بصفة رئيسية حول صيد الإسفنج الذي يعتبر الأكثر أهميةمقارنة ببقية الأنشطة البحرية وقد كان الإسفنج يستغل بواسطة ما يقارب ما بين 130 إلى 140 مركب صيد منها قرابة 20 تعمل ببحيرة البيبان وتنقسم فترة صيد الإسفنج إلى موسمين رئيسيين هما موسم الشتاء وموسم الصيف، ويعتبر موسم الشتاء الأكثر أهمية إذ يوفر 90 % من الإنتاج السنوي ويمتد من بداية أكتوبر إلى نهاية أفريل من كل سنة. ويتكفل بشراء كميات الإسفنج ممثل شركة La fermière الذي يقوم بدوره بإرسالها إلى صفاقس لتسويقها إلى الخارج. ولا يشغل صيد الأسماك سوى أربعة أو خمسة مراكب ويقتصر هذا النشاط على فصلي الخريف والشتاء وهي الفترات التي تشهد إقبال الأهالي على إستهلاك السمك، وتعتبر بحيرة البيبان الأكثر أهمية في إنتاج الأسماك كميا ونوعيا فهي مصدر إنتاج الأسماك الجيدة والهامة مثل "الصبارص"و"البوكيت" في فصل الخريف "و"المغرس"،"الغزال" و"الشباط" في فصل الشتاء و"المنكوس" و"الوراطة " في فصل الربيع و"القاروس" و"المناني " أثناء موسم الصيف. ونظرا لصغر حجم سوق جرجيس فإن البحارة يلتجؤون إلى الأسواق المجاورة في جزيرة جربة، كما يعمد كثير من الصيادين إلى تجفيف منتجاتهم البحرية وترويجها بأسواق طرابلس وزوارة وقابس وصفاقس ([14]).

2- لقد كان النشاط الصناعي مقتصرا على بعض الأعمال التحويلية والحرفية، وقد تمثلت الأعمال التحويلية في تجميع الملح الموجود بكثرة بسبخة المالح وخاصة في فصل الصيف وبيعه إلى تاجر أوروبي مقيم بحاضرة تونس، فبعد عملية التجميع يتولى الأهالي نقل كميات الملح إلى ميناء صغير يسمى مرسى المالح أين تنقل هذه الكميات إلى كل من سوسة والمنستير والمهدية وصفاقس وقابس وجربة، وكمقابل لذلك يحصل الأهالي على 6 ريالات بالنسبة للقفيز الواحد وتقدر الكيمة بـما

---

[13] Bailly...opcit p 40

[14] نفس المرجع ص - ص 45 - 46

بين 2800 إلى 3000 قفيز سنويا ([15]). وقد إهتم عكارة بنشاط تحويلي ثان وهو إنشاء الأفران لإستخراج الجير، فقد وصل ثمن القفيز الواحد من هذه المادة إلى ما بين 5 و10 ريالات، وتعتمد الحجارة الجبسية في عملية الإستغلال، وتجلب هذه الحجارة من عدة أماكن أهمها منطقة جميلة في الحدود الليبية التونسية ويتم نقلها بواسطة الإبل بثمن ما بين 7 و8 خروب لحمولة الجمل الواحد ([16]).

وترتكز الأنشطة الحرفية على أعمال الحياكة، فقد كانت غرف جرجيس تحتوي ما بين 50 إلى 60 دكان حياكة (نساج) تتولى توفير عدة أنواع من المنتوجات مثل "الفليج" و"الوزرة " و"المرقوم" و"الوسادة" و"الحولي" و"الغرارة" و"الخيام" ولم تقتصر هذه المنتوجات على ما توفره دكاكين الحياكة، فقد كانت منتشرة في الخيام، حيث نجد في كل خيمة "مسدة " مستعملة من طرف نسوة المكان، وتجد منتوجات جرجيس في هذا المجال رواجا كبيرا بمختلف أسواق الإيالة ([17]).

3-يمارس أهالي جرجيس نشاطهم التجاري في فترة ما قبل الإحتلال من خلال سوقين قارتين، توجد الأولى بقصر أولاد بوعلي ويضم 22 دكانا مخصصة لتجارة الحبوب، أما السوق الثانية فمقره قصر المؤانسة ويضم 10 دكاكين تجارية وطاحوناتان ويتولى الإشراف على السوقين أمين سوق، يشرف على عمليات الوزن والمراقبة التجارية المستمرة، وينتصب بكل من قصر أولاد بوعلي وقصر المؤانسة سوقين أسبوعتين يومي الإربعاء والجمعة، وتشمل المبادلات عدة أنواع من السلع مثل الإبل، الخيول، الأغنام، الصوف ومختلف أنواع المنتوجات إضافة إلى الزيوت التي يقع جلبها من الساحل أثناء سنوات الجفاف التي تشهد كذلك جلب الحبوب (القمح – شعير) من أسواق صفاقس سوسة، المهدية وبنغازي في البلاد الطرابلسية. ويرتاد أسواق عكارة بصفة دائمة مجموعات من القبائل المجاورة مثل التوازين والودرانة والخزور وبعض الطرابلسية في زوارة، دون إستثناء جبالية غمراسن والجليدات والحوايا([18]).

لقد ساهمت عدة عوامل في جعل "بلاد عكارة " مركزا إقتصاديا هاما في منطقة أقصى الجنوب، فهي منطقة وسطية قريبة من مراكز أغلب القبائل التي تزور جرجيس، ويتميز أهالي جرجيس بنوع من الطبيعة السلمية التي شجعت المجموعات القبلية على التعامل معهم، وإضافة إلى ذلك يبرز إنفتاح "عكارة " على البحر– وهو إمتياز لم تتمتع به بقية القبائل– الذي زاد في ثراء المنطقة وتنوع منتوجاتها

[15] نفس المرجع ص 41
[16] نفس المرجع ص 49
[17] نفس المرجع ص 41
[18] Lafitte; servonnet le golf...opcit p 254;Bailly...opcit p 42;

الإقتصادية، كما ساهمت جودة بعض منتوجات جرجيس مثل الزيوت والحبوب في جلب إهتمام التجار، ألم يكن شعير جرجيس الأفضل في صناعة الجعة الإنقليزية ([19]) ؟

لقد إنفتحت جهة جرجيس على بعض الأسواق الأجنبية سواء من خلال بعض الصادرات أو الواردات والأرقام الوحيدة التي نملكها في هذا المجال هي ما أورده الضابط "بايي" والتي يعود تاريخها إلى سنة 1303 هـ وتتمثل فيما يلي :

واردات الجهة من خلال نشاط مرسى جرجيس :

مصدر المواد	نوعية البضاعة	الكمية الموردة	القيمة المالية بالريال
	أسلحة	1	-
	أخشاب	-	149
	فحم	-	100
	حبوب	-	1755
	غلال	-	15
	بضائع(...)	-	170
	دقيق	75 قفيز	30
	جلود	-	247
	أنواع مختلفة	-	2531
	بقول	-	31
	أواني مطبخ	-	752
	محروقات	-	8
	قطن	-	15
	زيوت	-	110
	مواد غذائية	-	50
بلدان أجنبية أخرى	خمور	-	605
صفاقس - قابس	-شعير	2500 قفيز	-
سوسة - المهدية	- زيوت	125 قنطار	-
جربة	مواد مختلفة	-	15000

[19]Menouillard Zarzis monographie. ..opcit 153

صادرات بعض مواد الجهة من خلال نشاط مرسى جرجيس

نوعية البضاعة	كميتها	قيمتها بالريال	المكان المتجهة إليه
- إسفنج	- 30 رطل	30 ريال	
- فاتورة (بقايا الزيتون بعد عصره)	- 7 (قفيز)	30 ريال	- بلدان أجنبية
-أسماك مجففة ومملحة	- 800 رطل	100 ريال	
- إسفنج (بعد الغسل)	50 ألف كلغ 2800 كلغ	-	صفاقس
- ملح		-	
- تمور	300	40	
- إسفنج	927	1380	
- قطران	1010	270	
- زيت زيتون	8151 رطل	4740	
- أغنام	14	200	
- صوف	265	210	
- أسماك مجففة وممحلة	2200	245	البلاد الطرابلسية
- فخار	4000	100	
- فليج	2000	1500	
- شعير	30 قفيز	2570	
- بقول	1 ويبة	10	

إن الأرقام الوادرة في هذين الجدولين تعتبر بمثابة العينة لصادرات وواردات مرسى جرجيس، وتبين لنا هذه الأرقام أن الشريك التجاري الرئيسي لسكان جرجيس أثناء إنتصاب الإدارة الإستعمارية بالمنطقة وما قبلها هي البلاد الطرابلسية فقد كانت صادرات مرسى جرجيس إلى هذه البلاد تقدر بـــ 5963 ريال من مجموع 21568 ريال أي بنسبة 27.64 % أما واردات مرسى جرجيس من هذه البلاد فقد قدر بـــ 11265 ريال من مجموع 11425 ريال أي بنسبة 98.5 % ويمكن تفسير ذلك بقرب جرجيس من البلاد الطرابلسية من ناحية، وبآزدواجية نشاط عكارة المعتمد على الصيد البحري والتجارة عبر البحر من ناحية أخرى، كما أن تأملا سريعا في نوعية البضائع المصدرة والموردة من وإلى طرابلس يقودنا إلى القول بأن أغلب البضائع الموردة هي بضائع ذات طابع فلاحي في حين أن المواد التي يقع إنتاجها حرفيا أو صناعيا تبدو محدودة.

ويرتبط أهالي جرجيس ببعض العلاقات التجارية مع بلدان أجنبية أخرى، وبالرغم من أن" بايي " لم يحدد لنا هوية هذه البلدان إلا أن الأرجح أن تكون بلدن أروبية كان بعض تجار جرجيس يستوردون منها الخمور التي وصلت إلى 605 ريال في سنة القياس، بينما كانت المواد الموردة من مرسى جرجيس في نفس السنة مقتصرة على الأسماك المجففة والإسفنج والفاتورة، وكانت القيمة الإجمالية لهذه المواد 160 ريال، إن نسبة صادرات جرجيس إلى هذه البلدان قدرت في حدود 2.80 % أما وارداتها فلم تتجاوز 1.40 % وهي نسب ضعيفة لاشك أنها غير قابلة للتعميم خاصة أن بعض الدراسات تشير إلى أهمية بعض المنتوجات الفلاحية التي كثيرا ما يتهافت عليها التجار الأروبيون مثل الشعير والزيوت والإسفنج. وإذا نظرنا إلى علاقة جرجيس التجارية بمختلف مناطق الإيالة فإننا نلاحظ أن جل المعاملات كانت تتم مع جزيرة جربة في مستوى الواردات وقد وصلت نسبتها إلى 69.54 %، وكذلك مع بعض المناطق الساحلية مثل سوسة والمهدية وصفاقس وقابس، ويبدو أن إشتراك هذه المناطق مع أهالي جرجيس في نفس نوعية الإنتاج – (الزيوت والحبوب في الساحل، صيد المنتوجات البحرية بصفاقس، التمور بقابس) – قد كان وراء هذه المبادلات خاصة في فترات الأزمة.

II – القطاع الفلاحي

1 – غراسة الأشجار المثمرة

أ – غراسة الزياتين :

تعتبر من أبرز الأنشطة الإقتصادية بجهة جرجيس بل في مناطق اقصى الجنوب التونسي حتى أن الأستاذ "الذويب" أطلق عليها تسمية "الزيتونة الملك L'olivier roi" نظرا لما تتمتع به من إهتمام لدى العكاري، ولابد من الإقرار بأن أهالي جرجيس لم يولو إهتمامهم الأكبر لهذا "الجنس" من الغراسات إلا بعد الإنتصاب الإستعماري بالجهة المعروفة بمناخها المتوسطي، مما ساعد هذه الشجرة على الصمود أمام درجات الحرارة المرتفعة نسبيا وعلى إستيعاب الرطوبة. لقد تضاعف عدد زياتين غابة جرجيس عدة مرات خلال هذا القرن كما يتبين من خلال الجدول التالي :

جدول تطور عدد زياتين غابة جرجيس ([20])

السنة	1901	1906	1910	1924	1930	1955
عدد الزياتين	180000	265000	325000	453000	600000	700000

تؤكد لنا هذه الأرقام ما أشرنا إليه منذ البداية من أن نشأة غابة الزيتون بجرجيس تمت أثناء الفترة الإستعمارية، فقد تضاعف عدد الزياتين أكثر من ثلاثة مرات بين سنتي 1901 و1930، ويمكن تفسير ذلك بأن أهالي جرجيس كانوا يعمدون من خلال هذه العملية إلى حماية أراضيهم من الإفتكاك من طرف المعمرين الذين إنتصبوا بالمنطقة منذ نهاية القرن الماضي وقد تجاوزت ممتلكاتهم من أشجار الزيتون 70 ألف شجرة في بداية الخمسينات. كما إستفاد عكارة من إدماج منتوجاتهم من الزيت ضمن السوق الراسمالي الإستعماري داخليا وخارجيا، فقد كانت غابة جرجيس توفر 8 ملايين كلغ من الزيت في السنوات العادية، أما في سنوات الجفاف فإن مجموع إنتاج جرجيس من هذه المادة لا يتجاوز الخمسة ملايين كلغ ([21]). وقد لقيت هذه المنتوجات رواجا كبيرا نظرا لجودتها الفائقة بالرغم من سوء الإعتناء الذي كانت تلقاه شجرة الزيتون خاصة في سنوات الإحتلال الأولى ([22]). ولم يتوقف نمو غابة زيتون جرجيس، ففي حين لم تتجاوز الغراسات الجديدة الـ 100 ألف شجرة في العشرين سنة الأخيرة من الفترة الإستعمارية فإن هذا العدد سيتطور ليصل إلى قرابة الـ 200 ألف شجرة بداية من ظهور الدولة الوطنية في الخمسينات . وقد كان إهتمام عكارة بغراسة وملكية الزياتين جماعيا خاصة وأن الزياتين كانت تخضع في غالب الأحيان إلى الملكية العائلية بل إن عروش عكارة كانوا يتنافسون فيما بينهم في هذا المجال كما يظهر من خلال الجدول التالي :

---

[20] إعتمدنا في صياغة هذا الجدول على المراجع التالية :

Bouchard; la culture de l'olivier dans la région de zarzis in bulletin de la direction de l'agriculture du commerce et de la colonisation n°:55 1912 p 244

- Bellot...opcit p 10

[21] Bellot. ..opcit p 11

– لابد من الإشارة إلى أن جرجيس بقدر إستفادتها من ترويج الزيت ضمن الأسواق الرأسمالية فقد كانت تتاثر بشدة بالأزمات الإقتصادية التي كانت تمس هذه الأسواق مثلما هو الشان بالنسبة لأزمة 1929.أنظر في هذا الشأن:

- Malaquin; un demie siècele du potectorat. .. opcit p 71.

[22] Menouillard Zarzis monographie. ..opcit p 155

جدول تطور ملكية الزياتين وتوزيعها العمري حسب العروش بجرجيس في فترة الخمسينات ([23]).

	مجموع زياتين كل عرش	زياتين ما بين 15 و20 سنة	زياتين ما بين 10 و15 سنة	زياتين ما بين 5 و10 سنوات	أقل من 5 سنوات
ملكية عرش أولاد إمحمد	75603	2210	5062	2392	4978
ملكية عرش أولاد سعيد	152344	81153	4003	5018	7390
ملكية عرش الخلايفة	146204	8366	5825	5253	8113
ملكية عرش أولاد بوعلي	155566	35726	10005	7049	10198
ملكية عرش المؤانسة	138098	24761	21089	15021	21270
ملكية عرش الزاوية	17764	3574	3693	2650	5121
المجموع العام	**685579**	**80790**	**49677**	**37383**	**5763**

يعكس هذا الجدول أهمية شجرة الزيتون في الحياة الإقتصادية المحلية لسكان جرجيس، فالتنافس العروشي يجد صداه داخل هذا الفضاء، ويتبين لنا أن عرش أولاد بوعلي يمتلك أفراده أكبر عدد من الزياتين في هذه الفترة ويليه في ذلك عرش أولاد سعيد وعرش الخلايفة أما عرش الزاوية وهو أقل عروش جرجيس ملكية للزياتين فيبدو أن إهتماماته الإقتصادية كانت ترتكز على مجالات أخرى، كما يبدو أن عدد ملكيات أفراد أولاد إمحمد كانت مرتفعة نسبيا مقارنة بصغر حجمه من ناحية عدد السكان، وإذا كان عرش أولاد بوعلي صاحب الملكية الغالبة قد إعتنى بالزياتين التي يترواح عمرها بين 15 و20 سنة حيث وصلت ملكيات أفراده إلى 35726 شجرة فإن عرش المؤانسة قد أخذ الأسبقية فيما يتعلق بعدد الزياتين التي يتراوح عمرها أقل من 20 سنة وكذلك تلك التي تقل عن خمس سنوات حيث وصل عددها حسب الأرقام الواردة في الجدول السابق إلى 82141 في حين لم يتجاوز عددها 53978 شجرة لدى عرش أولاد بوعلي صاحب أكبر ملكية من الزياتين، وربما يعود ذلك إلى أن أفراد عرش المؤانسة قد إتجهوا لهذا النشاط الفلاحي بصفة متأخرة بعد أن كان إهتماماتهم مرتكزا على

[23]Douib la région M. D. E. S... opcit 96

تربية الماشية وزراعة الحبوب. وتمكن ملكية الزياتين بجرجيس من إحتلال مكانة إجتماعية ورمزية هامة، وبالإضافة للمالكين من عكارة وبعض المعمرين الفرنسيين نجد إهتماما مبكرا لدى الجرابة بملكية الزياتين بجرجيس، وكنموذج لذلك قام "الكاتب" وهو ملاك جربي بآستغلال ما يقارب 300 هكتار من الأراضي في غراسة الزيتون منذ بداية القرن، ولعل هنشير"الكاتب" قد مثل ولفترة طويلة نموذجا للهناشير التي تعود ملكيتها للجرابة وقد وصف "الأستاذ الذويب " ذلك قائلا، الزيتونة هي أجمل نجاح "للعكاري" وأجمل غزو "للجربي"، لكن ذلك قد شهد تقلصا ملحوظا نتيجة إتجاه الجرابة إلى الأنشطة التجارية بدل الأعمال الفلاحية إضافة إلى هجرتهم المتزايدة إلى مدينة تونس ومدن الشمال ([24]).

وقد إستفاد عكارة منذ نهاية القرن الماضي من تجربة المعمرين في غراسة أشجار الزيتون في مستويين إثنين، تمثل المستوى الأول في تتبع الشجرة على مدار السنة بنزع الأعشاب الطفيلية في فصل الخريف وخاصة بعد نزول الأمطار والقيام بعمليات الحراثة عدة مرات بعد أن كان ذلك لا يتم إلا مرة واحدة طوال سنة كاملة، وفي مستوى ثان إستفاد فلاحو جرجيس من تقنية المحراث الفرنسي، وأصبح بعضهم يستعمل الجرار في عمليات الحراثة بعد أن إستعمل لأول مرة من طرف بعض الشركات الفلاحية الفرنسية المنتصبة بالمنطقة. كما إستفاد هؤلاء الفلاحين من تقنيات الغراسة والتشذيب الصفاقسية فبعد أن كانت المساحة المتروكة بين شجرة وأخرى لا تقل عن 12 إلى 14 من الأمتار أصبحت المساحة المعتمدة 24 مترا، إنطلاقا من قاعدة 24× 24 وبذلك إنخفض عدد الأشجار بالهكتار الواحد إلى 17 شجرة، ولابد من الإشارة إلى أن هذه التقنية الجديدة لم تطبق إلا بداية من سنة 1904، وفي مستوى التشذيب بدأ الفلاح العكاري يعمل على توفير أكثر ما يمكن من الإضاءة لشجرة الزيتون وذلك بإزالة كثير في الأغصان بآستعمال "المنشار" الذي تم توريده من صفاقس، وقد إظهرت هذه الطريقة نجاعتها خاصة في سنوات الجفاف([25]).

إن تنامي غابة جرجيس قد جعل من موسم جني الزيتون من أهم المواسم الإقتصادية المحلية، إذ ينطلق هذا الموسم في منتصف شهر نوفمبر من كل سنة وقد يتأخر إلى بدايات شهر ديسمبر في بعض الأماكن نظرا لتأخر نضج الزيتون ويستمر إلى حدود شهر فيفري أو شهر مارس بحسب الكمية، وقد كان الأهالي يتكفلون بعمليات الجني في سنوات الإحتلال الأولى أما بداية من الثلاثينات فإن هذا الموسم الذي يستقطب إضافة إلى سكان المنطقة – الذين يهجرون أنشطتهم الإقتصادية الأخرى – مجموعات

---

[24]Mzabi(H) la Tunisie du sud est universite Tunis I faculte des sciences humaines et sociales volume xxx 1993 p 211

[25]Bouchard la Culture de l'olivier..opcit p p 244 - 245; Menouillard Zarzis monographie. ..opcit p 155; Douib la région MDES. ..opcit p 73

كبيرة من القبائل المجاورة خاصة في سنوات الصابة، التي يلتجئ أثناءها كثير من الملاك إلى بيع منتجاتهم بطريقة " الخضارة " والمقصود بذلك ببيع كميات الزيتون قبل جنيها من الأشجار. وبعد عمليات الجني التي تشارك فيها أغلب العائلات العكارية بآستعمال الوسائل الضرورية مثل السلالم (الصرافة) والفروش وقرون الأكباش وأدوات الكيل (القلبة والزنابيل)، وبعد القيام بعمليات الجني تنقل كميات الزيتون إلى المعاصر، وقد كانت آداة النقل الرئيسية في القديم هي الإبل إلى أن ظهرت "الكريطة" -وهي عربة مجرورة بواسطة الحيوانات- بإستعمال "الزنابيل" و"الشكاير" في عمليات النقل. وتختص جهة جرجيس في إنتاج ثلاثة أصناف من الزيتون صنفين ثانويين وهما "الزراصي" الذي يعتمد في التقاليد الغذائية و"الشملالي" الذي لا يوجد بكثرة، أما الصنف الثالث أي "الزلماطي" فهو الأكثر إنتشارا بجهة جرجيس والأكثر تحملا للجفاف. وتوجد في جرجيس عدة معاصر كان عددها في نهاية القرن الماضي لا يتجاوز الـ 30 معصرة وهي معاصر تقليدية "تحت أرضية " وقد تطور عدد المعاصر بجرجيس في العشرية الأولى من هذا القرن إلى 80 معصرة تقليدية -تشتغل بواسطة طاقة حيوانية- يملكها الأهالي و5 معاصر حديثة -تعمل بواسطة محرك -على ملك المعمرين ([26])، لكن هذا العدد قد تقلص إلى 19 معصرة سنة 1929 منها 15 تعمل بواسطة محرك والبقية تعمل بواسطة طاقة حيوانية ([27]). وربما يفسر تقلص عدد المعاصر بعجز أصحابها على مواكبة عمليات التحديث وبالتالي عدم القدرة على المنافسة، فقد ذكر "بوشار Bouchard" أن المعاصر التقليدية لا تستطيع توفير إلا 160 لتر من الزيت في اليوم في حين أن المعاصر الحديثة كانت توفر 500 لتر من الزيت بواسطة الضاغطة الواحدة ([28]). لكن عدد المعاصر عاد للإرتفاع في أواسط الخمسينات ليصل إلى قرابة 40 معصرة ميكانيكية حسب ما أشار إليه الضابط "Bellot" تعمل بواسطة "البريسة" حسب تعبير أهالي جرجيس.

ب- غراسة النخيل :

تعتبر شجرة النخيل من الغراسات التي حظيت بآهتمام عكارة عند إنتصابهم بشبه جزيرة جرجيس، إلا أن واحة جرجيس التي تشكلت منذ نهاية القرن التاسع عشر كواحة ساحلية تختلف في نوعية إنتاجها عن الواحات الصحراوية في كل من الجريد ونفزاوة. وقد تطور عدد أشجار نخيل واحة جرجيس كما يلي:

---

[26] Bouchard la culture...opcit p 246
[27]Historiques des affaires indigenes de Zarzis. ..opcitp20
[28] Bouchard la culture...opcit p 247

جدول تطور عدد النخيل بواحة جرجيس ([29]).

السنة	1901	1925	1930	1950
عدد النخيل	61000	115000	130000	119000

لقد شهدت واحة جرجيس تطورا ملحوظا في السنوات الخمسين الأولى بعد إنتصاب الإدارة الإستعمارية بالمنطقة، التي قامت بتشجيع هذا النوع من الغراسات وذلك بحفرها للعديد من الأبار الإرتوازية التي وصل عددها إلى26 بئرا أثناء الفترة المشار إليها ([30]) مكنت ملاك أشجار النخيل من كميات هامة من المياه تتلاءم درجة ملوحتها المرتفعة نسبيا مع طبيعة شجرة النخيل، وكانت الأنواع الموجودة بجرجيس هي "الرطبي"، "التمري " و "العلاقي"، لكن أهالي جرجيس قاموا بتعويض كثير من الأشجار القديمة بغراسات جديدة مثل "اللمسي"، "العقينة "والدقلة، وتم جلب هذه الأنواع من كل جربة وقابس ([31])، وتعتبر منطقة الشريط الساحلي -السويحل، العقلة، صانغو - إضافة إلى منطقة حمادي من أبرز الأماكن التي شهدت تناميا واضحا لأشجار النخيل دون أن يصاحب ذلك إستقرار في مستوى المساحة، التي تجاوز حجمها 2000 هكتار في نهاية القرن التاسع عشر لكن هذا الرقم تراجع مع مطلع القرن العشرين ، ويبدو أن واحة جرجيس كانت أكبر متضرر من " الزحف العمراني " ومن الإمتداد الذي شهده وسط مدينة جرجيس ([32]). كما شمل التراجع مستوى إنتاج الواحة، فقد كانت شجرة النخيل توفر ما بين 10 و50 كلغ من الثمار أثناء العشرية الأولى والثانية من هذا القرن، وقد قدر إجمالي صابة جرجيس من التمور سنة 1925 بـ 10 آلاف طن. و قد كان إنتاج التمور في جرجيس يحتل المرتبة الثانية في الإقتصاد المحلي الفلاحي بعد إنتاج الزيتون أثناء الفترة الإستعمارية و شجرة النخيل كانت تستثمر محليا كمصدر رزق لكثير من العائلات وتعتمد في توفير علف الماشية والإبل، وتستخدم جذوع النخيل في تشييد مراكز السكن مثل "القربي والكوخ " ويستخدمها البحارة في بناء ما يعرف "بالزريبة" في تقنيات الصيد البحري، وهي أنشطة ومزايا إضمحلت لاحقا .

ج-غراسة أشجار التين :

تعتبر شجرة التين من الغراسات الهامة التي حظيت بأهتمام سكان جرجيس منذ أن إستقروا بهذا المكان، مستغلين في ذلك الأجنة القريبة من مقرات السكن. ويذهب" منويار" إلى أن الشريط الساحلي

[29] Historique de Zarzis. ..opcit p18; Menouillard Zarzis monographie. ..opcit p157; Bellot. ..opcit p 11
[30] Historique de zarzis. ..opcit p 35
[31] Violard l'extrème. ..opcit p 51
[32] Mzabi, la Tunisie. ..opcit p 213

الممتد من قصر الزاوية إلى صانغو وهو شريط يتجاوز طوله العشرة كيلومترات قد وقع إستغلاله في غراسة كل من أشجار التين وأشجار النخيل خاصة وأن هذه المنطقة شهدت حفر عدة آبار أثناء إنتصاب الفرنسيين.

وتعرف جهة جرجيس بتنوع أشجارها من التين وهي "المخبش"، "الجبالي"، "البيثر" و" السوودي ". وجلبت شجرة التين إهتمام المعمرين الفرنسيين حيث قام المعمر "بيلي Pellet" في بداية هذا القرن بآستغلال 300 هكتار من الأراضي في غراسة هذا الصنف من الأشجار والقيام بتجفيفه ثم تصديره إلى الأسواق الفرنسية، ويستغل التين من طرف السكان المحليين في كثير من العادات الغذائية، ويتهافت عليه بعض التجار لبيعه لصانعي المشروبات الكحولية ([33]). وبالرغم من عدم إشارة الدراسات والمراجع المعتمدة إلى عدد أشجار التين أثناء الفترة الإستعمارية، فإن هذا العدد لاشك أنه كان مرتفعا نسبيا.

2 - زراعة الحبوب :

إكتسبت زراعة الحبوب إهميتها في الإقتصاد المحلي العكاري من تشكيلها لثاني أبرز عنصر بعد تربية الماشية يقوم عليه إقتصاد الكفاف -أي الإقتصاد القبلي المغلق الموجه للإستهلاك بصفة رئيسية - قبل التدخل الرأسمالي الإستعماري في المنطقة الذي يعمل على توفير الإنتاج من أجل تسويقه وقد إستمرت أهمية هذا النمط الزراعي في الفترة الإستعمارية كذلك، وتراوحت المساحة المخصصة لزراعة الحبوب أثناء هذه الفترة ما بين 20 و24 ألف هكتار، توجد في كل "الهنيشيرات"، " الصلب الغربي"، "الصلب الشرقي"، "برج علوة الغتة" "الزبوزة"، "القرعة القديمة"، "هنشير لوصيف"، "الشوشة"، "الفيض"، "قرعاة الشيح" و"شارب الراجل" ([34]).

و تطلق تسمية "الماشية" على الوحدة القياسية لزراعة الحبوب من الأرض وهي مساحة تقدر بحوالي 10 هكتارات، وكانت الأداة المستخدمة في حراثة الأرض بجرجيس في بداية القرن هي المحراث الداموشي" وهومحراث يقع إستيراده من جهة صفاقس ([35])، وقد إستبدل هذا المحراث بآخر أكثر نجاعة

---

[33] Menouillard Zarzis monographie...opcit p p 157 -158 ; Violard l'exrême. ..opcit p 51

[34] Menouillard Zarzis. ..opcit p 153

- أنظر ايضا Malaquin. ..opcit p 63 الذي أشار أن أراضي عكارة المخصصة لزراعة الحبوب كانت ممتدة إلى الحدود الطرابلسية وهي أراضي شديدة الخصوبة وما كان لهذه القبيلة لتستغلها لولا السلم الفرنسية !!! التي وفرتها الإدارة العسكرية الإستعماربة ويشير "ملكان" إلى أن أراضي عكارة المخصصة لزراعة الحبوب تصل إلى 24 ألف هكتار في حين يشير فيولار إلى أنها في حدود الــ 20 ألف هكتار فقط Violarde...opcit p 51

[35] نعتقد أن الإسم الحقيقي لهذا المحراث " هو المحراث الجاموسي "أنظر Douib la région de Zarzis MDES. ..opcit p87

يسمى "المحراث الفرنسي" "Charrue vigneronne" ([36]). ولا يوجد إتفاق حول الكمية التي يتم بذرها من طرف فلاحي المنطقة أثناء الفترة الإستعمارية ولكن يوجد إجماع على أن هذه الكمية كانت دائما خاضعة لكميات الأمطار التي تنزل في فصل الخريف، لكن الكمية المبذورة عادة ما تصل 30 كلغ من الشعير و20 كلغ من القمح بالنسبة للهكتار الواحد، وهي كميات تبدو ضعيفة إلا أنه يمكن تجاوزها في السنوات التي ترتفع فيها كميات الأمطار، ووصل معدل الإنتاج على مدى ثلاثة سنوات غير منتظمة الأمطار إلى ما بين 12 و24 قنطار من الشعير وما بين 6 إلى 8 قنطار من القمح بالنسبة للهكتار الواحد([37]).

ويخصص إنتاج جرجيس من الحبوب لإستهلاك سكان الجهة أثناء السنوات العادية، أما في السنوات "الصابة" – وهي التسمية التي تطلق على السنوات التي يكون فيها الإنتاج مرتفعا – فإن التجار الصفاقسية وبعض التجار القادمين من مرسيليا بجنوب فرنسا يتهافتون على إنتاج المنطقة المعروف بجودته بعد فتح سوقي جرجيس وبنقردان لهذا الغرض ([38]). وقد وصلت كميات إنتاج الحبوب بجرجيس سنة 1894 وهي سنة ممطرة إلى 255 ألف قنطار من الشعير و31250 قنطارمن القمح، في حين أن حصيلة فلاحي جرجيس من الحبوب لم تتجاوز 1400 قنطارا من الشعير و400 قنطارا من القمح سنة 1922 وهي السنة التي عرفت بقلة أمطارها .

3 – بعض الزراعات السقوية :

من الزراعات السقوية التي عرفت بها جرجيس الذرة البيضاء أو "القصب" حسب التسمية المحلية، وقد أشار الفرنسي "منويار Menouillard " إلى أن هذا النوع من الزراعات كان يحتل الرتبة الثالثة من الثروة الإقتصادية لعكارة في بداية هذا القرن، ويتطلب هذا النوع من الزراعات كميات كبيرة من المياه إذ يتم سقيها كل 4 أو 5 أيام بالإعتماد على مياه الآبار الإرتوازية والآبار العادية، ويقوم عكارة بزرع الذرة البيضاء بالأجنة القريبة من مقرات السكن، وذلك في شهر ماي ، أما حصادها فيتم في شهر سبتمبر، وتعتمد هذه المادة في العادات الغذائية لأهالي جرجيس حيث يقع الإحتفاظ بالجزء الأكبر

---

36 Marty les territoires. ..opcit p 294

37 Malaquin un demi siècle...opcit p 64

– يذهب "عبد المجيد الذويب" إلى أن الفلاح العكاري يقوم بزراعة 12.6 كلغ من القمح و19.2 كلغ من الشعير بالنسبة للهكتار الواحد وهي كميات تزرع سواء كان موسم الحرث جافا أو ممطرا ويتم ذلك مع أول عملية حرث فإذا كانت السنة ممطرة إستفاد الفلاح العكاري من ذلك أما إذا ساد الجفاف فلا تكون الخسارة كبيرة.Douib...opcit p 87

38 Malaquin un demi siècle. ..opcit p 64; - Menouillard Zarzis. ..opcit p 153

من الإنتاج، لكن ذلك لا يمنع بعض الفلاحين من بيع إنتاجهم لتصديره إلى فرنسا، خاصة وأن كمية الإنتاج كانت تتجاوز الـ 3000 قنطار في بعض المواسم ([39]).

4- تربية الماشية :

هي من الأنشطة الإقتصادية التي لازمت المجتمع المحلي العكاري أثناء مختلف مراحل تطوره، لكن لابد من الإقرار بأن إكتشاف العكاري لشجرة الزيتون وتوجيهه إهتمامه إليها منذ منتصف القرن الماضي قد ساهم في تقليص المساحات المخصصة للرعي، مما جعل قطيع الماشية يخضع لعدم الإستقرار من عشرية إلى أخرى كما يظهره الجدول التالي :

جدول تطور عدد قطيع الماشية ([40])

الصنف / السنة	الخيول	الإبل	الحمير	البغال	الأبقار	الماعز	الأغنام
1888	152	1918	1070	-	476	3834	6672
1930	239	2754	1007	11	78	1580	5614
1947	153	3212	1726	3	31	5783	20817
1953	70	2509	970	339	22	3365	12577

5 – التدخل الرأسمالي في النشاط الفلاحي المحلي : مثال ضيعة شماخ:

تعتبر مؤسسة سيدي شماخ نموذجا للتدخل الرأسمالي في مجال النشاط الفلاحي بجهة جرجيس، وقد جاء هذا التدخل مبكرا، فضيعة سيدي شماخ الحالية هي الوريث لثلاثة شركات أحدثها بعض المعمرين الفرنسيين وقد تأسست على التوالي سنة 1909 و1913 و1937 وتراوح نشاطها بين الفلاحة وبعض الأنشطة الصناعية.

– شركة سيدي شماخ : نشأت هذه الشركة في سنة 1909 برأسمال قدره 300 ألف فرنك فرنسي ينقسم إلى 300 سهم بما قيمته ألف فرنك للسهم الواحد، ويضم رأسمال الشركة ما قدره 900 ألف فرنك أرصدة عينة مدفوعة بالكامل و210 ألف فرنك أرصدة نقدية بدفع مؤجل . ومن المتأتيات العينية للشركة مايلي :- أربعة ضيعات بأماكن مختلفة بجرجيس على ملك أحد المساهمين ويسمى "جيكاموبارينتي

[39] Menouillard, Zarzis. ..op.cit, p p 158 - 159 ; Bellot. ..op.cit, p 1
[40] Historique de l'annexe de Zarzis. ..opcit p 39 ; - Bellot. ..op.cit, p 11

Gicamopariente" وهو مقيم بجربة، وتقدر المساحة الجملية لهذه الضيعات الأربعة بـ 1691 هكتارا من الأراضي تحتوي على أكثر 20 ألف شجرة زيتون و5000 شجرة من الكروم وأكثر من 5000 شجرة تين ومائة هكتار من الأراضي البيضاء إضافة إلى منزلين و24 دابة وفرنين لصنع الجير وبعض الأدوات الأخرى وقد وقع تقدير هذه الممتلكات بما قيمته 50 ألف فرنك مما يعطي لهذا الشخص الحق في إمتلاك 50 سهما - عقد دين بحساب 25 ألف فرنك لحساب "هنري شفاليي H.Chevalier" المقيم بطبرقة والذي يشتغل كمهندس في الفنون والطباعة ويسمح له هذا العقد بآمتلاك خمسة وعشرين سهما مدفوعة بالكامل - عشرة أسهم مدفوعة بالكامل هي بمثابة المقابل لأتعاب كل من "قوستان إيميل رولاند" المهندس الفلاحي و"قستان فانسن" الوسيط التجاري. وبلغ عدد المساهمين عند تأسيس الشركة ستة عشر مساهما في الرأسمال النقدي، ويعتبر الأخوان "هنري وبيار شفاليي" صاحبا القدر الأكبر من هذه الأسهم بما قيمته 48 % من مجموع الأسهم وقدرت أسهم "هنري شفاليي" لوحده بـ 86 سهما مما مكنه أن يكون رئيس مجلس إدارة هذه الشركة التي يشارك في أسهمها مساهمين من فئات إجتماعية مختلفة وهم على التوالي مهندسون وعددهم 7 بـ 136 سهما، موظفون بقطاع المالية وعددهم 3 بـ 40 سهما، تجار وعددهم 1 بـ 14 سهما، ملاكون وعددهم 2 بـ 16 سهما، مفوضون إداريون وعددهم 2 بـ 14 سهما محامون وعددهم 1 بـ 10 أسهم . وحددت أهداف هذه الشركة في إستغلال الثروات الطبيعية الزراعية والبحرية والمنجمية ومازاد على ذلك من الوسائل التي تمكن من إحكام هذا الإستغلال. وحدد المقر الإجتماعي لشركة سيدي شماخ بتونس أما مقرها الإداري فقد كان بباريس وحددت المدة الزمنية لنشاطها بـ 60 سنة قابلة للزيادة بـ 15 سنة ويبدو أن شركة سيدي شماخ قد تعرضت لعدة صعوبات مالية مما دفعها إلى الإقتراض من شركة أخرى تعمل في نفس الجهة أي بجرجيس وتسمى "الشركة الفرنسية التونسية العقارية الفلاحية والتجارية" وقدرت ديون شركة سيدي شماخ بـ 411272 فرنك وقد ترتب عن ذلك خسارة هذه الشركة لجزء من أراضيها ودمجها في الشركة المقرضة .

- الشركة الفرنسية - التونسية - العقارية الفلاحية والتجارية : إنعقد الإجتماع التأسيسي لهذه الشركة بمنزل "هـ شفاليي" بباريس وهو المكان الذي إتخذ كمقر إداري لهذه الشركة في 20 مارس 1913، بينما حدد مقرها الإجتماعي بتونس، وقدر رأسمال هذه الشركة بـ 1000000 فرنك مقسمة إلى 1000 سهم قيمة كل سهم ألف فرنك أما المتأتيات العينية فقد قدرت بـ 330000 فرنك وقد إحتوت على العقارت والمنقولات التالية: - قطعة أرض تمسح قرابة ألف متر مربع، مكانها نهج الصادقية بتونس، - مسكن بصدد البناء - ضيعة فلاحية موجودة بجرجيس تمسح 4 آلاف هكتار، منها ألف هكتار مشجرة زيتونا وكروم ولوز، وبها مسكنين ومرعى كبير وقطيع أغنام به قرابة 300 رأس، وهي ممتلكات ترجع إلى "هـ شفاليي" الذي تحصل على 330 سهم بقيمة الف فرنك للسهم الواحد

كمقابل لهذه الأملاك. أما بقية اسهم هذه الشركة فقد توزعت كما يلي : "هـ شفاليي" بـ 645 سهما قيمتها 645000 فرنك، "بيار شفاليي" بـ 5 أسهم قيمتها 5000 فرنك، "نوير" بـ 5 أسهم قيمتها 5000 فرنك، أما بقية المساهمين وهم "جوزيف قفرتو"، "ليون أدمون"، "موريس أرنست"، "رولان قستان" "ريتشارد أناقول" فلكل واحد سهم واحد بقيمة ألف فرنك. ويكون بذلك مجموع الأسهم 670 سهما قيمتها 670 ألف فرنك، ويعتبر هـ.شفاليي" أكبر مساهمي هذه الشركة بـ 975 ألف فرنك منها 330 ألف أملاك عينية و645 ألف مساهمة نقدية مما جعله يستحوذ على 97.5 % من رأسمال هذه الشركة، في حين لم يتجاوز رأسمال بقية المساهمين 2.5 % ([41])، وقد جاء في محضر الجلسة التأسيسية أن رئيس هذه المؤسسة هو "هـ شفاليي" وكاتبها العام هو "بـ شفاليي"، ويتكون مجلس الإدارة من الشخصين المذكورين و"هنوير وبيث" وعين "رولان" مديرا للشركة بتونس، أما مسؤولية الإشراف على أملاكها فقد أنيطت بعهدة "جوزيف قفرطو" المقيم بجرجيس. وحددت مدة الشركة بـ 60 سنة قابلة للتجديد أما اهدافها فقد جاءت متشابهة مع أهداف شركة سيدي شماخ خاصة وأن بعض المساهمين يشتركون في كلا الشركتين اللتان تخضعان لإشراف نفس الشخص وهو "هـ شفاليي" وعلى عكس الشركة الأولى فإن "الشركة الفرنسية التونسية العقارية الفلاحية والتجارية" قد كانت تحصل على أرباح بصفة مستمرة مما مكنها من إستيعاب شركة سيدي شماخ ([42]).

– الشركة التونسية لزياتين سيدي شماخ : هي نتاج لقرار الدمج بين "شركة سيدي شماخ" و"الشركة الفرنسية – التونسية العقارية الفلاحية والتجارية"، وقد إتخذ هذا القرار من طرف مجلس إدارة الشركة الثانية بعد أن تجاوزت مستحقاتها من الديون المتخلدة بذمة الشركة الأولى قرابة 200000 فرنك. وتعتبر عملية الدمج شكلية إلى حد ما، فشركة سيدي شماخ لم تكن سوى وجها آخرا من وجوه الشركة الفرنسية – التونسية...الخ، يبرز ذلك من خلال اشتراك أغلبية أعضاء مجلس الإدارة والمساهمين في كلا الشركتين المندمجتين وخضوع الإشراف لنفس الأشخاص في كل من جرجيس وتونس، إضافة لنفس المقرات الإدراية والإجتماعية بتونس وباريس، لذلك لم يجد مجلس إدارة الشركة الفرنسية التونسية أية صعوبات في إتخاذ قرار الدمج الذي أعلن في إجتماع عام خارق للعادة للأعضاء المساهمين، انعقد بمقر الضيعة بسيدي شماخ بجرجيس يوم 24 ديسمبر 1937، أين أعلن عن بعث المؤسسة الجديدة التي حملت إسم "الشركة التونسية لزياتين سيدي شماخ" "برأسمال قدره 1.250.000 فرنك، وأصبح رئيسها

---

41 – لقد وردت هذه المعلومات بكراس محاضر جلسات مجلس إدارة هذه الشركة الذي كان ينعقد بصفة غير دورية بباريس وتحتوي هذه الكراس على كل محاضر الجلسات التي إنعقدت بين 20 مارس 1913 و12 أكتوبر 1938 – وقد سلمنا هذه الكراس التي تحتوي معلومات هامة يمكن توظيفها في دراسة خاصة بضيعة شماخ أحد المعمرين.

42 محاضر جلسات مجلس إدارة الشركة الفرنسية – التونسية العقارية الفلاحية والتجارية.

بداية من هذا التاريخ المهندس الزراعي "بيار شفاليي" وكاتبها العام "جنفياف شفاليي Genevieve "Chevalier ([43]).

و قد ورثت الشركة الجديدة ما لا يقل عن 10000 هكتار من الأراضي، إعتمد جزء كبير منها لغراسة الزياتين التي فاق عددها 60000 أصل زيتون، أما الجزء الآخر فقد وقع إعتماده في زراعة الحبوب وغراسة بعض الأشجار المثمرة وتربية الماشية، وأصبح من ممتلكات هذه الشركة معدات متطورة تستخدم في صناعة الزيت خاصة بعد أن وقع إنشاء مصنعي "الفاتورة والصابون" إستجابة لبعض القرارت المتخذة في الإجتماع العام الخارق للعادة ([44]).

III – التحولات في قطاع الصيد البحري

1 – صيد الإسفنج :

عرفت جرجيس بهذا الصنف من الإنتاج البحري لمدة لا تقل عن القرن من الزمان وقد إستقطبت المنطقة البحارة الأجانب المختصين في صيد الإسفنج منذ سنة 1875 مثل المالطيين والإيطاليين، وبعض المجموعات المحلية الأخرى بعد أن كان النشاط البحري محتكرا من طرف عرش أولاد بوعلي . إن الاهتمام المتزايد بالنشاط البحري بصفة عامة وبصيد الإسفنج خاصة بجهة جرجيس منذ القرن الماضي يعود إلى طول سواحل هذه المنطقة – قرابة 140 كلم – و إلى جودة إنتاجها البحري ولم يكن نشاط بحارة جرجيس مقتصرا على السواحل المذكورة بل كانوا يصلون إلى قرى الساحل (خنيس، المهدية والشابة إضافة إلى صفاقس وقرقنة وسواحل طرابلس وزوارة... الخ).

لقد أحصى الفرنسي"منويار Menouillard" وجود ما بين 200 و250 مركب مختصة في صيد الإسفنج بجرجيس في العشرية الأولى من القرن العشرين ([45]). وتتميز المنطقة بوجود عدة أنواع من الإسفنج مثل الحجامي والقرقني والجربي والكماكي الجرجيسي الذي يعتقد أنه الأكثر جودة من بين اصناف الإسفنج. وكان بحارة جرجيس يستخدمون بعض وسائل صيد الإسفنج التقليدية والمتمثلة في طريقة الشوكة الثلاثية Trident التي ترتبط بثلاثة "عصي Perches " يبلغ طول الواحدة من خمسة إلى عشرة أمتار، وعادة ما تحتوي المركب على عدة شوكات ثلاثية ومرآة "مراية" يكون قطرها 30 سم

---

[43] محضر جلسة الإجتماع العام الخارق للعادة الذي إنعقد بجرجيس في 24 ديسمبر 1937 ضمن كراس محاضر الجلسات مرجع مذكور سابقا.

[44] Historique de Zarzis. ..opcit p 41 ;

محضر جلسة الإجتماع الخارق للعادة مذكور سابقا.

[45] Menouillard, Zarzis. ..opcit p 160

وطولها 40 سم وهي تقنية جلبها إلى جرجيس بعض البحارة اليونانيين. ولكي يتمكن البحارة من صيد الإسفنج لابد من توفر بعض الشروط مثل صفاء مياه البحر، وأن لا تبدأ عملية إلتقاط الإسفنج بعد طلوع الشمس حتى يصبح عمق البحر واضحا، ويوجد على كل مركب ثلاثة أفراد وهم "الرايس" وإثنان من البحرية يقومان بعملية التجديف أما عملية إلتقاط الإسفنج فيتكفل بها "الرايس Harpeneur" ولكن هذه الطريقة ليست الوحيدة في صيد الإسفنج لدى بحارة جرجيس، فقد كان البعض منهم يستعملون طريقة "الكركارة Gangave" إقتداء بالبحارة اليونانيين والمالطيين وطريقة الغطس حيث يبقي الغطاس مدة زمانية تتجاوز ثلاثة دقائق في عمق بحري يتجاوز 30 متر، وهي طريقة تنطوي على أخطار كبيرة. ويختص بحارة عكارة في إنتاج الإسفنج الأسود الذي لا يخضع لعملية تنظيف وذلك خلال موسمين، يمتد الموسم الأول من شهر أكتوبر إلى شهر أفريل ويكتفي بحارة جرجيس في هذه الفترة بالصيد في المناطق المتاخمة لبحيرة البيبان والقريبة من جرجيس، أما الموسم الثاني الذي يوصف بأنه الأقل أهمية فيمتد على كامل فصل الصيف وتكون مواقع صيد الإسفنج في هذه الفترة هي سواحل قرقنة وصفاقس والساحل ([46]). وبالرغم من غياب الأرقام المتعلقة بكميات الإنتاج أثناء بعض الفترات التاريخية والتى نجد تعويضا لها بقيمة كمية الإنتاج بالفرنك ، فإن إنتاج الإسفنج بجرجيس قد شهد تطورا كبيرا منذ بداية القرن كما يتبين من خلال الجدولين التاليين ([47]).

- جدول تطور كميات الإسفنج بالكلغ

السنة	1901	1910	1920	1929
كميات الإسفنج	800	1038	4695	3700

- جدول تطور قيمة الإنتاج بالفرنك :

السنة	1905	1910	1929	1950	1955
القيمة المالية..	1550 فرنك	6608 فرنك	6613 فرنك	19751 فرنك	7922 فرنك

[46] Cherif (Abdallah) la peche à Zarzis approche socio- economique et spatiale in la pêche cotière en Tunisie et en Mediterranee centre d'etudes et de recherches economiques et sociales Tunis 1995 P 244
- Menouillard Zarzis. ..opcit p p 160 - 161، - Historique de Zarzis. ..opcit pp 22-23

[47] إعتمدنا في صياغة هذين الجدولين على مايلي :
لونيسي (عبد الرحمان) أحد ملامح الأنشطة الإقتصادية بجهة جرجيس تطور قطاع الصيد البحري بجهة جرجيس 1887 – 1929 ضمن كتاب شبه جزيرة جرجيس. ..مرجع سابق ص – ص 56 – 58
- Historique de Zarzis. ..opcit p 22
- Douib, La région de Zarzis MDES . ..opcit p 10

إن المعطيات الواردة في هذين الجدولين – بالرغم من النقص الذي تحتويه – تبين الإرتفاع التدريجي في كميات الإنتاج أثناء الفترة الإستعمارية وقد حصل ذلك رغم تقليدية الوسائل المعتمدة، وقد إتجهت كميات الإنتاج إلى الإنحدار، فقد تأثر إنتاج الإسفنج في الفترة الإستعمارية بالضرائب التي كانت تثقل كاهل صيادي الإسفنج والتي إرتفعت من 30 فرنك إلى 75 فرنك في السنة بالنسبة لكل مركب مختصة في صيد الإسفنج الأسود. كما تأثرت كميات الإنتاج بمضاربات بعض التجار بسوق الإسفنج بقصر الشلبة بجرجيس، إذ أن عائد البحار عادة ما يكون ضعيفا إذا لم يكن منعدما نظرا لديونه المرتفعة لدى تجار الإسفنج خاصة وأن الكمية المنتجة تقسم إلى خمسة حصص، حصتين للرايس وحصة للمركب وحصة لكل بحار.

2 – صيد الأسماك:

رغم ما تعرف به منطقة جرجيس من وفرة ثروتها السمكية وجودتها وطول سواحلها المستغلة في قطاع الصيد البحري عامة، فإن إهتمام صياديها بصيد الأسماك بقي ضعيفا طيلة النصف الأول من القرن العشرين ، يبرز ذلك من خلال ضعف عدد المراكب المختصة في صيد الأسماك التي لم يتجاوزعددها 6 سنة 1887 من بين 130 مركب وأصبح هذا العدد 10 من بين 250 مركب صيد أثناء فترة الثلاثينات من نفس القرن([48]).

وكما هو الشأن بالنسبة لصيد الإسفنج، فإن صيد الأسماك بجرجيس كان محتكرا من طرف أفراد عرشي "أولاد بوعلي والزاوية" من عكارة طيلة الفترة الإستعمارية وما قبلها. ويمكن تفسير عزوف النسبة الغالبة من بحارة جرجيس على صيد الأسماك بضعف المردوية المادية لهذا الصنف من الإنتاج البحري وصعوبة تسويقه في المناطق المجاورة لعدم استعمال السمك في العادات الغذائية. لكن هذا القطاع سيشهد بداية تحول مع مطلع الخمسينات وسيستفيد من التطور الحاصل في مستوى البنية الأساسية وخاصة الطرقات إضافة إلى تطور قطاع النقل الذي سيمكن من ترويج أسماك جرجيس في العاصمة وبعض المدن الكبرى ([49]). و تنقسم المراكب المستخدمة بجرجيس إلى صنفين رئيسين، يتمثل الصنف الأول في المراكب التقليدية وهي مراكب شراعية إستخدمها بحارة المنطقة منذ نهاية القرن الماضي سواء في صيد الإسفنج أو في صيد الأسماك، وقد أشرنا إلى أن عددها قد إرتفع من 130 مركب في نهاية القرن الماضي إلى 250 مركب في بداية الثلاثينات، ثم سجل تطورا جديدا

---

[48] Bailly...opcit p 61 , historique de Zarzis. ..opcit p 21
[49] Douib, La région de Zarzis MDES. ..opcit p 103

ليصل إلى 400 مركب سنة 1940 وبداية من هذا التاريخ لم يعرف عدد المراكب الشراعية استقرارا كما أنه لم يتجاوز الحد الذي وصل إليه سنة 1940.

3 - دور بحيرة البيبان في تنمية الثروة السمكية بجرجيس :

يصل طول بحيرة البيبان إلى 35 كلم ولا يتجاوز عرضها 10 كلم وتقدر مساحتها ب23 ألف هكتار ويمكن أن تصل إلى 30 ألف هكتار عندما تشمل المياه الجزء الشمالي الغربي من "سبخة بوجمل". ويفصل البحيرة عن البحر تل مستطيل يسمى الصلب، ينقسم إلى جزئين وهما الصلب الغربي أو الصلب الدخلاني والصلب الشرقي أو البراني، وبين الصلبان توجد مجموعة من المداخل المائية تسمى البيبان كما توجد جزيرة صغيرة تحمل نفس الإسم، وتقول "زوالي Zaouli" أن البيبان هي أبرز بحيرة تونسية تستقطب الأسماك المهاجرة وتحتوي أجود الأنواع ([50]). كانت بحيرة البيبان قبل مجيء الإستعمار الفرنسي إلى المنطقة مستغلة من طرف البحارة المحليين الذين كانوا يروجون إنتاجهم ببعض المناطق المجاورة الطرابلسية منها (زوارة، طرابلس) . قامت الإدارة الإستعمارية بتأجير بحيرة البيبان بداية من شهر ديسمبر سنة 1896 إلى مستثمرين فرنسيين هما " ديس Deiss" و" دومانج Dommange"، قاما في سنة 1899 ببعث شركة خفية الإسم تقوم بأستغلال أسماك البحيرة وترويجها، تحول البحارة من الأهالي إلى مستأجرين لدى هذه الشركة بعد إنتزاع مصايدهم البحرية وإحداث عدد من المصايد الأخرى وإدخال تجهيزات جديدة من أجل التبريد وإقتناء سفينة كبيرة لحمل الأسماك من البيبان إلى صفاقس ثم نقلها وترويجها بتونس أوتصديرها إلى بعض الأسواق الأروبية. لكن هذه الشركة إنتهت إلى الإفلاس نظرا لتدانيها وضخامة الضرائب التي كانت تؤديها.

وبين سنة 1902 و1906 تم كراء البحيرة من طرف ثلاثة أشخاص بالتداول إنتهوا جميعا إلى التخلي عن عملية الكراء، وبين سنة 1907 و1913 قام بكراء البحيرة مستثمر فرنسي يدعى " بايل Bayel" وأنشأ بها مصنعا لتصبير الأسماك وهو مشروع إنتهى بدوره إلى الفشل لتسوغ البحيرة إلى أحد الأهالي الذي قام ببيع كل ما تركه سابقوه من تجهيزات ليكتفي بترويج الأسماك بالمناطق المجاورة. وبداية من سنة 1924 أصبحت البحيرة مستغلة من طرف " الشركة الفرنسية للمصايد التونسية" وبالرغم من النجاح

---

[50] Zaouali (J) La mer des bibans : Etude écologique et socio-économique, in la pêche côtière. .. opcit p 64

- يمكن الرجوع أيضا لدراسة نفس الكاتبة التي تحمل عنوان :

-La mer des bilans (Tunisie meridionale) aperçu General et problème de la pêche in l'homme mediterraneen et la mer actes du troisième congrès international d'études de cultures de la Méditerranée occidentale Jerba, Avril 1981 institut national d'archeologie et d'art de Tunis 1985 p 302.

النسبي الذي حققته هذه الشركة وتمكنها من الرفع من عملية الإنتاج فإن عقد الكراء قد إنتهي سنة 1945، لتقوم إدارة الأشغال العامة بتسويغ البحيرة إلى المستثمر الإيطالي "بيزاني Pisani"، الذي إستمر إستغلاله للبحيرة إلى سنة 1958 تاريخ تحول الإدارة وأحقية الإستغلال "إلى الديوان القومي للصيد البحري "و بالتالي تونسة البحيرة ([51]). وقد كان معدل إنتاج البحيرة ما بين سنة 1898 و1961 كما يلي([52]) :

الفترة الزمنية	1903-1898	1913 - 1904	1923-1914	1933 - 1924	1943 -1934	1953-1944	1961 -1954
معدل الإنتاج (طن)	122.4	76.5	73	192.7	146.9	144.4	585.2

لا شك أن معدل إنتاج الأسماك بالبحيرة قد شهد تطورا ملحوظا بالرغم من الإنحدار الذي شهده في بعض الفترات وخاصة فترتي 1904 - 1913 و 1914 - 1923، ويبدو أن مستثمري البحيرة أثناء العشريات الأربعة الأولى من إنتصاب الإدارة الإستعمارية لم يستفيدوا من الكمية الهائلة من الأسماك التي تدخل البحيرة سنويا سواء فيما يتعلق بطرق الإستغلال أو في مستوى مسالك الترويج إضافة إلى إبتعاد الأسواق الكبرى في تونس وصفاقس، وكذلك بسبب ضعف الكثافة السكانية في تونس وبالتالي إنعكاسها على عملية الإستهلاك، إن التحسن في البنية الأساسية في مستوى النقل وتجهيزات التبريد المتطورة سينعكس إيجابيا على إنتاج البحيرة أثناء فترة كراء البحيرة من طرف "الشركة الفرنسية للمصائد التونسية" وكذلك بعد تسويغها من طرف المستثمر بيزاني .

4 – مجتمع البحارة:

أ- **بجرجيس** : إن إختصاص جزء من أهالي جرجيس في النشاط البحري منذ أكثر من قرن قد أدى إلى بروز تقاليد مرتبطة بالنشاط البحري من ناحية وإلى تطور تدريجي في عدد البحارة من ناحية

---

[51] لونيسي أحد ملامح الأنشطة الإقتصادية. ..مرجع سابق ص ص 49 - 50 ؛
- Bellair - Baudier (René) La pêcherie des bibans, in bulletin économique et sociale de la Tunisie N° 92 septembre 1954 p 44 ;
–Anonyme ; l'industrie des pêches en Tunisie, bulletin de l'industrie de pêches sur les cotes Tunisiennes N°:4 Juin 1920 p 110 ;
-Zaouli, La mer des bibans, Etude...opcit p 70.

[52] قمنا بصياغة هذا الجدول بالإعتماد على: لونيسي أحد ملامح. ..مرجع سابق ص 51 ؛
- Bellair - Baudier la pecherie. ..opcit p 47 ;
- Douib Zarzis MDES... opcit p 112 ;

أخرى. لقد قدر عدد بحارة جرجيس في بداية هذا القرن (سنة 1905) بـــ 315 بحار وإرتفع هذا العدد ليصل إلى 717 سنة 1930 ([53]).

لقد كان أغلب أفراد مجتمع البحارة ينتمون إلى عرش أولاد بوعلي بصفة خاصة وعرش الزاوية بصفة ثانوية . وتبين الأرقام المتعلقة بإحداث "عام القارب" المتمثلة في الإنفجار الذي وقع على وجه الصدفة و راح ضحيته 37 شخصا وجرح 19 آخرين كلهم من البحارة وإحتراق 20 مركبا ، ويقدر 83 % من بين البحارة المتوفين من عرش أولاد بوعلي و75 % من الجرحى هم من نفس الفريق أما النسب المتبقية فيتقاسمها البحارة من عرش الزاوية ومن الجرابة الذين يشتغلون ببحيرة البيبان ([54]).

ب – **بالبيبان** : لقد آثرنا تناول مجتمع بحارة البيبان بصفة مستقلة عن جرجيس بالرغم من أنه جزء منها لأن البيبان تتكون من البحارة فقط فهي قرية بحرية، تقول الرواية الشفوية المحلية أن مؤسسها الأول هو "الولي سيدي أحمد شاوش" الذي يوجد ضريحه بجزيرة البيبان، المعروف بورعه وتقواه والقيام بحمل الحجاج على المراكب إلى طرابلس، وهو قبلة لكثير من الزوار. وبالرغم من أن هذه الرواية لا تشير إلى أحفاد هذا الولي، فإن كثيرا من متساكني قرية البيبان هم من أصول جربية كما هو الشأن بالنسبة إلى كثير من زواره. لقد نشأ مجتمع بحارة البيبان حول هذا الولي وهو خليط من السكان الجرابة وعكارة و التوازين، وقد كان بحارة البيبان ولمدة لا تقل عن القرن يعيشون على الجزيرة التي تحمل إسم القرية ويقومون بإستغلال الثروة السمكية التي توجد بالبحيرة إلى أن إنتصبت الإدارة العسكرية الإستعمارية وقامت بالإستيلاء على البحيرة المذكورة وقامت بتحويلها إلى ملك للدولة الإستعمارية وهو ما أثار إحتجاج بعض البحارة بعد أن فقدوا مصايدهم البحرية (الزرايب) التي كانوا يستغلونها ([55]). وبالرغم من أن بعض الدراسات المنشورة في أواخر الفترة الإستعمارية ترى أن بحارة البيبان كانوا يعيشون في "قريتهم الفاضلة" من حيث نوعية السكن وطريقة العيش ومستواه وتربية الأطفال وتدريسهم ومصادر المياه...الخ ([56])، فإن ذلك لا يعد أن يكون مجرد دعاية إستعمارية، إذ أن بحارة البيبان قد تحولوا في البداية من ملاك داخل بحيرتهم إلى أجراء ثم أصبحوا يعانون الفاقة بسبب إستغلالهم من طرف الشركات التي قامت بكراء البحيرة.

---

[53] لونيسي أحد ملامح الأنشطة. ..مرجع سابق ص 57
- Unites de développement de zarzis 1961 – 1971 S E M – AN Tunis juin 1963 p 3

[54] أنظر الجزء الثاني من دراستنا قراءة في علاقة مجتمع عكارة. ..مرجع سابق ، الأرشيف الوطني التونسي سلسلة E صندوق 393 ملف 1 – 2

[55] أنظر الأرشيف الوطني التونسي السلسلة E صندوق 396 ملف عدد 6

[56] Bellair - Baudier la pecherie. ..opcit p 53.

IV – الأنشطة الصناعية، الحرفية والتجارية

1 – النشاط الصناعي – الحرفي :

أ- **دور سبخة المالح في ظهور صناعة تحويلية محلية :** تمسح سبخة المالح التي لا تبعد سوى 10 كلمترات عن جرجيس حوالي 300 كلم² وتحتوي على طبقة ملح ذات طابع منجمي يقدر سمكها بما بين 15 متر في الأطراف و30 متر في الوسط. لقد جلبت سبخة المالح إهتمام التجار منذ القديم وهو ما ورد في بعض كتابات الرحالة كما أشرنا إلى ذلك سابقا، وفي بداية الفترة الإستعمارية قام بعض المعمرين بكراء السبخة وإستغلال ملحها، وإستمرت عملية الإستغلال إلى سنة 1913 تاريخ إبرام عقد بين الإدارة الإستعمارية وشركة "جرجيس" وبموجب هذا العقد أصبحت هذه الشركة تستغل أملاح هذه السبخة ومشتقاتها. و بما أن أملاح سبخة المالح تحتوي على كميات كبيرة من المواد الكيمائية مثل البروم والبوتسيوم والمانيوزيوم مما يمكنها من إحتلال المرتبة الثالثة في العالم بعد سباخ الولايات المتحدة الأمريكية والبحر الميت، فإنها ستستخدم في التجارب التصنيعية التي إنطلقت أولاها سنة 1916-1918، وقد تزامن ذلك مع انطلاقة الحرب العالمية الأولى وذلك بإنشاء "مصنع غاز البروم المخنق" بمنطقة "حنيش" التي تبعد عن جرجيس قرابة 25 كلم، وقد تطلب ذلك إنشاء سكة حديدية تربط المصنع بميناء جرجيس لإستقبال الكميات الكبيرة من الفحم الحجري المطلوبة لعملية التشغيل ولإرسال كميات الغاز إلى فرنسا، وقد تراوحت الطاقة الإنتاجية لهذا المصنع ما بين 2 و3.8 طن يوميا. وكانت كميات البروم المستخرجة في هذه الفترة ما بين 500 و1133 طن سنويا.

واستمر نشاط هذا المصنع إلى بدايات سنة 1919 تاريخ توقف الحرب العالمية الأولى. وكانت الإدارة الإستعمارية أنشأت في نفس الفترة مصنعا ثانيا قرب المصنع الأول لإستخراج مادة البوتاس الذي قدرت طاقته الإنتاجية بـــ 60 ألف طن سنويا، لكنه سرعان ما توقف عن العمل خاصة بعد أن رفضت شركة صنع البوتاس الألزاسية الفرنسية إستغلاله نظرا للتكاليف الباهضة لنقل هذه المادة، لكنها عادت في الفترة ما بين 1946 و1949 المتزامنة مع إنطلاقة تجربة الإستغلال الثانية وذلك بتكوين لجنة حملت إسم "لجنة جرجيس" الهدف منها القيام بدارسة جيولوجية تفصيلية حول سبخة المالح وإمكانيات إستغلال مادة البوتاس بهذه السبخة وقد إستمر عمل هذه اللجنة إلى شهر ماي من سنة 1949 تاريخ وضع حد لأعمالها، وقد جاء في تقريرها إلى مجلس إدارة الشركة الألزاسية لصنع البوتاس أن مدخرات سبخة المالح من البوتاس وارتفاع سعر التكلفة تمثل عوائق رئيسية أمام إستغلال هذه السبخة ([57]).

[57] L'exploitation des sels de la sebka meleh, in unités de développement... op cit, pp b1 b12 ;

ب – **صناعة الزيت** : لاشك أن صناعة الزيت هي أقدم صناعات جهة جرجيس نظرا لإرتباطها بغراسة الزياتين، النشاط المركزي في الإقتصاد المحلي وقد أشرنا إلى أن جهة جرجيس قد شهدت تطور كميا ونوعيا في مستوى مصانع الزيت المعروفة بالمعاصر، تمثل التطور الكمي في إرتفاع عدد المعاصر بالمنطقة، بالرغم من أن هذا الإرتفاع لم يكن متواصلا بصفة مستمرة، أما التطور النوعي فقد تمثل في التحديث الذي عرفته بعض معاصر جرجيس اثناء الفترة الإستعمارية . وترتبط بصناعة الزيت بجرجيس صناعة تحويلية أخرى هي صناعة تحويل الفاتورة (Grignons) التي تستخدم في صناعة الصابون. وشهدت جرجيس أول وحدة صناعية من هذا النوع في بداية الأربعينات، تم بعثها من طرف "الشركة التونسية لزياتين سيدي شماخ"، قدر إنتاجها من مادة الصابون بـــ 600 ألف كلغ سنويا، ويسمى هذا النوع من الصابون "الجربوع" ويصنف ضمن الأنواع الجيدة.

ج – النشاط الحرفي :

– الحرف النسيجية : مثلما هو الشأن بالنسبة لمناطق أقصى الجنوب التونسي فإن الأنشطة النسيجية شكلت أول نشاط حرفي بجرجيس، ويبدو أن أقصى الجنوب التونسي ببدوه ومستقريه – أثناء الفترة الإستعمارية وما قبلها – استطاع الحفاظ على الأنشطة النسيجية وملاءمتها لوضعه مستغلا المادة الأولية المتمثلة في صوف الأغنام ووبر الإبل وشعر الماعز. ومن أهم المنتوجات النسيجية بجرجيس ما يلي :

– الوزرة : هي عبارة عن آزار يقع نسجه من الصوف، طوله خمسة أمتار وعرضه متر واحد تقريبا، وهو لباس رجالي يستعمل فوق الملابس العادية وعادة ما تحمل الوزرة لونا رماديا.

– الحولي : هو لباس قديم يرجعه البعض إلى زمن "إبن خلدون" وينتشر إستعماله في البلاد الطرابلسية وفي المغرب، له نفس خصائص الوزرة من حيث الطول والعرض إلا أنه غير سميك ويكون لونه أبيض، يرتديه أهالي جرجيس أثناء المناسبات الشتوية وعند إقامة صلاة الجمعة.

– البرنوس : له جذور بربرية وهو كثير الإستعمال بمناطق أقصى الجنوب التونسي يتكون من الصوف الطبيعي وكثيرا ما يميل لونه إلى الإحمرار.

وتصنف هذه الأنواع النسيجية ضمن اللباس الرجالي الذي يمكن أن نضيف إليه بعض المنتوجات الصوفية الأخرى مثل الكشابية والكدرون والجبة، أما المنتوجات الصوفية النسائية فتتمثل فيمايلي :

– البخنوق : هو لحاف يوضع فوق الرأس، يصنع من الصوف، كان لونه أسود ثم أخذ ألوانا أخرى مختلفة، وهو من المنسوجات التي توضع ضمن جهاز العروس.

– العصابة : هي قطعة طويلة من نسيج صوفي لونه أسود تعصب بها المرأة رأسها

– الملحفة : وهي آزار من قماش أسود أو أزرق تلتحف به المرأة ويثبت على صدرها بواسطة الخلال وتربطه تحت بطنها بالحزام.

من الأنسجة الأخرى التي وجدت إهتماما لدى اهالي جرجيس الوسادة التي تصنع من قماش مشابه لذلك المستعمل في صنع الخيام، وتطرز بخيوط من الصوف ذات ألوان مختلفة. و"الكليم" و"المرقوم" و"الحمل" وهي منسوجات ذات أصول بربرية وطرابلسية وهي عبارة عن آزارات عريضة ملونة وتستعمل لفرش الأرض، وقد تطور المرقوم ليصبح من أكثر الزرابي التونسية شهرة. ويمكن أن نضيف إلى ذلك "الفليج" وهو عبارة عن آزارات من القماش تستخدم في صنع الخيمة والغرارة وهي كيس يصنع من وبر الإبل والصوف وتستخدم في خزن بعض المواد مثل الحبوب ([58]). ومن الأدوات المستعملة في إعداد المنسوجات الصوفية يمكن أن نشير إلى المغزل والقرداش والنول وهي أدوات معروفة بجرجيس إلى اليوم رغم ما تتميز به من قدم.

لقد خضعت الأنشطة الحرفية النسيجية بجرجيس إلى تقسيم جنسي، فقد عرفت جرجيس إنتشار أدوات نسيجية منزلية تستخدمها النساء اللواتي يرتكز إختصاصهن على إعداد بعض المنسوجات مثل "الغرارة" و"الحمل" و"الفليج" و"الكليم" المرقوم"، إضافة إلى إعداد المادة الأولية لصناعة المنتوجات الرجالية وقد إستمر هذا النشاط إلى بداية الستينات حيث تشير بعض الأرقام – وهي الأرقام الوحيدة التي عثرنا عليها والمتعلقة بالحرف النسيجية المنزلية– إلى أن العدد الجملي للورشات النسيجية المنزلية قدر بما بين 100 و150 أما الطاقة الإنتاجية فقد قدرت بـــ 10 حمل و12 غرارة و15 فليج ([59]).

وعلى عكس الحرف النسيجية المنزلية النسوية، فإن أغلب ورشات النسيج الخارجية (الدكاكين) بجرجيس إرتبطت بأسماء بعض اليهود والجرابة وحدد عددها في نهاية الأربعينات بـــ 45 ورشة وآرتفع هذا العدد في بداية الستينات ليصل إلى 50 ورشة موزعة بكل من المؤانسة،جرجيس، السويحل وخوي

---

[58] Zaied, Le monde des Ksours. ..opcit p p 130 - 131 - 132

– المرزوقي مع البدو في حلهم و ترحالهم الدار العربية للكتاب 1984 ص ص 240 و242 و248

[59] Unités de développement. ..opcit p 43

الغدير، وتقدر الطاقة الإنتاجية للورشة الواحدة بآنتاج 6 بطانية و8 وزرة كل 6 أشهر وتختص هذه الورشات في صنع بعض المنسوجات الأخرى مثل الحولي والبرنوس(60).

- بعض الأنشطة الحرفية الأخرى : لقد عرفت جهة جرجيس بعض الأنشطة الحرفية الأخرى منها الخشبية والتي إرتبطت بالنشاط الفلاحي. ومن الأدوات الخشبية التي يقع تصنيعها محليا الجوانب الخشبية من المحراث والمنجل والغربال، إضافة إلى "كتب الإبل" وبعض الأدوات المنزلية، ومنها الحديدية التي يختص في صنعها الحداد كسكة المحراث والمنشار، ومنها مواد البناء مثل الجير وكذلك صناعة الفحم عن طريق تقنية محلية تسمى "المردومة". كما عرفت جرجيس صناعة الحلي (و بالرغم من أننا لم نتوصل إلى تحديد فترة إنتشار هذا النشاط بجرجيس) فإنه بالإمكان الربط بين صناعة الحلي وتواجد اليهود بالمنطقة والذي تزامن مع بداية انتصاب الإدارة الإستعمارية الفرنسية.

2 – النشاط التجاري

عرفت جهة جرجيس نوعا من الإنفتاح الإقتصادي المبكر وذلك بآرتباطها بآقتصاد السوق منذ بداية الفترة الإستعمارية وقد ساعد على ذلك تواصلها المباشر مع البحر، فإضافة لمراكب الصيد البحري التي كان يحتويها ميناء جرجيس، فقد كان هذا الميناء يستقبل كثير من المراكب التجارية التي تقوم بنقل البضائع والأشخاص من وإلى جرجيس ومن ذلك بعض المراكب والبواخر التابعة لبعض الشركات، نذكر منها "شركة الملاحة الوطنية" (تشرف عليها الحكومة الفرنسية) التي تؤمن خدمات النقل البحري للأشخاص والبضائع بين موانىء مرسيليا، تونس، صفاقس، قابس، جربة، جرجيس، طرابلس...الخ. وكانت بواخر هذه الشركة تدخل ميناء جرجيس ثاني ورابع كل يوم إربعاء من كل شهر، و شركة "سمامة لجادير" التي كانت تؤمن نقل الركاب والبضائع مرة كل شهر بين كل من تونس، جرجيس، جربة، قابس، صفاقس، سوسة ثم تونس، وإضافة إلى ذلك كانت بعض المراكب التي يملكها بعض أفراد عكارة والتي تتسع حمولتها لما بين 5 و10 برميلا، تؤمن عمليات النقل مع بعض الموانىء الساحلية القريبة من جرجيس وخاصة جربة وقابس وصفاقس.

ورغم التطور الإقتصادي الهام الذي عرفته جرجيس وخاصة في القطاع الفلاحي إبان الفترة الإستعمارية فإن البضائع المصدرة والموردة من ميناء جرجيس قد تراوحت ما بين 7700 طن من الصادرات و12900 طن من الواردات فقط أثناء هذه الفترة، وقد يُعزى ذلك إلى عدة أسباب نذكر منها

60 Bellot...opcit p 12; - Unites de developpement. ..opcit p 43.

محدودية السوق المحلية وتطور وسائل النقل البري التي تمكن من إيصال البضائع إلى سكة الحديد بقابس أو إلى مينائي قابس وصفاقس ([61]).

إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن هذه الأرقام لا تعتبر نهائية بالنسبة للصادرات والواردات التي تمر عبر ميناء جرجيس الذي كثيرا ما يتاثر بآرتفاع كميات إنتاج المنطقة بسبب الوفرة التي تشهدها بعض السنوات في إنتاج مواد معينة مثل الزيوت التي أصبحت تغطي إضافة إلى إستهلاك سكان أقصى الجنوب التونسي بمدنين وتطاوين وبنقردان حاجات جزء من سكان المنطقة الطرابلسية وتونس العاصمة ويقع تصدير جزء منها إلى الأسواق الأروبية، وقد تدعم ذلك بدخول آلاف من الزياتين المحدثة طور الإنتاج وإنشاء معاصر جديدة للغرض. كما كانت الحبوب تلقى رواجا لدى بعض التجار الأروبيين وخاصة الأنقليز الذين وجدوا في شعير جرجيس صنفا متميزا لصناعة المواد الكحولية. ونظرا لأن جهة جرجيس تمثل سوقا قديما لمجموعات ورغمة، تدعم بتعدد مواردها الإقتصادية (إنتاج فلاحي، إنتاج بحري) وبموقعها الساحلي والوسطي، فقد عرفت إعادة تنظيم فضائها التجاري منذ نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن وذلك بإحداث سوق مغطاة سنة 1896، سوق بلدي سنة 1903 ومسلخ بلدي سنة 1904، وكانت تنتصب بجرجيس ولفترة طويلة سوقين أسبوعيتين تلتئم بصفة دورية يوم الإثنين الجمعة بقصر أولاد بوعلي بجرجيس ويوم الإربعاء بقصر المؤانسة ([62]) . و تجدر الإشارة إلى أن النشاط التجاري المحلي قد تأثر بدخول عدد من التجار اليهود جهة الجرجيس و الإنتصاب بها و بناء بعض الأسواق بكل من المؤانسة و جرجيس و إدخال نظام التعامل الربوي [63].

[61] Historique de Zarzis. ..opcit p p 24 - 25

[62] نفس المرجع الصفحة

[63] في تقرير من خلفية جرجيس أحمد اللفات إلى السلطة المركزية بتونس مؤرخ في 25 نوفمبر 1925 جاء ما يلي :" (...) و توجد بالبلاد طائفة اليهود إستحوذت على خيرات البلاد و ثروتها بسبب معاملة الأهالي بالربا بصورة فاحشة و صارت هاته الطائفة هم المترفين و أصحاب الثروة في البلاد و غالب دور و حوانيت السوق و الفنادق و القهاوي كلها ملكا لليهود و خرجت منها الأهالي و صارت هاته الطائفة تتهافت على شراء حوايز الزيتون من الأهالي و الكثير فيهم صاروا ملاكة جدا تحصلوا عليها بطريقة معاملة الربى وهو أن الأهلي المسكين عندما يضطر للمعاملة من المرابين يعطيه المرابي بخمسة في المائة في الشهر و يوثق له أملاكه و عند حلول أجل الدفع و لم يجد الأهلي سبيلا للخلاص إستحوذ المرابي على ملك الأهلي (...) . أنظر أرشيف الحكومة التونسية وثيقة بعنوان تقرير في حالة أهالي خلافتنا من الوجهة الإقتصادية في شهر نوفمبر 1925 السلسلة E صندوق 550 ملف عدد 24

V. أشكال الملكية :

1- تطور ملكية الأعيان :

سنعتمد في تحليل تطور ملكية الأعيان على المعطيات الواردة في البيانات التي كان يدلي بها الضمان عند إنتخاب مشائخ كل فريق وقد كان مقر خلافة جرجيس يحتوي وثيقة خاصة بكل عرش تسمى جريدة الأعيان وتتضمن أسماء أعيان ذلك العرش. ورغم أن الوثائق المحفوظة بالأرشيفات التونسية لا تبين لنا المقاييس المعتمدة في تمكين الأفراد من الإنتماء إلى فئة الأعيان فإنه بالإمكان إعتبار عنصر الملكية المقياس الأساسي، لكن بعض العناصر الأخرى قد تلعب دورا مكملا مثل المكانة الإجتماعية والعائلية والتكوين العلمي والديني لبعض الأفراد ([64]). وقد خضعت ملكيات الأعيان لنمو سريع وكمثال على ذلك سنعتمد في تحليل هذا النمو على عينة مأخوذة من فئة ضمان أولاد " بوعلي" لتبيان التحول الذي طرأ على القيمة الإجمالية للملكية خلال ثلاث عشريات، أي بين سنة 1920 و1949، وكذلك التحول الذي طرأ على القيمه المالية لأملاك الضامن الواحد من خلال تجربة ضامنين شاركا في ضمان شيوخ فريق أولاد بوعلي أثناء سنتي 1920 و1949 كما يظهره الجدولين التاليين :

[64] كمثال على ذلك فقد عثرنا على وثيقة تحتوي القائمة الإسمية لجميع أعيان مشيخة الزاوية من قبيلة عكارة الذين شاركوا في عملية إنتخاب شيخ لهذا الفريق بتاريخ غرة أفريل 1953 وقد جاء في هذه الوثيقة مايلي : تقرير إجتماع مجلس أعيان مشيخة الزاوية من كهاية جرجيس عمل ورغمة (عملا بما جاء في المنشور الوزيري عدد 6 المؤرخ في 29 مارس 1945 25 ربيع الأول 1363)

" الحمد لله في غرة أفريل 1953 على الساعة الثامنة صباحا إجتمع مجلس أعيان مشيخة الزاوية من عمل ورغمة تحت رئاسة السيد "علي بوعجيلة " عامل ورغمة بحضور السيد القبطان " بلانسي " رئيس مركز الأمور الأهلية بجرجيس وكاهية المكان بمساعدة العدلين " سي محمد لبيض" وسي محمد الربيع " وأفتتح الرئيس الجلسة بأن خاطب كافة الحاضرين معلنا لهم أن الغرض من الإجتماع هو أن يعينوا من بينهم ثلاثة أفراد ممن تتوفر فيهم شروط الكفاءة واللياقة والمقدرة على القيام بشؤون المشيخة لتختار الحكومة منهم أليقهم وأقدرهم ليكون شيخا على المشيخة المذكورة عوضاعمن كان قبله(...)".

تكمن أهمية ما ورد في هذه الوثيقة في الإشارة إلى أن المجتمعين هم من الأعيان وقد كان عدد أسمائهم المسجلة مائة إسم ينتمون جميعا إلى عرش الزاوية .و من خلال تفحص الإنتماء المهني للأسماء تبين أن 60 % من الأعيان هم من الفلاحين و17 % هم من البحارة و11 % من الموظفين ولا يتجاوز عدد المنتمين إلى المهن الحرة 3 % أما ما تبقى وهم 9 % من الأعيان فيشتغلون كعمال ومن خلال هذه الأرقام نستنتج أن النسبة الغالبة من الأعيان هم من الفلاحين والمقصود بالفلاح بجرجيس الملاك صاحب الأراضي الفلاحية والزياتين والعقارات في كثير من الأحيان، ويأتي في المرتبة الثانية من الأعيان فئة البحارة وهم كذلك من ملاك المراكب لاسيما وأن بحارة جرجيس يعملون في صيد الإسفنج الذي يدر أرباحا كبيرة على أصحابه. وينتمي 3 % من أصحاب المهن الحرة إلى فئتي العدول وأمناء السوق وهو ما يؤهلهم للإنتماء إلى مجلس الأعيان، ويمكن تفسير إنتماء بعض العمال 9 % وهي نسبة مرتفعة نسبيا إلى هذا المجلس بإنحدارهم من عائلات ذات مكانة إجتماعية.

أنظر الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف عدد 27.

جدول تطور القيمة المالية لملكية الضمان بفريق أولاد بوعلي

بين سنتين 1920و 1949

قيمة الأملاك وعدد الضمان / السنة	القيمة المالية الجملية للضمان (بالفرنك)	عدد الضمان	معدل ملكية الضمان حسب الفرد (بالفرنك)
1920	5،293287	30	9776، 25
1949	87060000	30	2902000

جدول تطور ملكية ضامنين من ضمان أولاد بوعلي بين سنة 1920 و1949

إسم الضامن	القيمة المالية لأملاكه (بالفرنك) سنة 1920	القيمة المالية لأملاكه (بالفرنك) سنة 1949
علي بن محمد بن عبد النبيء بعبورة	5000	20000
محمد بن بلقاسم لبيض	800000	2200000

يتبين من الأرقام الواردة في الجدول الأول أن ملكية الأعيان قد شهدت تطورا كبيرا خلال العشريات الثلاث الممتدة من سنة 1920 إلى 1949 فتحولت القيمة الجملية لهذه الملكية لدى عرش أولاد بوعلي من 293287,5 فرنك إلى 87060000 فرنك، ويظهر هذا التطور بصفة أوضح في الجدول الثاني، فهذا الجدول يحتوي على معطيات متعلقة بالقيمة المالية لمكلية ضامنين من بين ضمان 1920 وضمان 1949، إن قيمة أملاك "على بن محمد بن عبد النبي بعبورة" قد نمت في هذه الفترة بما يقدر بـ 400% فبعد أن كانت أملاك هذا الضامن تقدر بـ 5000 فرنك أصبحت سنة 1949، 20000 % أما قيمة أملاك "محمد بن بلقاسم لبيض" فقد فاقت نسبة نموّها 200 % فبعد أن كانت 800000 فرنك سنة 1920 أصبحت 2200000 فرنك سنة 1949. إن هذا التطور والنمو السريعين في القيمة المالية لأملاك الضمان يعتبر مؤشرا للأهمية الإقتصادية لجهة جرجيس التي تتمتع بثرائها وتنوع وتعدد منتوجاتها على حد تعبير " منويار" ([65]). إن هذا النمو الإقتصادي الذي لاشك أنه إنعكس إيجابيا على ملكية الأعيان قد تدعم ببعض الإصلاحات التي شملت نظام ملكية الأرض وبصفة خاصة نشير إلى

[65] Menouillard Zarzis... opcit

قانوني 1901 و1918 المتعلّقين بنظام الأراضي الجماعية . وقد شمل النمو القيمة المالية الإجمالية لملكيات ضمان أغلب عروش عكارة كما يبينه الجدول التالي ([66]):

جدول تطور قيمة ملكيات الضمان وتطورها لدى بعض عروش عكارة

العرش / سنة القياس		المرشح	عدد الضمان	القيمةالمالية للضمان بالفرنك	معدل الضمان بالفرنك	أكبر قيمة مالية بالنسبة للمرشح الواحد
عرش أولاد بوعلي	سنة 1920	المرشح 1	10	141000	14100	287500
		المرشح 2	10	152000	15200	
		المرشح 3	10	287,500	28750	
	سنة 1949	المرشح 1	10	47,460000	4746000	47460000
		المرشح 2	10	10800000	1080000	
		المرشح 3	10	28800000	2880000	
عرش المؤانسة	سنة1923	المرشح 1	11	405200	36836	405200
	سنة 1934	المرشح 1	16	755000	875714	755000
		المرشح 2	16	639000	399375	
		المرشح 3	16	530000	33125	
عرش الزاوية	سنة 1923	المترشح 1	10	280000	28000	294000
		المرشح 2	14	294000	21000	
		المرشح 3	14	183000	13071,5	
		المرشح 4	14	265000	18714	
	1947	المرشح 1	11	3814000	346727	3814000
		المرشح 2	10	2397500	239750	
		المرشح 3	-	-	-	

يبين لنا هذا الجدول تطور قيمة ملكيات الضمان لدى ثلاثة من عروش قبيلة عكارة وهم عرش أولاد بوعلي وعرش المؤانسة وعرش الزاوية، ويبرز تفاوتا بين أعيان العروش في بداية العشرينات ففي حين كانت أعلى قيمة مالية إجمالية لأملاك ضمان أحد مرشحي أولاد بوعلي ب 287500 فرنك سنة 1920، كانت القيمة المالية الإجمالية لأملاك ضمان أحدى مرشحي المؤانسة 405200 فرنك وقدرت هذه القيمة بـــ 294000 فرنك لدى عرش الزاوية. وقد إستمر هذا التفاوت أيضا في فترات لاحقة ذلك أن أكبر

[66] إعتمدنا في صياغة هذا الجدول الترتيب المدرج ضمن فصل البناء المؤسسي والإداري بجرجيس، فئة الضمان – بالنسبة لعرش الزاوية سنة 1947 فإن ضمان المترشح الأول هم أنفسهم ضمان المرشح الثالث.

قيمة مالية إجمالية لأملاك ضمان أحد مرشحي أولاد بوعلي سنة 1949 قد قدرت بـــ47460000 فرنك. لكن هذه القيمة لم تقدر إلا بـــ3814000 فرنك لدى أعيان عرش الزاويا.

وبصفة عامة يمكن القول أن تطور ملكية الأعيان يعكس نجاح الخيارات الإقتصادية الإستعمارية في العمل على تفتيت نظام الملكية الجماعي وتشجيع الملكية الخاصة، سيتجلى ذلك بأكثر وضوح في مستوى ملكية الأرض.

2- ملكية الأرض :

أ- الأراضي الجماعية :

الأراضي الجماعية هي موضوع حوار وجدل ([67])، ليس في تونس فقط وإنما في كامل منطقة المغرب العربي وفي كثير من البلدان الأخرى ([68]). إن بعض المحاولات التقديرية لحجم أراضي القبائل في تونس عند إنتصاب الحماية قد أفضى إلى أنها تمثل 1/5 من المساحة الجملية للبلاد ([69]) . وهو ما أدى إلى بروز ثلاث وجهات نظر لمعالجة هذه المسألة بإعتبارها إشكالية قائمة ، أثناء الفترة الإستعمارية ، الأولى يمثلها " ديشيفيني " الذي يعتبر الأراضي الجماعية ملكا للدولة و لا يحق التصرف فيها لأحد غيرها ، الثانية يمثلها " دوما " و خلاصتها أن الأراضي الجماعية هي أراضي القبائل و يحق لها التصرف فيها بكل حرية ، و يمثل الرؤية الثالثة " ركتنولد " الذي يرى أنه من حق القبائل إستغلال الأرض إلا أن ملكيتها تعود للدولة . وبالتوازي مع هذه المجادلات تم إصدار العديد من الأوامر والقوانين المتعلقة بمسألة الملكية العقارية عامة وبملكية الأراضي والأراضي الجماعية بصفة خاصة ومن هذه الأوامر والقوانين نشير إلى أمر 14 جانفي 1901 وأمر 23 نوفمبر 1918 و قانون 30 ديسمبر 1935، يهم الأول كافة الأراضي الجماعية بتونس أما الثاني فيقتصر على وضعية هذه الأراضي بالمنطقة العسكرية ويعالج الثالث وضع الأراضي الجماعية بالمراقبات المدنية.

67- في محاضرة قدمها " الأستاذ محمود التيجاني كيوة المحامي " في ندوة المعهد الأعلى للقضاء بجرجيس بتاريخ 25 نوفمبر 1994، تحت عنوان " الأراضي الإشتراكية بين الإدارة والقضاء "، يصف هذا الصنف من الأراضي قائلا : " الأراضي الإشتراكية مشكلة مزمنة في البلاد التونسية من مخلفات عهود الإنحطاط والنظام القبلي البدوي، إستغرقت وما تزال تستغرق أعمارا من الأجيال إستجدت وما تزال تجد من أجلها الخصومات والخلافات، فأستنزفت الجهد والوقت والأموال في الخصام وما تزال كذلك في عدة جهات من البلاد ...الخ ". و بالرغم من أن صاحب هذه الرؤية لم يتوصل إلى إدراك العمق الإجتماعي لمسألة الملكية الجماعية للأرض ويكتفي بالتعامل معها بطريقة شكلية وإجرائية، فإنها تلامس الواقع فيما يتعلق بحدة الخلافات والصراعات الناتجة عن عدم التمكن من حل هذه الإشكالية بطريقة جذرية.

68 تختلف التسمية بالنسبة للأراضي التي آثرنا وصفها بالجماعية فمنهم من يسميها بنفس التسمية وأطلقت عليها تسمية" أراضي القبائل " وسميت في تونس بالأراضي الإشتراكية بداية من ظهور تجربة التعاضد

69- Housset le statut des terres collectives et la fixation au sol des indigenes de Tunisie Paris 1939 p 34

إن الأمر الأكثر أهمية بالنسبة لنا في هذا البحث هو أمر 1918 الذي صدر إثر نهاية الحرب العالمية الأولى وهي الفترة التي شهدت "تمرد" بعض قبائل أقصى الجنوب التونسي إضافة إلى ما عرفت به هذه المنطقة من تشدد من طرف الإدارة العسكرية التي تميزت بكثافة مراكز إستعلاماتها وثكناتها العسكرية فأمر 1918 يمثل محاولة لإمتصاص غضب القبائل الجنوبية من خلال العمل على تصفية أراضي العروش. إن هذا الأمر لا يختلف في واقع الأمر على أمر 1901 - فإذا كان هذا الأمر يعتبر أن أغلب أراضي القبائل بالبلاد التونسية أراضي جماعية، لأعضاء القبيلة الحق في إستغلالها دون إدعائهم أي حق من حقوق ملكيتها وهو ما حول الدولة عمليا إلى مالك لتلك الأراضي ([70]) و رغم دعوتها المجموعات القبلية الإستظهار برسوم ملكية لأراضيها الجماعية حتى تشملها عملية التحديد ، فإنها كانت تدرك جيدا عدم إمتلاك هذه القبائل لرسوم لأنها قامت بحيازة اراضيها- فإن أمر 1918 الذي لم يطبق عمليا إلا بعد سنة 1921 قد إعترف بالشخصية المعنوية للمجموعات القبلية التي قامت بحوز عقارات على الشياع لأكثر من جيلين ([71]). لكنه جانب الإعتراف الكلي بالتملك الفردي داخل المجموعات القبلية على أرضية الحوز على الشياع المشار إليه ، وهو ما آعتبره البعض محافظة على الوضعية العقارية حيث بقيت الأراضي الجماعية غير قابلة للتقسيم ([72])، بالرغم من إدعاء بعض الفرنسيين من أن الغاية من هذا القانون هي خلق الملكية الفردية عن طريق تقسيم الأراضي الجماعية([73]).

من النقاط التي وردت في أمر 1918، تركيبة الهياكل المشرفة على " تصفية " الأراضي الجماعية وتتكون هذه الهياكل في المستوى المركزي من مجلس الوصاية المركزي الذي يتركب من قضاة وموظفين فرنسيين ومن "الأهالي" تحت إشراف موظف فرنسي يعين من طرف المقيم العام وفي المستوىالمحلي من مجلس الوصاية المحلي الذي يتكون من الضابط رئيس مكتب الشؤون الأهلية (رئيس) القايد الخليفة والقاضي، وإثنين من الأعيان وعدل يقوم بوظيفة كاتب مجلس الوصاية المحلي. بالإضافة لذلك توجد لجان تحكيم محلية، تشمل تركيبتها إضافة لأعضاء مجلس الوصاية المحلي بعض المساعدين مثل ضابط مترجم وخبيري فلاحة ([74])، فضلا عن حضور شيوخ المنطقة التي ستخضع

---

70 التيمومي (الهادي) إنتفاضات الفلاحين في تاريخ تونس المعاصر مثال تالة 1906 بيت الحكمة قرطاج 1993 ص 109

71 أنظر قانون 23 نوفمبر 1918 صادر بالرائد الرسمي بتاريخ 28 ديسمبر 1918

72 بوطالب (نجيب) القطيعة والتواصل في الملكية المشتركة للأرض في الجنوب الشرقي دراسة مرقونة نشرت ضمن التحولات في الأرياف المغاربية كلية العلوم الإنسانية بتونس ص 5

73 Guyader ; la propriete collective en territoires militaires du sud tunisien C E H E A M Paris 1941 p 12

74 نفس المرجع والصفحة

لعملية التحديد بصفة إستشارية وما يعنيه ذلك من حضور لمؤسسة المشيخة رغم الصبغة الإستشارية([75]).

وبعد أن وفرت الإدارة الإستعمارية المرجعية القانونية حول الأراضي الجماعية بمنطقة التراب العسكري والمقاييس التي يجب إعتمادها في تشكيل الهياكل المشرفة على عملية تحديد هذه الأراضي وتقسيمها شرعت اللجان المختصة في ممارسة مهامها كما يشير إلى ذلك الجدول التالي الذي يشتمل على تحديد وتصفية الأراضي الجماعية بين 1921 و1938 في منطقة التراب العسكري ([76]) :

الدوائر	عدد عمليات التحديد	المساحات المحددة بالهكتار	عدد القطع المحددة بالهكتار	المساحة المحوزة بالهكتار	عمليات بصدد النظر	المساحة الجملية للدوائر
مدنين	114	30000	–	–	104	300000
تطاوين	101	570000	–	–	107	1.300000
بنقردان	150	60000	2500	9500	40	440000
قبلي	47	30000	2500	600	21	2.200000
مطماطة	75	23000	–	–	22	300000
جرجيس	12	20000	1600	700	1	70000
المجموع	499	733300	6600	10800	305	4610000

تمثل الأرقام الواردة في هذا الجدول نتائجا ملموسة لتطبيقات أمر 23 نوفمبر 1918 بأراضي المنطقة العسكرية، التي كانت تصنف عند بدايات الإحتلال الفرنسي بأنها أراض جماعية. وإذا كانت بعض المناطق الساحلية مثل جرجيس وبنقردان وبوغرارة قد شهدت تحويل جزء من هذه الأراضي إلى التمليك الخاص وإستثمار جزء آخر منها في توفير البنية الأساسية وإقامة المنشآت العامة مثل الموانى والمصالح الإدارية...الخ فإن أغلب أراضي الجنوب التونسي قد بقيت على حالها إلى أن جاء الأمر المذكور.

فماهي أهم نتائج تطبيقات هذا الأمر ؟

لقد قدرت المساحة الجملية للأراضي الجماعية بالمنطقة العسكرية بـ 4610000 هكتار، لكن المساحة المحددة من هذه الأراضي ولفترة الخمس عشرة سنة لم تتجاوز 733300 أي أقل من ¼

[75] بوطالب القطيعة والتواصل ...مرجع سابق ص 19
– يشير بوطالب في دراسته السالفة الذكر ص 19 إلى أن مجلس الأعيان الذي يختاره القايد وتصادق عليه الإدارة العسكرية هو أحد الهياكل المشرفة على الأراضي الجماعية وهو ما لم يرد في دراسة " قيودار "

[76]Guyader la propriete ...opcit p 17

بنسبة 15.9 %. وقدرت المساحة المحوزة بـ 10800 هكتار أي بنسبة 1.47 % من مجموع الأراضي المحددة و0.23 % من المساحة الجملية فهذه النسب تبين أن الأراضي التي خضعت لعملية التحديد كانت ضعيفة، أما الأراضي المحوزة التي تمثل مدخلا للتملك الفردي فتكاد لا تذكر نتيجة ضعف نسبها سواء بالنسبة للمساحة الجملية أو بالنسبة لمجموع الأراضي المحددة. وإذا تطرقنا إلى جهات المنطقة العسكرية بشيء من التفصيل فسيبرز لنا أن جهتي تطاوين ومدنين ذات مساحة جملية كبيرة بـ 1.300000 هكتار بتطاوين وب 300000 هكتار بمدنين إلا أنها توقفت عند عمليات التحديد المقدرة بـ 570000 هكتار بتطاوين بنسبة 43,84 % وبـ 30000 هكتار بمدنين بنسبة10 % إلا أن هذه النسب لم تتطور في إتجاه التحويز كما وقع في جهات بنقردان وقبلي وجرجيس، فقد قدرت الأراضي المحوزة ببنقردان بـ 9500 هكتار أي بنسبة 15,83 % من مجموع الأراضي المحددة المقدرة بـ 60000 هكتار وبنسبة 2,15 % من المساحة الجملية المقدرة بـ 40000 هكتار، وكان إجمالي الأراضي المحوزة بقبلي 600 هكتار أي بنسبة 2 % من الأراضي المحدد المقدرة 30000 هكتار وبنسبة 0,02 % من المساحة الجملية لدرائرة قبلي. وبجهة جرجيس نلاحظ أن المساحة المحوزة قدرت بـ 700 هكتار بنسبة 3,5% من الأراضي المحددة المقدرة بـ 20000 هكتار بنسبة 1 % من مجموع المساحة الجملية لدائرة جرجيس.

إن هذه النسب تعكس لنا رؤية الإدارة الإستعمارية في كيفية إستثمار الأراضي الجماعية فقد كان إهتمامها بعمليات التحديد والتحويز في بعض الجهات مثل تطاوين وقبلي ضعيفا أو منعدما لعدم القدرة على إستثمار هذه الأراضي في الإستعمار الزراعي نظرا لطبيعتها الصحراوية الغالبة، أو لعلاقة بعض المجموعات القبلية المتوترة مع الإدارة الإستعمارية مثل مجموعات المرازيق بقبلي والودارنة بتطاوين، في حين نرى أن مناطق أخرى أقل مساحة شهدت عناية كبيرة من طرف هذه الإدارة سواء فيما يتعلق بعمليات التحديد أو التحويز بل إن أكبر نسبة تحويز مقارنة بنسبة الأراضي المحددة وهي 3 % كانت بجرجيس، ونجد تبريرا لذلك في رغبة الإدارة الإستعمارية الإستفادة من أراضي جرجيس بآعتبارها من أخصب الأراضي في منطقة أقصى الجنوب التونسي كما يشير إلى ذلك الفرنسي " منويار "، وكذلك من أجل تمكين المعمرين من مساحات أكبر لإقامة ضيعاتهم خاصة وأن الأراضي التي اصبحت في حوزة المعمرين قد فاقت 5 آلاف هكتار وتجاوزت ملكياتهم من الزياتين 26 ألف أصل زيتون من جملة 180 ألف ([77]).

[77]Menouillard Zarzis monographie...opcit p 151 - p 154;
Violard l'extreme... opcit p 54

تبين الخريطة التي رسمها الضابط الفرنسي "بايي Bailly" سنة 1887 أن أراضي قبيلة عكارة تمتد من رأس مرمور شمالا إلى رأس جدير في الحدود التونسية الطرابلسية جنوبا (أنظر الخريطة ضمن الملاحق). يبدو لأول وهلة أن كافة هذه الأراضي تصنف ضمن الأراضي الجماعية، لكن الملفت للنظر وربما على خلاف مع بعض الجهات الأخرى في اقصى الجنوب التونسي أن المنطقة التي نقوم بدراستها قد إحتوت أصناف من العقارات التي إستثناها أمر 1918 فيما بعد والمتمثلة في "البناءات الحضرية، الواحات، غابات الزيتون، الأراضي المسجلة" ([78])، نتيجة الإستقرار المبكر نسبيا الذي شهدته هذه المنطقة وما يمثله ذلك من إكتساب لبعض العادات الحضرية والتي من بينها تسجيل الممتلكات والأراضي والحصول على حجة ملكية في ذلك. وقد كان أهالي جرجيس يحبسون أراضيهم وممتلكاتهم على بعض المعالم الدينية وهي عملية غير ممكن تحقيقها في ظل غياب وثائق تثبت الملكية فهل يعني ذلك غياب الأراضي الجماعية في جرجيس؟

لقد سبق أن أشرنا إلى أن تطبيقات قانون 1918 على أراضي أقصى الجنوب التونسي قد بينت وجود نسبة هامة من الأراضي بجرجيس تصنف بأنها جماعية وقع تقديرها بـ 21174 هكتار تتوزع كما يلي:

جدول توزيع الأراضي الجماعية لعكارة حسب العروش ([79])

مكان الأراضي الجماعية	المساحة بالهكتار	العروش المشتركة في ملكيتها
لوبيقلة	3330	عروش عكارة الستة
حنيش	850	أولاد سعيد، أولاد إمحمد والزاوية
طرف الليل	160	عرش الخلايفة
الشوشة (علوة الغنة)	13984	عروش عكارة الستة
شارب الراجل	2850	أولاد بوعلي، المؤانسة

تبين المعطيات الواردة في هذا الجدول وجود المساحة الهامة من أراضي قبيلة عكارة الجماعية بمنطقة الشوشة وهي المنطقة المتاخمة للحدود الليبية ويمكن تفسير ذلك بالإستقرار المبكر للنواة الأولى لهذه القبيلة بجهة بنقردان القريبة من مكان هذه الأراضي.

---

78 أنظر قانون 23 نوفمبر الباب الأول الفصل 2 في العقارات التي هي تحت القانون العام

79 قمنا بصياغة هذا الجدول بالإعتماد على المعطيات الواردة في دراستي :
Bellot..opcit p 13، Douib la region de zarzis ...op cit p 58، يبدو أن الأستاذ ذويب قد إقتبس معلوماته من دراسة Bellot

وتتميز أراضي الشوشة الجماعية بخصوبتها الكبيرة وبآستغلالها المشترك من طرف جميع عروش القبيلة يدفعهم في ذلك إنعدام الأمن بهذه المنطقة نتيجة إعتداءات القبائل الليبية المجاورة التي تقوم بإنتهاك هذه الأراضي وقد كانت مجموعات عكارة تلتجئ إلى تكتلها الجماعي للرد على هذه الإعتداءات، لكن ذلك لا ينفي وجود نظام معين للإستغلال المشترك يرتكز على إستغلال أفراد العائلات أو اللحمات داخل عرش معين لقطعة أرض "خاصة" بهم يكونون قد إستغلوها في السنين الفارطة بعد أن قاموا بإحيائها بعد أن كانت "أرضا مواتا" وذلك لعدة سنوات متتالية تكسب المجموعة المستغلة حق الأولوية وهو بمثابة المرحلة التمهيدية لحق الملكية بل إن حق الأولوية يعتبر قريبا جدا من حق الملكية ([80]). ورغم أن هذا الحق أي حق الأولوية يمكن أفراد مجموعة ما توريث قطعة الأرض التي يقومون بآستغلالها فإن ذلك لا يسمح لهم بآمتلاكها لتبقى هذه القطعة تحت تصرف العرش الذي ينتمي إليه الأفراد أو تحت تصرف القبيلة. كما يمكن لأفراد العائلة أو اللحمة المقربين إستغلال قطعة الأرض إذا صادف أن أصحابها لم يقوموا بآستغلالها في تلك السنة دون تسديد نصيب مساحة الأرض في الإنتاج، أما إذا قامت مجموعة ما بآستغلال قطعة أرض ما، ينتمي أصحابها إلى عرش آخر فإنه من الواجب عليهم منحهم نصيب تلك القطعة المتمثل في ربع المحاصيل ([81]). وتكمن أهمية "حق الأولوية " في أنه يمثل الأرضية المناسبة التي سيتم على أساسها تقسيم الأراضي الجماعية بين مختلف العروش وكذلك بين مختلف اللحمات المكونة لعروش عكارة ويمس هذا التقسيم العائلات التي تتحصل على نصيبها داخل أراضي العرش الذي تنتمي إليه.

يشير الأستاذ "ذويب" إلى أن أراضي قبيلة عكارة الجماعية قد وقع إقتسامها بين مختلف عروش هذه القبيلة في فترات مختلفة وقد تم الشروع في تقسيم أرض الشوشة الجماعية المعروفة لدى أهالي جرجيس "بأراضي البر القبلي" سنة 1922 أي بعد صدور أمر 1918 بأربع سنوات. وبموجب أمر 1922/2/2 أحدثت لجنة تحكيمية كلفت بتقسيم أراضي الشوشة الجماعية التابعة لخلافة جرجيس ([82])، وقد تكونت هذه اللجنة من رئيس فرع مصلحة الشؤون الأهلية بجرجيس، قاضي جرجيس، خليفة عكارة، خوجة مترجم وخبيري فلاحة وممثلين عن مختلف عروش عكارة، وإجتمعت هذه اللجنة بالبرج المعروف " ببرج الشوشة " أين قامت بعملية القرعة بين العروش وكانت نتيجتها (1) المؤانسة (2) أولاد سعيد (3) الخلايفة(4) أولاد إمحمد (5) أولاد بوعلي (6) الزاوية. وخضعت عملية القسمة لنظام وصول الإستيطان (التنابر) الذي بدوره يخضع لعدد العائلات فبقدر ما يحتوي العرش أكبر عدد من العائلات بقدر ما يكون

---

[80] Dumas les populations Indigenes et la terre collective de tribu en tunisie 1912 p 307

[81] نفس المرجع ص 309

[82] Douib la region...opcit p 69

أنظر أيضا : المناكري (المولدي) من مواطني جرجيس إلى من يهمه الأمر تقرير محامي عكارة إلى سلطة الإشراف سنة 1987 ص 3

نصيبه من "التنابر" أكبر. ويشير الجدول التالي إلى عدد "تنابر" كل مجموعة ومساحة الأرض التي حصلت عليها في المنطقة المعروفة بالشوشة ([83]).

إسم العرش / عدد الوصولات والمساحة	وصولات الإستيطان	مساحة الأرض بالهكتار
أولاد بوعلي	1200	3996
المؤانسة	950	3163
أولاد سعيد	570	1898
الخلايفة	550	1831
الزاوية	520	1731
أولاد إمحمد	410	1365
المجموع	**4200**	**13984**

لقد أدى هذا التقسيم الذي هو أحد نتائج تطبيقات أمر 1918 إلى حصول عرش المؤانسة على قطعة الأرض المتاخمة لرأس جدير والمعروفة "بالفيض " وهي أفضل الأراضي وأخصبها من الناحية الفلاحية كما تمكن هذا العرش من إحتلال مكان يشرف على البحر وهو ما يرغب فيه بقية العروش الذين جاءت أراضيهم متاخمة لبحيرة البيبان.

لقد أحدثت عملية القسمة التي تمت بين عروش عكارة حالة من الصراع المتواصل بين عرشي أولاد بوعلي والمؤانسة، خاصة وأن قطعة أرض المعروفة " بالفيض " كانت تخضع لتصرف عرش أولاد بوعلي قبل تقسيم 1922 وقد أدى ذلك إلى خلق مركزي إستقطاب بين هذين العرشين داخل قبيلة عكارة . إن ذلك يبين أهمية دور الملكية في تحديد العلاقة بين العروش والمجموعات القبلية رغم الروابط الدموية (الحقيقية أو الوهمية) التي تربطها. وتتم تسوية الخلافات بين عروش القبيلة الواحدة بالرجوع إلى أعيان القبيلة. ويعتمد هذا الأسلوب أيضا في تسوية النزاعات مع القبائل المجاورة المتعلقة بالأراضي الجماعية والتي كانت تندلع بصفة خاصة مع قبيلة التوازين المجاورة التي كانت أراضيها الجماعية تتاخم أراضي عكارة، وكمثال على ذلك نذكر الخلاف الذي جد بين القبيلتين سنة 1899 في المكان المعروف بـــ "هنشير ذياب" والذي نتج عنه مصادمات بين القبيلتين إلا أن الأمر حسم في النهاية بآتفاق بين أعيان القبيلتين ([84]). ولما يعجز الأعيان عن فض مثل هذه النزاعات فإن السلطة المركزية تتكفل بحلها كما هو الشأن بالنسبة للخلاف الذي جد سنة 1947 بين نفس القبيلتين المذكورتين حول حدود الأراضي الجماعية

[83] Douib la region ...opcit p 71

[84] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق عدد 183 ملف عدد 1

لكل قبيلة مما دفع بقاضي بنقردان إلى مراسلة السلطة المركزية للنظر في هذه المسألة ([85]). وعلى إثر ذلك تكونت لجنة مشتركة سنة 1952 ضمت أعضاء ينوبون السلطة وأعضاء آخرين ينوبون الأهالي ([86]). وكانت مهمة هذه اللجنة وضع العلامات البيانية للحد الإداري الفاصل بين الأراضي الجماعية الراجعة لعكارة و الموجودة بالشوشة والأراضي الراجعة للتوازين([87]). إلا أن ذلك لم يحل دون إستمرارية الخلاف و إدعاء الأحقية في ملكية الأرض وقد أخذ ذلك أشكالا جديدة منها ما هو قانوني و ذلك بالإستناد إلى وقائع شهدتها الفترة الإستعمارية في أغلب الأحيان كما يتبين من خلال ما ورد تقارير بعض المحامين .

– تقرير محامي عكارة : تتلخص أبرز النقاط الواردة في هذا التقرير فيما يلي:

– إمتلاك قبيلة عكارة للأراضي المذكورة يعود إلى أربعة قرون خلت أي منذ سنة 1580 تاريخ إستقرارهم جدهم الولي "سيدي الصياح " بالمكان الذي يوجد به ضريحه والقريب من بلدة بنقردان.

– تم إقتسام عروش عكارة لأراضي الشوشة الجماعية طبقا للأمر المؤرخ في 1922/2/2، وقد قدرت المساحة التي يمتلكها كل عرش كما يلي :

إسم العرش / المساحة	أولاد بوعلي	المؤانسة	أولاد سعيد	الخلايفة	الزاوية	أولادإمحمد
المساحة بالهكتار	3996	3163	1898	1831	1731	1365

وبعد ذلك بتسع سنوات تم تقسيم أرض شارب الراجل بين بعض عروش عكارة (أولاد بوعلي والمؤانسة) طبقا للأمر المؤرخ في 14 ديسمبر 1931.

– الإشارة إلى أن ممتلكات التوازين من الأراضي الإشتراكية قد وقع حصرها بالرائد الرسمي لسنة 1951 بمقتضى أمر "علي" مؤرخ في 1951/7/21 ولا تحتوي عملية الحصر أراضي الشوشة، شارب الراجل وقطعاية الشيح المتنازع حولها.

---

85 الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق عدد 206 مكرر ملف عدد 20

86 تكونت هذه اللجنة من ممثل عن رئيس مكتب الشؤون الأهلية بجرجيس وممثل عن رئيس مكتب الشؤون الأهلية ببنقردان وممثلين عن عكارة هم " علي بن محمد لهنيد ومحمد بن مسعود خنيشيل " وممثلين عن التوازين هم عمر الجرو وحامد طليق والنفطي بن محمد ناجي وعمر بن حسن

87 أنظر المناكري من أهالي جرجيس...مرجع سابق ص 3

– يبين التقرير أن تصرف أهالي جرجيس في أراضيهم المذكورة كان هادئا ومستقرا وينسبون الأرض لأنفسهم وتنسبها السلطة لهم وكل القبائل المجاورة من توازين وودارنة وجرابة ويرى أن ملكية أهالي جرجيس لهذه الأرض لم تكن إلى زمن قريب موضوع جدل أو إختلاف ويحتج محامي عكارة على ذلك بعدة وقائع مثل مناقلة الدولة لمجالس تصرف مجموعات عكارة قطعة أرض بالعريقات مقابل قطعة أرض بالشوشة تمسح ألفي هكتار .

– فيما يتعلق بأرض قطعاية الشيح يشير هذا المحامي إلى أنها أرض تكتسي صبغة خاصة يتصرف فيها أصحابها على وجه الملكية الخاصة وتنفرد عائلات المطامطة والأباعيش والبيض والعرايضية والدويهشية بهذه الملكية ولهم في ذلك رسومهم وعقود شرائهم وحججهم التي تثبت ملكيتهم ([88]).

– يشير تقرير محامي عكارة إلى أن كلاً من أرض الشوشة وشارب الراجل وقطعاية الشيح كانت تابعة إداريا لخلافة جرجيس ثم لمعتمديتها ولم يقع إلحاقها بمعتمدية بنقردان إلا سنة 1957 وبالتوازي مع ذلك ضمت أراضي الغرابات ولوبيقلة إلى معتمدية جرجيس بعد أن كانت تابعة لمعتمدية بنقردان، كل ذلك من الناحية الإدارية دون أن يمس حق الملكية. ([89])

– تقرير محامي التوازين : يتلخص هذا التقرير فيما يلي :

– إن ملكية التوازين لأرض "الشوشة" مثبتة برسوم منها الحجة العادلة المحررة في 24 صفر 1311 الموافق لـــ 5 سبتمبر 1893 التي وردت بها الفقرات التالية :

"الحمد لله يعرف شهوده الآتي ذكر أسمائهم عين أماكن الأرض البيضاء المعدة للحرث والإزدراع ورعي الحيوانات وما آحتوت عليه من المعاطي وعلى أماكن شتى... أرض الشوشة.... (وعدة أراضي أخرى بجنوب البلاد) معرفة صحيحة تامة شرعية عينا ومحلا ويعاينها بالوقوف متى دعوا إلى ذلك ومع

---

[88] كمثال لهذه الوثائق القانونية وحجج الملكية الخاصة التي إعتمدها محامي عكارة نورد حجة الملكية التالية : " الحمد لله بالإذن من المرأة يزة بنت مصباح بالحاج إمحمد مطيمط المونسي العكاري الساكنة بجرجيس أنها باعت وسلمت جميع منابها من الأرض البيضاء المعدة للفلاحة والزراعة الكائنة بقطعاية الشيح من أرض عكارة يحد كامل الأرض قبلة ورثة لبيض في جهة وفي أخرى ورثة مسعود مطيمط وشرقا ساحل البحر وجوفا ورثة مسعود مطيمط وغربا المحاريق بعد الطريق مع قطعة بالمكان يحدها قبلة ورثة مسعود وشرقا ورثة منصور بن عبد الله بوعواجة وشرقا ورثة عمر بوعواجة بعد الصيرة وجوفا المشترين وغربا علي بن مصباح مطيمط وذلك للمشترين منها، المبروك ومحمود أبناء الحاج سعد مطيمط المونسي العكاري الساكنين بجرجيس بثمن قدره ومبلغ عدده لجميع ذلك بيعا باتا بثمن قدره ومبلغ عدد 200 فرنك قبضته البائعة المذكورة من المشترين المذكورين قبضا تاما بعد إعتراف المشترين بالرؤية والتقليب والرضا والحوز والمرجع بالدرك أن وجب شرعا وحضر زوجها عمار بن عبد الله بن مصباح الشيخ ووافق على البيع المذكور حسبها، يضع علامة إبهامها أسفل هذا وكتب في غرة ماي 1940، وحضر علي بن مصباح مطيمط ووافق على البيع حسب ما يضع علامة إبهامه أسفل هذا. إمضاء العدل.

[89] المناكري من أهالي جرجيس...مرجع سابق تقرير في 7 صفحات

تلك المعرفة للأماكن والمعاطي المذكورة يشهدون ويتحققون بأن الحائزين والمتصرفين فيها والجايلة أيديهم عليها منذ فهموا هم كافة عروش التوازين الموجودون الآن..." وفيما يتعلق بالمتصرفين تقول الوثيقة "جملة عروش التوازين كافة بالحرث وحصاد الزرع والرعي وحفر الأبار ورفع يد العادية عنها يتصرفون تصرف المالك في ملكه بما ذكر أعلاه من غير معارض ولا منازع لهم فيها ولا مغير ولا منكر عليهم فيها منذ مدة مديدة وسنين متطاوية عديدة على حساب أعمار الشهود المشار إليهم أعلاه فمنهم من عمره سبعون سنة فارطة عن التاريخ... ولا يعلمون لهم فيها تداول أحد عليها وهم الذين أحيوها بعد أن كانت مواتا وعمروا قفارها..." وبناء على المعلومات الواردة في هذه الحجة يصل التقرير إلى أن تصرف التوازين في أرض الشوشة قد كان حتى في الفترة السابقة على إنتصاب الحماية الفرنسية بالمنطقة .

- يعتمد محامي قبيلة التوازين على ماورد في مؤلف "مرتال Martel" (1881 - 1911) Tunise les confins saharo - Tripolitaine de la من معلومات حول إنتصاب قبيلة التوازين مع مجموع القبائل التونسية سنة 1881 بمنطقة الشوشة بعد أن قررت هجرة أراضيها متجهة إلى طرابلس كرد فعل على الإحتلال الفرنسي، وقد إعتبر التقرير أرض الشوشة مركزا من مراكز مقاومة التواجد الفرنسي من طرف التوازين الذين حاولوا إختطاف المقيم العام " "Paul Combon" عند زيارته لمنطقة الشوشة سنة 1886.

- ويورد التقرير ماجاء في مؤلف مرتال حول قبيلة عكارة والستة قصور التي يقطنها أفراد القبيلة وبعض مظاهر نشاطهم الإقتصادي الذي ينطلق مع بداية سقوط الأمطار وتوجه عكارة للحراثة بجنوب وادي فسي وإتباعهم لمواشيهم في فصل الربيع، إلا أن ذلك لا يمنع عكارة من الإبتعاد لفترة طويلة عن واحتهم وقصورهم.

- من النقاط التي يرى فيها محامي قبيلة التوازين عنصرا مؤيدا لملكية هذه القبيلة لأراضي الشوشة الجماعية إنتماء هذه الأراضي إلى المنطقة التابعة لمعتمدية بنقردان أين يقيم التوازين وليس إلى معتمدية جرجيس أين يقيم عكارة.

- ينتهي التقرير إلى القول بأن أرض الشوشة هي من الأراضي الإشتراكية غير المسجلة فإنه بالإمكان تصنيفها ضمن الأراضي الموات كما يذهب إلى ذلك العلامة المالكي خليل الذي يقول "ما سلم عن الإختصاص بعماره ولو إندرست إلا لأحياء وبحريمها كمحتطب ومرعى يلحق غدوا ورواحا لبلد"، ولتفسير هذا القول إعتمد محامي التوازين على مؤلف " مواهب الجليل لشرح مختصر خليل للحطاب "

الذي جاء فيه " إبن شاش حريم البلدة ما كان قريبا منها تلحقه مواشيها في الرعي في غدوها ورواحها، وإنه لمن البديهي أن الرجوع قبل مغيب شمس يومه " لا يكون إلا لبنقردان وإلى التوازين من أراضي الشوشة ([90]).

ب – أراضي الأحباس :

رغم الأهمية النسبية لأحباس جرجيس فإن كثيرا من الدراسات والأبحاث التي تناولت جهة جرجيس بالدرس لم تشر إليها، بل إن البعض منها قد نفى وجود هذا الصنف من الملكية في هذه الجهة ([91])، فإن أرشيفات جمعيات الأحباس مازالت تحفظ لنا العديد من الملفات والوثائق المتعلقة بملكية الأحباس في أقصى الجنوب التونسي وجهة جرجيس على درجة الخصوص كما يثبته الجدول التالي:

جدول لأهم أحباس جرجيس أثناء القرن الماضي وبداية هذا القرن ([92])

إسم المعلم الديني ومكانه	إسم المحبس	العرش أو القبيلة التي ينتمي إليها	طبيعة العقار	مكانه	تاريخ التحبيس
جامع الحصار بجرجيس	رحومة بلهيبة عامل ورغمة	أولاد بوعلي عكارة	جنان مشجر زيتون	غابة البئر الأحمر جرجيس	1898 م
جامع الحشر غير معروف	سعيد بن عامر بن علي التومي	عرش البريكات	جنان زيتون	رأس الظهرة جرجيس	1295 هـ
زاوية مولاي الطيب بقصر أولاد سعيد – جامع الخطبة بجرجيس – جامع الخطبة سيدي مصدق بالمؤانسة	الشيخ عمر بن صالح دشيشة حبس المصلين	أولاد سعيد عكارة	سانية مشجرة نخيل وتين	السويحل جرجيس	1276 هـ
زاوية سيد عبد القادر المؤانسة جرجس	الحاج محمد بن خليفة مطيمط	المؤانسة عكارة	مخزن (يستخدم مقهى)	المؤانسة جرجيس	1325 ه

[90] أنظر تقرير محامي التوازين الأستاذ محي الدين المبروك بتاريخ 1987/9/9 في 4 صفحات

[91] Douib (A) La région de Zarzis II contacte européenne et exploitation du sol 1881 - 1959 in cahier de Tunisie n° 79 -80, 1972, p 172

[92] قمنا بصياغة هذا الجدول بالإعتماد على الوثائق المخزونة بصناديق أوقاف جرجيس بأرشيف وزارة أملاك الدولة بتونس وهو أرشيف غير مفهرس

جامع الحصار بجرجيس	سالم بن لطيف بن فتايل	أولاد بوعلي عكارة	سانية مشجرة زيتون	العقلة جرجيس	1257 ه
جامع مسلم السويحل جرجيس	–	–	سانية مشجرة نخيل	غابة جرجيس	1905 م
الحرمين الشريفين	مغلية بنت سعيد بن مرزوق الغول	أولاد بوعلي عكارة	سانية مشجرة نخيل	جرجيس	1298 ه
زاوية سيدي الصياح قرب جرجيس	رحيم بن خليفة العكاري	عكارة الساحل	أجنة مشجرة زيتون	المنستير	1251 ه
جامع الحصار	–	أولاد سعيد – عكارة	جنان مشجر زيتون	رأس الظهرة جرجيس	1295 ه
ج الحصار	عبد الله بن سعد العودي	أولاد بوعلي عكارة	جنان زيتون	البئر الأحمر جرجيس	1295 ه
ج الحصار	ضو الميلادي	أولاد سعيد – عكارة	جنان زيتون	رأس الظهرة	1295 ه
ج الحصار	محمد بن أحمد عاشور	المؤانسة – عكارة	جنان زيتون	الغابة القبيلة بجرجيس	1295 ه
ج الحصار	محمد بن سالم مطيمط	المؤانسة – عكارة	جنان زيتون	رأس الظهرة بجرجيس	1295 ه
ج الحصار	أحمد بن سعيد التومي البريكي	البريكات	جنان زيتون	رأس الظهرة	1295 ه
ج الحصار	سعيد بن أحمد بن عطية الشايبي	عرش الشياب	جنان زيتون	رأس الظهرة	1295 ه
ج الحصار	علي بن عمر بوشهيوة	أولاد بوعلي عكارة	جنان زيتون	–	1295 ه
ج الحصار	سالم بن علي فريعة	أولاد سعيد عكارة	جنان زيتون	الغابة القبلية جرجيس	1295 ه
ج الحصار	الشيباني بن التومي	عرش البريكات	جنان زيتون	سواقي الحلوف جرجيس	1295 ه
ج الحصار	سعيد عدالة	أولاد سعيد عكارة	جنان زيتون	– بجرجيس	1295 ه
ج الحصار	الشيباني بن رمضان الخويليد	عرش خويلد	جنان زيتون	– جرجيس	1295 ه
ج الحصار	علي بن معتوق	–	جنان زيتون	رأس الظهرة جرجيس	1295 ه

ج الحصار	الحاج خليفة مطيمط	المؤانسة عكارة	جنان زيتون	رأس الظهرة جرجيس	1295 ه
ج الحصار	رحومة بن سالم بن محمد البريكي	عرش البريكات	قطعتي زيتون	رأس الظهرة والسواقي أم الحلوف جرجيس	1295ه
ج الحصار	علي الدويهش	المؤانسة عكارة	جنان زيتون	سواقي أم الحلوف جرجيس	1295 ه
ج الحصار	السماعلي بن علي	–	جنان زيتون	الغابة القبلية جرجيس	1295 ه
ج الحصار	عمر بن عمر الإحيول	أولاد سعيد عكارة	جنان زيتون	رأس الظهرة جرجيس	1295 ه
ج الحصار	– محمد بن بلقاسم بن شويخة – زوجته مغلية بنت أحمد بوحافة	أولاد بوعلي عكارة	جنان زيتون	الغابة القبلية بجرجيس	1295 ه
ج الحصار	– علي بن مسعود العودي يعرف البريكي	عرش البريكات	جنان زيتون	رأس الظهرة جرجيس	1295ه
ج الحصار	المرابط سعيد بن عطية الشايبي	عرش الشياب	جنان زيتون	رأس الظهرة جرجيس	1295ه
ج الحصار	عطية بن مسعود مطيمط	المؤانسة – عكارة	جنان زيتون	رأس الظهرة جرجيس	1295ه
ج الحصار	محمد بن الفقيه عبد الله	المؤانسة عكارة	جنان زيتون	رأس الظهرة بجرجيس	1295ه
ج الحصار	أحمد بن (..)	أولاد سعيد عكارة	جنان زيتون	سواقي أم الحلوف	1295ه
ج الحصار	أحمد بن عطية بن قريرة	المؤانسة عكارة	جنان زيتون	الغابة القبلية	1295ه
ج الحصار	علي بن سعيد التومي	عرش البريكات	جنان زيتون	الغابة القبلية	1295ه
ج الحصار	محمد الأبيض يعرف بن شويخة	أولاد بوعلي عكارة	جنان زيتون	رأس الظهرة جرجيس	1295ه
زاوية سيدي مصدق بالمؤانسة جرجيس	المرابط أحمد بن علي بن مصدق	المؤانسة عكارة	سانية مشجرة	–	1263 ه

زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	المرأة الحرة الخالية من الزوج سالمة بنت معتوق بن جبارة الخويلدي	عرش خويلد	قطعة أرض مشجرة نخيل	حمادي جرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	مسعود بن محمد صلبلب	المؤانسة عكارة	زيتونة	حمادي جرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	رمضان الشيباني بن سعيد العودي	عرش الأعواد	زيتونة	جنان القرعاء بجرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	محمد بن علي التريكي	المؤانسة عكارة	زيتونة	رأس الظهرة جرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	الفقيه أحمد بن أحمد الجبو	المؤانسة عكارة	سطر زيتون	حمادي جرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	أحمد بن محمد ذياب	المؤانسة عكارة	زيتونة	جنان برأس الظهرة بجرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	عبد الله بن عتيق	المؤانسة عكارة	زيتونة	بجنان رأس الظهرة بجرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	عمر بن مسعود مطيمط	المؤانسة عكارة	زيتونة	بجنان بوعواجة جرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	لطيف بن رحومة الوريمي	عرش وريمة	زيتونة	بجنان رأس الظهرة بجرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	منصور بن علي بن فرج	المؤانسة عكارة	زيتونة	بجنان الغربي بجرجيس	-
زاوية سيدي مصدق بالمؤانسة جرجيس	سعيد بن عبد الله عرف الكوت	أولاد سعيد عكارة	زيتونة	جنان الصلع بجرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	صالح بن عبد الله لصيلع	المؤانسة عكارة	زيتونة	بجنان الصلع بجرجيس	-
زاوية سيدي مصدق المؤانسة جرجيس	عمر بن أحمد بن سالم	أولاد سعيد عكارة	نخلتان	سانية القرعاء بجرجيس	-

يتبين من خلال المعطيات الواردة في هذا الجدول أن أهالي جرجيس يميلون إلى تحبيس الزياتين بالدرجة الأولى والنخيل والأراضي البيضاء بدرجة أقل، وينبع هذا التوجه من أهمية شجرة الزيتون في الحياة الإقتصادية لأهالي جرجيس. ولا نجد خارج مجموع العقارات المحبسة إلا عقارا واحدا ليس من الأراضي ويتمثل في المخزن الكائن بقصر المؤانسة والذي قام بتحبيسه "الحاج إمحمد بن خليفة مطيمط" على مسجد سيدي عبد القادر بنفس المكان. لقد إختار أهالي جرجيس تحبيس أراضيهم منذ منتصف

القرن التاسع عشر، فقد عثرنا على بعض الرسومات التي تشير إلى ذلك مثل رسم حبس بالمنستير يرجع إلى سنة 1251 هـ وهو عبارة عن أراضي مشجرة زيتون قام بتحبيسها المدعو "رحيم بن خليفة العكاري "علي زاوية "سيدي الصياح" جد عكارة الكائنة قرب بنقردان وجرجيس، وتحبيس المدعو "سالم بن لطيف بن فتايل" لسانية مشجرة تين وزيتون بمكان يسمى العقلة بجرجيس على جامع الحصار بجرجيس وذلك سنة 1257هـ، وفي سنة 1263هـ قام المرابط "أحمد بن علي مصدق" بتحبيس أرض مشجرة على زاوية سيدي مصدق بالمؤانسة بجرجيس. والملاحظ أن جزء كبير من أحباس جامع الحصار بجرجيس ترجع إلى سنة 1295هـ أي في فترة بدايات انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، ووصل عدد هذه الأحباس إلى 29 حبسا. وتواصلت عمليات تحبيس الأهالي لأملاكهم على المؤسسات الدينية أثناء الفترة الإستعمارية.

يبلغ مجمل الأحباس التي قمنا بإحصائها في هذا الجدول 53 حبسا وينتمي المحبسون إلى بعض عروش قبيلة عكارة وبعض المجموعات الأخرى، وكانت غالبية هؤلاء المحبسين من عرش المؤانسة بـ 18 محبسا وبنسبة 33,96 % ونجد في الدرجة الثانية المحبسين من عرش أولاد سعيد وعددهم 9 ونسبتهم 16,98 % ويلي ذلك محبّسو عرش البريكات والأعواد وكان عددهم 8 بنسبة 15,09 % وكان عدد محبسي عرش أولاد بوعلي 7 بنسبة 13,2 % وهي نفس النسبة التي نجدها لدى بعض المجموعات الأخرى مجتمعة وهي الشياب، وريمة وخويلد.

لا شك أن تفاوت التحبيس بين العروش يعكس تفاوت قوة الوازع الديني بين مختلف المجموعات المذكورة، كما أن المعلومات التي عثرنا عليها بمختلف رسوم الأحباس المتعلقة بجرجيس لا تشير إلى عمليات تحبيس قام بها أفراد من عروش عكارة المتبقية وهم الزاوية، الخلايفة وأولاد إمحمد. ومن المعالم الدينية التي إستقطبت إهتمام المحبسين هو جامع الحصار بجرجيس وكان يسمى كذلك جامع البلدة، ويبدو أن هذا الجامع هو من المعالم الدينية الأولى التي وقع تأسيسها إذ يعود إلى فترة تأسيس برج الحصار في نهاية القرن الثامن عشر حتى أنه خظي بأكبر عدد من العقارات المحبسة بجرجيس ،التي وصلت إلى 1129 شجرة زيتون توزعت كالتالي :

- جدول توزيع 1129 شجرة زيتون محبسة على جامع الحصار [93]

أسماء الأجنة	عدد الزياتين	أسماء الأجنة	عدد الزياتين	اسماء الأجنة	عدد الزياتين	أسماء الأجنة	عدد الزياتين	أسماء الأجنة	عدد الزياتين
جنان لبيض بن شويخة	36	جنان عدالة	25	جنان مطيمط	25	جنان بوحافة	6	جنان الدكام	16
جنان بن قتايل	21	جنان مطيمط	12	جنان العودي	31	جنان مصدق	7	جنان التومي	31
جنان عدالة	49	جنان بن عاشور	17	جنان سعيد بن الحاج	23	جنان عبسى بوعون	30	جنان بوشهيوة	20
جنان مقيق	21	جنان الإحيول	15	جنان البريكي	17	جنان العودي	31	جنان الحاج حسن	23
جنان التومي	33	جنان محمد بن خليفة	-38 14	جنان الميلادي والفقيه عبد الله	34	جنان المرغني	11	جنان الشعيلي	29
جنان الميلادي	52	جنان لبيض والدخلي	25	جنان فريعة	20	جنان الحاج علي الدكام	25	جنان الشيباني التومي	45
جنان علي بن بوبكر	38	جنان سويسي	30	جنان أحمد مطيمط	21	جنان الدويهش	24	جنان بن تنفوس	29
جنان الحاج قاسم	5	جنان لعصادي	15	جنان مطيمط	19	جنان الجليدي والإحيول	55	جنان مطيمط	15
جنان الشايبي	17	جنان الشايبي	30	جنان الشايبي	38				

يبين هذا الجدول أن عدد المحبسين لأملاكهم على جامع الحصار هو 43 محبس وبذلك يكون معدل المحبس الواحد من أشجار الزيتون 26 شجرة، وهو رقم منخفض نسبيا لكنه مؤشر يعكس رغبة الأهالي في التحبيس كما أشرنا إلى ذلك. ومن بين الأحباس التي وردت في الجدولين السابقين لا نجد إلا حبسا واحدا يصنف ضمن أحباس الحرمين الشريفين التي يقع صرفها على الحجاج، وهو محبس من طرف "مغلية بنت سعيد بن مرزوق الغول" من عرش أولاد بوعلي عكارة مؤرخ في سنة 1298هـ ويتمثل في سانية مشجرة نخيل. ويبين الجدول الأول وجود صنف ثان مختلف عن بقية الأحباس الموجودة بجرجيس وهو حبس المصلين وينفق على مصلي زاوية مولاي الطيب وجامع الحصار وزاوية وجامع سيدي مصدق ويتمثل هذا الحبس في سانية مشجرة نخيل وتين محبسة من طرف الشيخ "عمر بن صالح دشيشة" بتاريخ 1276. وبإشتثناء حبسي الحرمين الشريفين والمصلين فإن كل الأحباس المتبقية محبسة على معالم دينية مثل المساجد والزوايا فلا نجد أحباسا وضعت على ذمة مدارس أو لأي غرض آخر

---

[93] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة D صندوق 65 ملف عدد 6

مثل الفقراء، والختان والجهاد.. إلخ. إضافة إلى ذلك فإن كل العقارات المشار إليها محبسة على معالم دينية موجودة بجرجيس بآستثناء جزء قليل منها حبس لفائدة جامع الحشر الذي بقي مكانه مجهولا ولم نوفق إلى معرفته. وتنقسم الأحباس الموجودة بجرجيس إلى نوعين وهي الأحباس العامة وأحباس الزوايا ويبدو أن جزءا كبيرا من احباس الزوايا وضعت تحت تصرف جمعية الأحباس فتحولت إلى أحباس عامة، وقد توصلنا إلى هذا الرأي بعد الإطلاع على كراس المعوضات المتعلقة باحباس جرجيس سنة 1949 المحفوظة بأرشيف إدارة الأحباس والتي تبين أن جل أحباس جرجيس في تلك الفترة وضعت ضمن المعوضات سواء مقابل عقار آخر أو مقابل مبلغ مالي ووضع هذه الأحباس على ذمة المعوضات يعني إنتماءها للأحباس العامة لأن أحباس الزوايا لا يمكن لجمعية الأحباس أن تتصرف فيها، ويبين الجدول التالي أحباس جرجيس القابلة للتعويض أو التصرف فيها ([94]) :

إسم المعلم الديني ومكانه	طبيعة العقار	العدد	مكان العقار	القيمة المالية للعقار بالفرنك
جامع مولاي الطيب بجرجيس	أصل زيتون	1	غابة أولاد سعيد بجرجيس	1500
جامع أولاد سعيد	أصل زيتون	1	جنان المبروك بن الأعراض بغابة اولاد سعيد جرجيس	1500
جامع أولاد سعيد	أصل زيتون	1	جنان عيسى المارغني بغابة أولاد سعيد بجرجيس	1500
جامع أولاد سعيد	أصل زيتون	1	جنان سالم العكاري بغابة أولاد سعيد بجرجيس	1500
جامع أولاد سعيد بجرجيس	أصل زيتون	1	جنان رقية بنت عمر غابة أولاد سعيد جرجيس	1500
جامع مسلم بجريس	جنان زيتون	9	غابة الظويهر بجرجيس	10000
جامع الحصار بجرجيس	جنان زيتون	5	جنان شوبارة بغابة بوحافة	10000
جامع الحصار	جنان زيتون	4	غابة بوحافة بجرجيس	4000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	8	غابة بوحافة بجرجيس	10000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	3	غابة بوحافة بجرجيس	4000
جامع الحصار	جنان زيتون	7	غابة بوحافة بجرجيس	20000
جامع سيدي منصور المؤانسة جرجيس	جنان زيتون	5	جنان محمد بالحاج غابة بوحافة جرجيس	28000
جامع سيد منصور المؤانسة جرجيس	جنان زيتون	4	غابة بوحافة	10000

[94] – أنظر معوضات أحباس جرجيس ضمن جريدة في بيان ما يحسن تفويته بالمعاوضة السريعة من رباعات اوقاف مدنين ،أرشيف وزارة أملاك الدولة والشؤون العقارية بتونس، مذكور سابقا.

جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	22	جنان علي بوبكر بسواقي أم الحلوف جرجيس	35000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	37	جنان بن عاشور بسواقي أم الحلوف بجرجيس	27000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	28	جنان ليحيول بسواقي أم الحلوف جرجيس	40000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	31	جنان العودي بسواقي أم الحلوف جرجيس	60000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	20	جنان فريعة بسواقي أم الحلوف جرجيس	40000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	51	جنان محمد بن خليفةبسواقي أم الحلوف جرجيس	50000
جامع أولاد سعيد جرجيس	جنان زيتون	2	جنان أولاد صالح بهنشير اليهودي بجرجيس	3000
جامع اولاد سعيد جرجيس	أصل زيتون	1	جنان بوشنيبة قرب السوق	2500
جامع سيدي منصور بالمؤانسة جرجيس	جنان زيتون	10	-	20000
جامع سيدي منصور المؤانسة جرجيس	جنان زيتون	6	جنان ضو بن عمر بغابة الشرشارة جرجيس	9000
جامع سيدي منصور بالمؤانسة جرجيس	أصول زيتون	3	جنان الجزيري	4500
جامع سيدي منصور المؤانسة جرجيس	أصلا زيتون	2	جنان سعيد الجبو	1600
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	11	جنان الجبو بالمؤانسة	11000
جامع الحصار جرجيس	أصل زيتون	1	جنان بورقيبة بسواقي أم الحلوف جرجيس	1200
جامع سيدي منصور المؤانسة جرجيس	أصول زيتون	3	غابة سواقي أم الحلوف جرجيس	3500
جامع سيدي منصور المؤانسة جرجيس	أصول زيتون	5	جنان الربيع بغابة سواقي أم الحلوف جرجيس	10000
جامع سيدي منصور المؤانسة جرجيس	أصول زيتون	4	غابة السحبي جرجيس	8000
جامع سيدي منصور المؤانسة جرجيس	أصل زيتون	1	جنان كاسوك	2000

جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	16	جنان بوحافة غابة سواقي أم الحلوف جرجيس	30000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	14	جنان ليحيول غابة أم الحلوف جرجيس	60000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	14	جنان الدكام بغابة السواقي أم الحلوف جرجيس	30000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	21	جنان الدويهش بغابة سواقي أم الحلوف	45000
جامع الحصار جرجيس	جنان زيتون	30	جنان الحاج قاسم بغابة سواقي أم الحلوف جرجيس	60000
جامع الحصار جرجيس	سانية	–	سانية محمد الشفار بخوي بن مريم	12000
جامع سيدي منصور المؤانسة جرجيس	أصل زيتون	1	جنان زواغة برأس الظهرة بجرجيس	2000
جامع سيدي منصور المؤانسة جرجيس	أصول زيتون	3	جنان منصور جبنون بغابة رأس الظهرة جرجيس	7500
جامع الحصار جرجيس	أصل نخيل	1	قصر الشلبة جرجيس	2000
جامع الحصار جرجيس	أصلا نخيل	2	سانية بوجناح	2000
جامع الحصار جرجيس	اصول نخيل	7	جنان حمادي جرجيس	10000
الحرمين وبن جابالله	أصول زيتون	7	جنان بهنشير الخلايفة بالسحبي جرجيس	14000
الذكوران!	جنان زيتون	21	جنان بخوي السوق	45000
الذكوران!	جنان زيتون	19	جنان بغابة الظويهر بجرجيس	25000
الذكوران!	جنان زيتون	15	جنان بهنشير اليهودي	25000
الذكوران!	جنان زيتون	23	بغابة السحبي بجرجيس	65000
جامع مسلم جرجيس	أصول زيتون	4	جنان سعيد مسلم بغابة الظويهر بجرجيس	6000
جامع مسلم جرجيس	أوصول زيتون	5	جنان محمد مسلم بغابة الظويهر بجرجيس	10000
جامع مسلم جرجيس	أصل زيتون	1	جنان العجيلي مسلم بغابة الظويهر جرجيس	1500
جامع مسلم جرجيس	أصلا زيتون	2	جنان محمد بن تلتوش بغابة الظويهر بجرجيس	3000
جامع أولاد سعيد جرجيس	حنان زيتون	5	جنان الأعراض بسانية الجراد	15000
جامع مسلم جرجيس	جنان زيتون	19	جنان بغابة الظويهر	25000

جامع الحصار بجرجيس	جنان زيتون	81	غابة بوحافة بجرجيس	136220
جامع الحصار جرجيس	قطعة أرض	–	قطعة أرض من جنان أولاد سعيد بقصر أولاد إمحمد	40000
جامع الحصار بجرجيس	3 قطع بها اصول نخيل	–	قطع بها أصول نخيل بجنان اولاد سعيد بجرجيس	75000
جامع مسلم جرجيس	أصول زيتون	11	جنان عبيشو بسواني أولاد سعيد بجرجيس	11000
جامع أولاد سعيد جرجيس	أصل زيتون	1	جنان العارف جرجيس	1000
زاوية مولاي الطيب جرجيس	جنان زيتون	34	قطعة في جنان عمر بن ضو بسانية جراد	44000

تشير الأرقام الواردة في هذا الجدول إلى أن ممتلكات جمعية الأحباس الموضوعة على ذمة التعويض بجرجيس قدرت سنة 1949 بما قيمته 1.159320 فرنك فرنسي وأن اغلب المعوضات هي من الزياتين. ورغم ذلك فإن المقدار المالي الذي تخصصه الجمعية لفائدة المؤسسات الدينية مثل المساجد والزوايا من أجل القيام بعمليات الصيانة كانت بطيئة أو منعدمة في أحيان كثيرة. وكمثال على ذلك فإن مسجد الحصار الذي له من الأحباس 1129 أصل زيتون قد تداعى في نهاية القرن الماضي (1897) وأصبح غير ممكن إحتضانه للمصلين مما دفع بالأهالي إلى مكاتبة السلطة المركزية من أجل فتح إكتتاب لجمع الأموال والقيام بعمليات الإصلاح، وقد أحيلت هذه العملية إلى جمعية الأحباس التي لم توفر إلا مبلغا قدره 500 فرنك من ضمن 2500 فرنك التي تتطلبها مصاريف الصيانة ([95]) كما تقدم أفراد عرش المؤانسة بجرجيس إلى السلطة المركزية لفتح إكتتاب في جمع الأموال لإصلاح مسجدهم – مسجد وزاوية سيدي مصدق بالمؤانسة– رغم المداخيل الهامة التي توفرها أحباس الزاوية المسجد المذكورة ([96]). ويدل ذلك على أن جمعية الأحباس لم تكن توفر النفقات المطلوبة لصيانة المؤسسات الدينية التي هي الأصل في عمليات التحبيس. وفيما يتعلق بالمعوضات فإن جمعية الأحباس كانت تشترط في العقار الذي سيتم قبوله مكان ما توفره الجمعية أن تكون له أفضلية، ونلاحظ من خلال تصفح ملفات المعوضات أن كثيرا من الأهالي قد قدموا مطالب لرئيس جمعية الأحباس بالحاضرة، يطلبون تعويض بعض أملاكهم بعقارات تملكها الجمعية التي كانت تقوم بتحريات دقيقة حول الأملاك التي سيتم قبولها وذلك بإرسال خبراء مثل أمناء الفلاحة ووكلاء الجمعية لتقدير القيمة الحقيقية للعقار والقيام بإحصاء تقريبي لمحصولاته خلال سنوات خلت. وتحتوي أرشيفات الجمعية على مئات الأمثلة من هذا النوع والمتمثلة في مطالب تعويض عقارية يقدمها الأفراد لإدارة الأحباس وقد كانت الأسباب التي تدفعهم إلى

[95] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة D صندوق 65 ملف عدد 6
[96] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة D صندوق 65 ملف عدد2

ذلك متنوعة مثل صلوحية العقارات التي تملكها الجمعية للبناء أو قربها من أملاك المتقدم بالطلب ولنا عدة أمثلة على ذلك في جهة جرجيس نشير من بينها إلى المطلب الذي تقدم به المدعو "الهوش بن علي بن سالم سريب البوعلي العكاري" الساكن بجرجيس لمعاوضة قطعة أرض مشجرة بـــ 71 أصل زيتون على ملكه كائنة بقرعاء التايب المبروك بغابة جرجيس بقطعة أرض مشجرة بـــ 81 أصل زيتون كائنة بغابة بوحافة بجرجيس، وبعد التحريات التي قام بها وكيل الجمعية بالمنطقة ومردودية كل قطعة خلال السنوات العشر الأخيرة ومساحة كل واحدة رفضت إدارة الجمعية هذا المطلب، لكنها عادت ووضعت هذه القطعة المشجرة زيتونا في المزاد العلني يوم 29 ديسمبر 1949 وقد تم التفويت فيها لصالح المدعو " علي بن شويخة البوعلي العكاري "([97]). إن عملية التفويت هذه كانت تشكل جزءا من إختيار فرضته الإدارة الإستعمارية تمثل في إفتكاك أراضي الأحباس ومنحها للمعمرين . وكانت هذه الإدارة تقوم بتعويض بعض الأراضي المنتزعة من الأفراد لفائدة إدارة الأشغال بأراضي أحباس مثل تعويضها لقطعة أرض على ملك المدعو "الشيخ منصور بن عبد السلام المحاط" كائنة بجهة شماخ لإعتمادها في تعبيد الطريق الرابطة بين جرجيس والقنطرة. وعندما يكون موقف الوكيل المحلي للجمعية مؤيدا لعملية التعويض أو التفويت يعتمد في تقاريره ملاحظات تؤيد موقفه من خلال إستعمال مصطلح "الجبوع" والمقصود بذالك شجرة الزيتون الكبيرة السن التي لا تنتج، بالرغم من أن تقارير أمناء الفلاحة تكون مختلفة مع تقارير وكيل الجمعية في غالب الأحيان.

لقد بدأ مسار التفويت مع إنتصاب الإدارة الإستعمارية في محاولة منها لتوظيف الأوقاف لصالح الإستعمار الفلاحي. ومع مجيء الدولة الحديثة وجدت موروثا كبيرا من العقارات المصنفة ضمن نظام الأحباس مما جعلها تصدر قانون ماي لسنة 1956 المتعلق بحل الأحباس وقد ادى ذلك إلى حل 150000 هكتارا من الأحباس العامة و850000 هكتارا من الأحباس الخاصة. وفي حين وقع إلحاق الأحباس العامة بنظام الأراضي الدولية، فإن الجمعية لم تجد صعوبة في حل الأحباس الخاصة نظرا لصبغة التفتت التي كانت تتميز بها وعلى العكس من ذلك بقيت كثير من أحباس الزوايا بدون حل ([98]).

ج – الأراضي الملك :

الأراضي الملك التي وُجدت بجرجيس في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن وهي عبارة عن أراضي خاصة تعود ملكيتها إلى الأفراد والعائلات وكانت موجودة بدخلة عكارة وقد تكونت من البساتين المروية بالأبار ومن غابات الزياتين وبعض الحقول المعتمدة في زراعة الحبوب، كما مثلت هذه

[97] أرشيف أملاك الدولة وقف جامع الحصار بجرجيس

[98] Sethom (Hafedh) Pouvoir urbain et paysannerie en Tunisie, CERES production 1992 p 27

الأراضي مناطق إستقرار بالنسبة لأفراد قبيلة عكارة وقد قدرت المساحة الإجمالية للأراضي الملك بـــ 50 ألف هكتار وهي عبارة عن سواني مملوكة بصفة فردية لا عائلية ومن ثمة فهي تخضع لأمتداد أفقي وآخر عمودي، يتمثل الإمتداد الأفقي في التطور المستمر بالنسبة للأراضي الملك وإزدياد حجمها عن طريق عمليات الإستصلاح والإستغلال ثم الملكية أما إمتدادها العمودي فيتجسد من خلال تعرض الأراضي الملك للتقسيم المستمر بين الورثة عند وفاة رئيس العائلة. وإذا لم يقع هذا التقسيم في الجيل الأول فإنه يقع في الجيل الثاني أو أن بعض الورثة يشتري من الأخرين نصيبهم مما يؤدي إلى إنقسام الملكية وتفتت حجمها، ولكن ذلك لا يحصل دائما، فيمكن أن يتفق الورثة على مبدأ المحافظة على أراضيهم دون تقسيم لأستغلالها في غراسة الزياتين وزراعة الحبوب أو للحيلولة دون بيعها لأشخاص لا ينتمون إلى نفس العائلة كما يشير إلى ذلك "الأستاذ ذويب" الذي يعتبر أن كل عائلات وأفراد قبيلة عكارة عند بدايات الإحتلال الفرنسي لجرجيس هم أصحاب "أرض ملك" ويقدر نصيب العائلة الواحدة ب 35 هكتار أما نصيب الفرد الواحد فيقدر بـــ 5 هكتارات ([99]). ويتجلى ذلك بصفة أوضح في مستوى ملكية أشجار الزيتون، فكل عائلة بجرجيس من ضمن 4600 عائلة (حسب إحصاء 1938) كانت تمتلك عددا معينا من الزياتين وقد إنقسمت ملكيتها كما يلي :

- 1000 عائلة تملك ما بين 20 و30 شجرة
- 1390 عائلة تملك ما بين 30 و50 شجرة
- 835 عائلة تملك ما بين 50 و100 شجرة
- 615 عائلة تملك ما بين 100 و1000 شجرة ([100]).

ورغم أن النسبة الغالبة (أكثر من 50 %) من جملة الأراضي لا تمسح سوى هكتارين (20 شجرة بالهكتار الواحد) فإن دلالتها تكمن في إنتشار الأراضي الملك وتوسعها سواء في فترة بداية الإحتلال وماقبله وكذلك بعد مرور أكثر من خمسين سنة على إنتصاب الإحتلال الفرنسي بمنطقة جرجيس .

د – أراضي المعمرين :

تزامن ظهور هذا الصنف من الملكية مع إنتصاب الإدارة الإستعمارية في تونس، وقد إستفاد من أصناف الملكية السالفة الذكر، فأراضي المعمرين هي خليط من الأراضي الجماعية التي خضعت

---

[99] Douib, La région ... op cit pp 44 -45
[100] Guyader, La propriété collective... p 21

للخصوصصة وأراضي الأحباس المفوت فيها والأراضي الملك التي وقع إفتكاكها أو أجبر اصحابها على بيعها بأبخس الأثمان. لقد كان تمركز المعمرين متجها إلى شمال البلاد ووسطها أما الجنوب التونسي، فلم يكن مبجلا لديهم في بدايات الإحتلال نظرا للصعوبات المناخية وكذلك لما أبداه أهالي الجنوب من مقاومة لإنتصاب الإدارة العسكرية لكن هذه الأفكار قد زالت بسرعة، خاصة بعد إكتشاف بعض الخصوصيات المناخية والفلاحية التي تتميز بها جهة جرجيس مقارنة ببعض المناطق الأخرى في اقصى الجنوب التونسي وكان أول من تفطن لذلك عامل الأعراض والصديق الشخصي لخليفة جرجيس "يوسف الليقرو" الذي قرر سنة 1882 أن يشتري عددا من البساتين بجرجيس لإستغلالها في بعض الأنشطة الزراعية ([101]). وفي نفس الإطار وبعد ستة سنوات قام "ماتي Mattei" والأخوين "كرلتون" بشراء قطعة أرض بالأخيات على بعد بعض الكلومترات غربي جرجيس قدرت بـــ 230 هكتار، وقد كانت هاتين العمليتين مدخلا لعملية إستقرار أوسع للمعمرين بجرجيس، لكن ذلك لم يكن يحظ بترحيب ضباط الإدارة العسكرية بالمنطقة لأنهم يعلمون أن تنامي عدد المعمرين الفرنسيين والأوروبيين بجرجيس يعني إخراج هذه المنطقة من دائرة التراب العسكري وضمها إلى المراقبة المدنية بقابس أو بعث مراقبة مدنية جديدة تضم كل من جزيرة جربة وجرجيس ([102]). لقد صاحب مجيء المعمرين الفرنسيين إلى جرجيس عمليات إفتكاك واسعة لأراضي الأهالي الذين كانوا يجبرون على بيعها وقد وجدت جثث كثير من حراس هذه الأراضي ملقات في سبخة المالح القريبة من جرجيس كرد فعل محلي على عمليات الإفتكاك ([103]) وقد قدرت الأراضي التي وقع إفتكاكها حتى سنة 1905 بـــ خمسة آلاف هكتار توزعت كما يلي ([104]) :

جدول توزيع الأراضي على المعمرين حتى سنة 1905

إسم المعمر	الأرض بالهكتار
Pellet et Narmi	1400
Gaufferteau	400
Morisot	50
Niculi	50
Brudigière	30
Hausson	25
Spiterie	30
Bouret	20
Pariente	2000
Careclton	280
Ketib	300
Gaela	80
Cassar	30

[101] Bailly, Notices ...opcit p 53.
[102] Violard, L'extrême sud ... opcit p 53.
[103] Douib la région de Zarzis... opcit p 55.
[104] Violard, L'extrême sud ... op cit p 54.

وقد رفض الأهالي عمليات إفتكاك أراضيهم وأبدوا رفضهم وإحتجاجهم ضد هذه الممارسات، فقد ذكر المعمر الفرنسي "بيلي Pellet" بأنه عندما إشترى قطعة أرض لا تتجاوز الهكتار على طريق مدنين آستظهر له ما يقل على 22 نفرا من الأهالي بحجج إمتلاك لهذه القطعة ([105]). بل إن بعض أفراد عرش المؤانسة قد ارسلوا بتشكياتهم إلى السلطة المركزية محتجين على إفتكاك هذا المعمر لأراضيهم والتي توزعت كما يلي([106]):

جدول إفتكاك أراضي افراد عرش المؤانسة من طرف المعمر "بيلي Pellet"

إسم صاحب الأرض	عدد الأشجار من زيتون وتين
عمار الجبو	9-20
الجزيري الصبي	20
سعيدْ بن مسعود الدزيري	20
التويس الدزيري	15
محمد الجزيري	20
عبد الله النويري	8
عمارة بوجناح	50- 70
المبروك بوجناح	12

لقد علق الفرنسي "فيولارد Violard" على عمليات إفتكاك الأراضي وردود الفعل المحلية قائلا" لقد كان على المعمرين أن يتحلوا بكثير من الصبر والعناد والجلد كي ينغرسوا في جهة أظهرت لهم العداء من البداية " كما أشار نفس الكاتب إلى رفض الأهالي بيع أراضيهم للرومي ([107]). وتكثفت عمليات إفتكاك الأراضي من الأهالي بعد أن تم بعث شركتي سيدي شماخ (سنة 1909) والشركة الفرنسية التونسية (سنة 1913) وقد تجاوزت ملكيات هاتين الشركتين من الأراضي ما يفوق 10 آلف هكتار تمت غراستها بـــ 60000 أصل زيتون و100 هكتار مشجرة لوز وتين وكروم وتمتلك شركة سيدي شماخ مربض مواشي بسيدي شماخ وحسي الجلابة، كما تعتمد الشركتين على أدوات متطورة لصناعة الزيت([108]).

[105] نفس المرجع ص 53
[106] الأرشيف الوطني التونسي سلسلة أ صندوق 182 ملف عدد 23
[107] Violard, L'extrême ... opcit 53
[108] Douib, La région de Zarzis II... opcit p 172 ; Historique de Zarzis ... opcit 41

خاتمة

لقد إنتهينا في هذا البحث إلى أن شبه جزيرة جرجيس قد تأثرت بالحضارات التي تعاقبت على تونس وبلاد المغرب العربي عامة. يمكن أن نشير بصفة خاصة إلى كل من الفنيقين والرومان والفتوحات الإسلامية ثم الإنتصاب العثماني و ما تلاه من إحتلال فرنسي للجهة. ورغم هذا التعاقب فإن الملامح العامة للجهة المدروسة و خاصيتها البشرية و الإدارية والثقافية و كذلك الإقتصادية – وعلى عكس الكثير من مناطق البلاد التونسية التي توجد بها شواهد تاريخية إسلامية و تتوفر حولها معطيات بالدفاتر الجبائية منذ نهاية القرن السادس عشر– لم تتبلور إلا مع منتصف القرن الثامن عشر الميلادي.

لقد أطلقت القبائل على هذه الجهة تسمية بلاد الخوف و ما يرمز إليه ذلك من حدة الصراع القائم بين المجموعات القبلية من أجل السيطرة على هذه الجهة ربما لأهميتها الفلاحية مقارنة ببقية مناطق أقصى الجنوب التونسي وغربي البلاد الطرابلسية. لقد تزامن ذلك مع إستقرار قبيلة عكارة التي تحول موطن إستقرارها من التخوم التونسية الطرابلسية حيث توجد الأراضي الجماعية للقبيلة إلى هضبة جرجيس حيث أعاد " علي باي" ترميم البرج الإسباني القديم و قام كل عرش من عروش عكارة بتشييد قصر خاص به يرمز إلى التعلق بالأرض والإنفصال تدريجيا عن حياة الترحال والبداوة والميل نحو الإستقرار الذي بدأ يتدعم مع دخول الإستعمار الفرنسي إلى جرجيس.

لقد أدرك ضباط الإدارة الإستعمارية منذ بداية إنتصابهم أن جهة جرجيس كانت تعيش شيئا من التهميش والدونية في ظل دولة البايات وفي ظل عمق النزاعات القبلية بالرغم من أهمية موقعها ومواردها الإقتصادية ، فآتجهوا إلى وضع إستراتيجية جديدة تجلت ملامحها في المستوى الإقتصادي في تشجيع غراسة أشجار الزيتون وبعث صناعة مرتبطة بذلك من خلال إنشاء المعاصر ودعم قطاع الصيد البحري وخاصة صيد الإسفنج والأستفادة من الزراعات المحلية و خاصة زراعة الحبوب وبعث المؤسسات الإقتصادية التي تنسجم مع الطبيعة الرأسمالية للإقتصاد العالمي مثل شركة سيدي شماخ والإنفتاح التدريجي على هذا الإقتصاد عبر تعميم نظام التعامل النقدي، وفي المستوى الإداري عبر إنشاء مؤسسات جديدة مثلما هو الشأن بالنسبة لمصلحة الشؤون الأهلية وإعادة تنظيم مؤسستي الخلافة والمشيخة بداية من سنة 1892 و بعث البلدية (مجلس الطرقات) بداية من سنة 1889 وفي المستوى التعليمي عبر إنشاء المدرسة الفرنسية– العربية للذكور سنة 1887 ومدرسة الإيناث في 1906 وإعادة تنظيم الكتاتيب عبر إيجاد المدارس القرآنية العصرية.

لقد شملت الإستراتجية الإستعمارية مختلف مجالات الحياة مستهدفة من وراء ذلك إقناع "الأهالي" بشرعية الإستعمار الفرنسي، عاملة على إدماج المجتمع المحلي ضمن المنظومة الثقافية و" الحضارية " الفرنسية بعد تخليصه من روابطه ومؤسساته التقليدية القائمة على أساس قبلي مثل ميعاد القبيلة و ظاهرة العروش

و ما صاحبها من إنتماء وولاء، والطرقية والزوايا بإعتبارها أشكالا للممارسة الدينية المحلية، وشكل الملكية الجماعي للأرض الذي إستهدفته عدة أوامر و قوانين مثل أمري 1901 و1918.

لقد ظهرت في مواجهة هذه الإستراتيجية الشاملة إرادة محلية ترفض الإندماج والتفرنس بالرغم مما يبدو من قبول للواقع الجديد في بداية الأمر. لقد أخذت هذه الإرادة أشكال مقاومة جنينية ذات طابع عفوي ما انفكت أن تحولت إلى حركة منظمة ضمن خلايا الحركة الوطنية.

إن هذا الكتاب في نهاية الأمر هو محاولة لإعادة تشكيل تاريخ المجتمع المحلي بجرجيس كمدخل من شأنه أن يساهم في إعداد الأرضية لإعادة قراءة التارخ الوطني.

قائمة المصادر والمراجع

الوثائق الأرشيفية

1/ وثائق الأرشيف الوطني التّونسي :

أ- الدفاتر الإدارية والجبائية : الدّفاتر أرقام 693-761-4065.

ب- السلسلة التّاريخية : مراسلات العمّال –القيّاد– : صندوق عدد 18 الملفات 205 – 206– 207، صندوق عدد 42 ملفات 476-477-478-479-480-481-482.

ج- السلسلة أ : المشائخ والخلوات :

- الصندوق عدد 180 الملف عدد 15
- الصندوق عدد 181 الملف عدد 2
- الصندوق عدد 182 الملفات عدد 28،27،26،25،23،2،1.
- الصندوق عدد 183 الملف عدد 1
- الصندوق عدد 193 الملف عدد 1

د- السلسلة د : أيمّة المساجد ورؤساء الطرق الصوفية والزوايا :

- الصندوق عدد 34 الملف عدد 3،2،1
- الصندوق عدد 55 الملف عدد 2
- الصندوق عدد 65 الملف عدد 6،2
- الصندوق عدد 111 الملفات عدد 9،8،7،6
- الصندوق عدد 153 الملفات عدد 2،3،4،5
- الصندوق عدد 156 الملف عدد 31

هـ- السلسلة E : البنية الأساسية والتعليم والمؤسسات العسكرية ...الخ.

- الصندوق عدد 281 الملفات عدد 1،4،8
- الصندوق عدد 393 الملف عدد 1،2
- الصندوق عدد 396 الملف عدد 6

2/ وثائق جمعية الأحباس ضمن أرشيفات وزارة أملاك الدّولة :

- رسوم زاوية الصياح قرب جرجيس
- رسوم جامع سيدي مصدق بجرجيس
- رسوم عموم أوقاف جرجيس
- رسوم أوقاف جامع الحصار بجرجيس
- رسوم أوقاف جامع الحشر بجرجيس

- رسوم أوقاف زاوية سيدي عبد القادربالموانسة بجرجيس
- رسوم أوقاف جامع مسلم بالسويحل بجرجيس
- معوضات أحباس جرجيس ضمن جريدة في بيان يحسن تفويته بالمعاوضة السريعة من رباعات أوقاف مدنين.

3/ وثائق المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية :

– Notice sur les tribus المحفوظة بالصناديق 121-128 في المصلحة التاريخية لجيش البر الفرنسي والموجودة في شكل ميكروفيلم بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

–Betirac, Notices sur les mhabeuls 1888.

-Bailly; Notices sur les Accaras 1887.

4/ وثائق مركز الدّراسات العليا حول الإدارة الإسلامية :

- Centre des hautes études d'administration musulmane :

– أحدث هذا المركز في بداية الثلاثينيات ويرتبط مباشرة بمؤسسة الرئلسة القرنسية ويحتوي على مجموعة من المذكرات الهامة التي كان يعدها ضباط الإدارة الاستعمارية الفرنسية أثناء نهاية فترة التدريب بإحدى المستعمرات الفرنسية "الاسلامية" ومن أبرز المذكرات :

- Guyader, Organisation administratives des territoires du sud tunisien, mémoire n°6, Paris 1941.
- Forest (G) , Coutumes des populations de circonscription de tataouine, mémoire n°573, Paris 1941.
- Malaquin, Un demi-siècle de protectorat Français dans une région du sud Tunisien, le développement de Zarzis, mémoire n°289, Paris 1939.
- Moreau (P), Le problème du nomadisme dans le sud Tunisien, mémoire n°1023, Paris 1950.

5/ وثائق الضيعة الفلاحية بسيدي شماخ :

– محاضر جلسات مجلس إدارة كل من شركة سيدي شماخ والشركة الفرنسية التونسية العقارية والفلاحية والشركة التونسية لزياتين سيدي شماخ بين سنتي 1913و1937.

6/ وثائق بلدية جرجيس تنقسم إلى نوعين :

أوّلا محاضر المجلس البلدي وعددها 1500 محضر ترجع إلى سنة 1889 تاريخ بعث بلدية جرجيس وثانيا دفاتر الحالة المدنية.

7/ وثائق المدارس الابتدائية :

- السجل التاريخي للمدرسة ويحفظ معلومات متعلقة بالمدرسة ومحيطها، هذه الوثيقة شديدة الثراء والدقّة. لقد إكتفينا بدراسة السجل التاريخي لكل من المدرسة الفرنسية–العربية للذكور التي أسست سنة 1887 والمدرسة الفرنسية–العربية للإناث التي أسست سنة 1906.
- دفاتر مناداة التلاميذ بكل مدرسة، وتكمن اهميتها فيما تحويه من معلومات حول الأصول القبلية والمهنية لأولياء التلاميذ ومدى تطور أو إنخفاض عدد المسجلين بالمدرسة ونسب الانقطاع والنجاح والفشل.

8/ الوثائق الخاصة : وهي وثائق محفوظة لدى بعض الأفراد والعائلات :

- شجرة نسب الولي الصياح المحفوظة لدى عائلة المرحوم الخوجة حسن خنيسي.
- شجرة ورد العيساوية المحفوظة لدى القائمين على زاوية سيدي إمحمد بن عيسى بجرجيس.
- عقود الملكية وعقود البيع والشراء المحفوظة لدى عائلة الصويعي بجرجيس إضافة إلى عقد عتق مملوك عثرنا عليه لدى عائلة مطيمط بجرجيس.
- اتفاقيات مبرمة بين عروش عكارة والتوازين والخزور المتعلقة بالملكية الجماعية للأرض وباتفاقات الرعي تسلمنا بعض نظائرها من الاستاذ السابق بكلية الحقوق بتونس المرحوم الحارث مزيودات وقد سلمت إليه من قبل بعض عائلات عكارة لاستخدامها في صراعها مع التوازين حول الأراضي الجماعية.
- وثائق وتقارير متعلقة بمشاركة أفراد من جرجيس في أعمال الحركة الوطنية وهي على التوالي :
- رسائل بورقيبة من منفاه في جزيرة جالطة إلى المختار الوريمي بتاريخ 11 سبتمبر 1952.
- وثائق وتقارير وشهادات حول مشاركة سعيد بن مرزوق جرمود في النضال الوطني.
- تقرير مرقون يحتوي لمحة عن حياة المناضل البشير بن خليفة عبيشو ودوره في الحركة الوطنية.
- تقرير مرقون حول دور المناضل الهاشمي بوشنيبة في النضال الوطني.

كتب ومقالات باللغة العربية

- أعمال الملتقى الوطني حول تاريخ جربة، تأليف مجموعة من الباحثين من المعهد القومي للآثار، تونس 1986.
- أكنوش –عبد اللطيف– ، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب افريقيا الشرق (ب ت ط).
- إبن أبي الضياف –أحمد– ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس 1963.
- إبن حوقل ، صورة الأرض ، دار ومكتبة الحياة ، بيروت (ب ت ط).
- إبن خلدون –عبد الرحمان– المقدّمة ،الدار التونسية للنشر ، تونس 1984.
- إبن منظور ، لسان العرب ، 18 جزءا ، دار إحياء التراث ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت 1992.
- إدريس –الهادي روجية– الدولة الصنهاجية ،جزءان ، نقله إلى العربية حمّادي الساحلي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1992.
- البشروش –توفيق– الدّيات في تونس ، مجموعة أيام الناس ، 1992.
- البكري –أبو عبيد– المسالك والممالك ، جزءان ، بيت الحكمة ، قرطاج ، الدار العربية للكتاب 1992.
- التليسي –محمد خليفة– معجم سكان ليبيا ، دار الريان ليبيا 1991.
- التميمي –عبد الجليل– عتق العبيد وعددهم في منتصف القرن التاسع عشر بإيالة تونس ، المجلّة التاريخية المغاربية ، عدد 39–40 ، زغوان 1985.
- التيجاني –أبو محمد عبد الله بن محمد– رحلة التيجاني ، الدار العربية للكتاب 1981.
- التيمومي –الهادي– إنتفاضات الفلاحين في تاريخ تونس المعاصر، مثال تالة 1906 ، بيت الحكمة قرطاج 1993.
- الجدي –أحمد– مصادر جديدة عن تاريخ الوطن القبلي في العهدين الحديث والمعاصر ، تقديم دفاتر عدول الإشهاد بمنزل تميم (1874–1930) ، مجلة روافد المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس ، عدد 1 سنة 1995.
- الساحلي –حمادي– نبذة عن حياة المناضل محمد العابد بوحافة ، المجلة الصادقية عدد 17 ، جانفي 2000.
- الشريف –محمد الهادي– ردود فعل المدن التونسية على الاحتلال الفرنسي سنة 1881 وحدودها ضمن ردود الفعل على الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية في سنة 1881 ، منشورات المركز القومي الجامعي العلمي والتقني ، تونس 1986.

- الشريف –محمد الهادي– تاريخ تونس ، سراس للنشر ، تونس 1993.
- العروي –عبد الله– مجمل تاريخ المغرب ، جزءان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط4 1994.
- العيادي – توفيق– المقاومة الصفاقسية للاحتلال الاستعماري في سنة 1881 ، ضمن كتاب ردود الفعل على الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية في سنة 1881 ، منشورات المركز القومي الجامعي العلمي والتقني ، تونس 1986.
- العياشي –مختار– التعليم العصري الفرنكو/عربي في تونس في بداية الحماية ، ملتقى واقع التعليم والمعرفة في تونس ، نظمته جمعية المحافظة على التراث بجرجيس سنة 1996 غير منشور.
- القسنطيني –الكراي– الأرياف المحلية والرأسمال الاستعماري ظهير صفاقس 1892–1929 ، منشورات كلية الآداب بمنوبة 1992.
- القشاط –محمد سعيد– خليفة بن عسكر من الثورة إلى الاستسلام ، دار المسيرة ، بيروت 1988.
- القصاب –محمد– تاريخ تونس المعاصر 1881–1956 ، ترجمة حمادي الساحلي ، الشركة التونسية للنشر ، تونس 1986.
- المحجوبي –علي– إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، دار سراس للنشر 1986.
- المرزوقي –محمد– صراع مع الحماية ، دار الكتب الشرقية ، 1973.
- المرزوقي –محمد– مع البدو في حلّهم وترحالهم ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا–تونس 1984.
- المناكري –المولدي– من مواطني جرجيس إلى من يهمه الأمر ، تقرير محامي عكارة إلى سلطة الإشراف ، 1987.
- الوزير الحاج حمودة بن محمد بن عبد العزيز ، الكتاب الباشي ، تحقيق الشيخ محمد ماطور ، الدار التونسية 1970.
- بالو –ليونيل– إفريقيا الشمالية ما قبل التاريخ ضمن تاريخ إفريقيا العام ، مؤلف جماعي ، جزءان ، جون أفريك ، اليونسكو 1980.
- برنشفيك – روبار– تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، تعريب حمادي الساحلي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1988.
- بن بلغيث –الشيباني– الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859–1882) ، منشورات مؤسسة التميمي زغوان – كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة صفاقس ، 1995.
- بن طاهر –جمال– الفساد ورردعه ، الردع المالي وأشكال المقاومة والصراع بالبلاد التونسية 1705–1840 ، منشورات كلية الآداب بنوبة ، تونس 1995.
- بوزيد –لمجد– السجن والمساجين بجهة الاعراض 1868–1881 من خلال الارشيف الوطني ، المجلة التاريخية المغاربية عدد 77–78 ، زغوان ماي 1995.

- بوطالب –محمد نجيب– بعض مظاهر التواصل والقطيعة في الملكية المشتركة للأرض وانعكاساتها : نموذج الجنوب الشرقي ، دراسة مرقونة نشرت ضمن التحولات في الأرياف المغاربية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس ، سلسلة 7 ، مجلد 5 ، 1996.
- بوطالب –محمد نجيب– وضعية المثقفين بجرجيس في الفترة الاستعمارية من خلال بعض ملفات الأرشيف الوطني ، ضمن كتاب شبه جزيرة جرجيس عبر التاريخ ، نشر جمعية المحافظة على التراث بجرجيس ، سبتمبر 1995.
- بوعزيز –يحي– مقاومة جربة للغزوات الأروبية في القرن السادس عشر ، ضمن أعمال الملتقى الأول حول تاريخ جربة ، المعهد القومي للآثار 1986.
- بورقية –رحمة– الدولة والسلطة والمجتمع : دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب ، دار الطليعة بيروت 1991.
- تاريخ إفريقيا العام ، مؤلف جماعي ، جزءان ، جون أفريك – اليونسكو 1980.
- تشايجي –عبد الرجمان– المسألة التونسية في السياسة العثمانية 1881–1913 ، ترجمة عبد الجليل التميمي ، دار الكتب الشرقية بيروت 1973.
- جغلول –عبد القادر– مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط ، دار الحداثة بيروت ط2 1988.
- جوليان –شارل أندري– تاريخ إفريقيا الشمالية ، جزءان ، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر 1983.
- حسن –محمد– الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي ، المستقبل العربي عدد 72 ، بيروت 1985.
- حسن –محمد– علاقة الأرياف بالمدن بالمغرب العربي من نهاية الدولة الموحدية إلى بدايات العهد العثماني ، أطروحة دكتوراه الدولة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس 1995.
- حسن –محمد– حول الجذور الاجتماعية والسياسية والبشرية للفرق الاباظية الموجودة بالجنوب التونسي في بداية العصر الوسيط ، ضمن أعمال الملتقى الأول حول تاريخ جربة ، المعهد القومي للآثار 1986.
- حسن –الفقيه حسن– حملة نابلي على طرابلس 1828م/1244ه ، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي 1978.
- درين –علي– تاريخ شبه جزيرة جرجيس من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة البيزنطية ، ضمن كتاب شبه جزيرة جرجيس عبر التاريخ ، نشر جمعية المحافظة على التراث بجرجيس ، سبتمبر 1995.
- ذويب –عبد المجيد– جرجيس ، دائرة المعارف التونسية ، بيت الحكمة قرطاج ، كراس عدد1 1990.

- الصادق –محمد الحاج– المغرب العربي ، من كتاب نزهة المشتاق للادريسي Edition Publich Sud CO 1983.
- لبيض –سالم– النسيج القبلي في شبه جزيرة جرجيس : قراءة نقدية في بعض الوثائق الفرنسية ، ضمن كتاب شبه جزيرة جرجيس عبر التاريخ ، نشر جمعية المحافظة على التراث بجرجيس ، سبتمبر 1995.
- لبيض –سالم– حركة المقاومة في أقصى الجنوب التونسي من القبيلة إلى الخلية الحزبية ، ضمن أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي المعاصر حول منهجية كتابة تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب العربي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان 1997.
- لبيض –سالم– قراءة في علاقة مجتمع عكارة بالسلطة المركزية في تونس بين 1850 و1907 ، مجلة إبلا عدد 1996/1/177.
- لبيض –سالم– وثيقة عن الأصول الشريفة لقبائل المغرب العربي ، المجلة العربية التاريخية للدراسات العثمانية عدد 15–16 سنة 1997.

كتب و مقالات باللغة الأجنبية

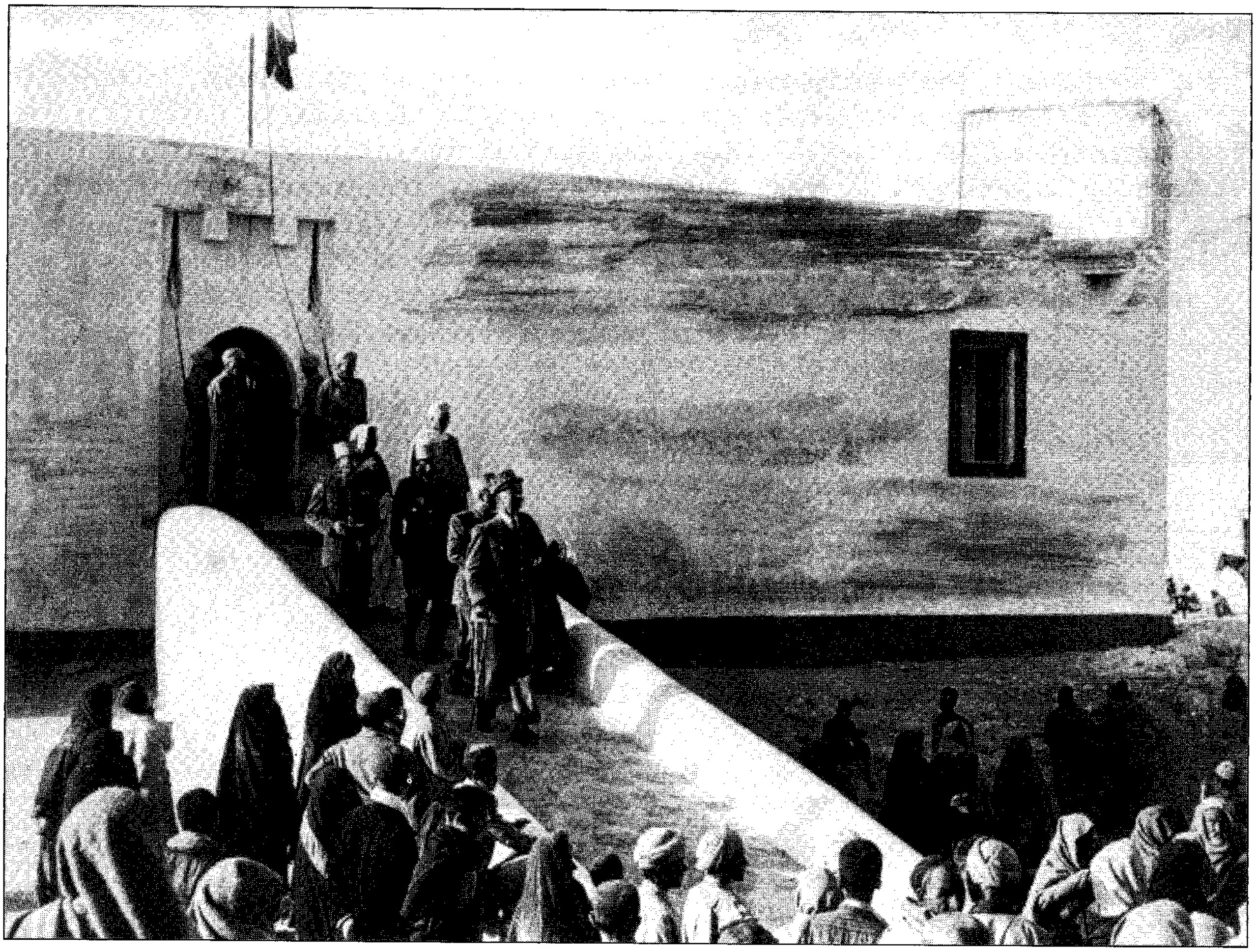
- Anonyme ; l'industrie des pêches en Tunisie bulletin de l'industrie des pêches sur les côtes Tunisienne n° 4 juin 1920.
- Anonyme unité de développement de Zarsis 1961-1971 I.S.E.M- AN Tunis Juin 1963.
- Anonyme, Etude sur l'administration militaire du sud Tunisien commandement supérieur des troupes de Tunisie état major 2ème bureau d'archives de vincenne.
- Bailly notice sur les accara les archives de l'armée de terre château de vincenne 1887.
- Bauron (p) de carthage au sahara Tours 1892.
- Bedaux, legende des accara in bulletin de liaison saharienne juin 1951.
- Bellair – baudier (R) la pêcherie de biban in bulletin économique et sociale de la Tunisie n° 92 septembre 1954.
- Bellot, plan quadrienal déquipement et de recasement agricoles des Accara rapport non publié Zarzis 1950.
- Bersot ; le yousfisme centre des hautes études administratives sur l'Afrique et l'asie moderne Paris novembre 1958.
- Berthelon, Etudes geographique et économique sur la province de larad in revue Tunisienne 1894.
- Betirac ; notice sur la tribu de mhabeul les archives de l'armée de terre vincenne Paris 1888.
- Bossoutrot (auguste) notes sur Medenine Gsar du sud publication et traduction par aberrahmen Ayoub cooperation ouvrière d'impression de publication Sfax Tunis.
- Bouaicha (M) le parler de Zarzis étude descriptive d'un parler arabe du sud est Tunisien ; Thèse de doctorat 3 Tomes université rene decartes 1993.
- Bouchard ; la culture de l'olivier dans la region de Zarzis in bulletin de la direction de l'agriculture du commerce et de la colonisation n° 55 ; 1912.
- Bouhafa (A) pages noires du mouvement nationaliste-destourrien ducument soumis à l'honorable Zine el Abidine ben Ali 7 nouvembre 1988.
- Chavanne historique des affaires indigenes de Tunisie bourg 1931.
- Charif (A) la pêche à Zarzis approche socio-économique et spatiale in la pêche cotière en Tunisie et en mediterrannée centre d'études et de recherches économiques et sociales Tunis 1995.
- Cherif (M.H) mouvement paysans dans la Tunisie du 19éme siècle in revue de l'occident musulman et de la mediterranée n° 30, 2éme semestre 1980.
- Direction Générale de l'interieur denombrement de la population civile indigene (musulmane et israelite) en Tunisie 1931.
- Donau ; autour Gigthis Bulletin archeologique 1920.
- Douib (A) la region de Zarzis II contacte europeene et exploitation du sol 1881-1959 in cahier de Tunisie n° 79-80 ; 1972.

- Douib (A) la region de Zarzis M.D.E.S institut de geographie université Paris I sorbonne Paris 1995.
- Doutté (M) les marabouts ; notes sur l'islam magrebin paris 1900.
- Drine (A) Le site d'elmdeina au sud d'elbiban « la zouchis » de straban reppal VII-VIII institut national d'archeologie et d'art Tunis 1994.
- Drine (A) note sur le site de Ztha (Zian) à Zarzis in reppal VI institut national d'archeologie et d'art Tunis 1991.
- Dumas (P) les populations indigenes et la terre collective de tribu en Tunisie 1912.
- Ellafi (Jilani) organisation sociale d'une tribu du sud Ttunisien les twazin à la veille du potectorat Français memoire de maîtrise d'histoire université Paris VIII Novembre 1976.
- Gragueb (A) notes sur le voyage de Tijani dans le sud Tunisien les cahiers de Tunisie n° 93-94 Tunis 1976.
- Guerin (V) voyage en Tunisie 2 T paris 1862.
- Guyader ; organisation administrative des territoires du sud Tunisien centre des hautes études d'administration musulmane memoire n° 6 Paris 1941.
- Hammoudi (A) sainteté, pouvoir et société tamghrut au 17 ème et 18 ème siècles annales économie et société et civilisation 35 ème année 1980.
- Harry (maryem) la Tunisie enchanté Paris 1931.
- Historique de l'annexe des affaires indigenes de Zarzis bourg 1931.
- Historique du bureau des affaires indigenes de Medenine bourg 1931.
- Historique du bureau des affaires indigenes de Tataouine Bourg 1931.
- Historique du l'annexe des affaires indigenes de Bengardane Bourg 1931.
- Housset, le statut des terres collectives et la fixation au sol des indigenes de Tunisie Paris 1939.
- Jouili (Mohamed) le leader politique dans l'imaginaire islamique Deux archatypes : Ali et Muawiya thèse de doctorat école pratique des hautes études Paris sorbonne 1995.
- Kilani (Mondher) La construction de la memoire Labor et fides genève 1992.
- L'arguèche (D et A) marginales en terre d'islam CERES Tunis 1992.
- L'homme mediterranneen et la mer actes du troisième congrés international d'études de cultures de mideterranée occidentale Jerba Avril 1981 institut national d'archeologie et d'art de Tunis 1985.
- La fitte (F) servonnet (J)le Golf de Gabès Paris 1888.
- La pêche cotière en Ttunisie et en mediterrannée centre d'étude et de recherches économiques et sociales Tunis 1995.
- Largueche (DB) Watan al munastir Faculté des lettres manouba 1993.
- Le bœuf (J) historique de la conquête pacifique des territoires militaires in revue Tunisienne 1907.
- Le bœuf (J) la colonisation romaine de l'extreme-sud Tunisien Revue Tunisienne 1904.
- Le bœuf (J) monographie geographique de la population indigène du territoire militaire de Gabès in bulletin de geographie historique et descriptive n°2 ; 1905.

- Le sud Tunisien revue geographique anuelle 1900.
- Le bœuf (J) les confins de la Tunisie et de la tripoltaine Paris Nancy ; berger levrault 1909.
- Les transformations actuelles des sociétés rurales du maghreb actes du colloque organisé en avril 1993 serie 7 volume 5 faculté des sciences humaines et sociales de Tunis 1996.
- Lewiki (T) du nouveau sur la liste des tribus berberes d'ibn Hawkal in Folia orientalia tome XIII, 1977.
- Lieutenant d'arbaument ; La confrerie Tijania situation et rôle en Tunisie (étude dactylographie) juillet 1941.
- Louis (A) la Tunisie du sud, Ksar et villages des crêtes C.N.R.S. Paris 1975.
- Malaquin, un demi-siècle de protectorat Français dans une region du sud Tunisien. Le developpement de Zarzis centre des hautes études d'administration musulmane memoire n° 289 Paris 1939.
- Maquart ; Etudes sur la tribu des haouia in revue Tunisienne 1937.
- Martel (A) le makhzen du sud tunisien document in cahiers de Tunisie 1966.
- Martel (A) les confins saharo – Tripolitaine de la Tunisie 188-1911 deux tomes PUF 1965.
- Martel (A) Le makhzen du sud Tunisien (1881-1910) cahier de Tunisie 4 ème trimestre 1960.
- Marty (J) les territoires du sud Tunisien et leurs ressources arbustives thèse de doctorat Alger 1944.
- Menouillard (H) mœurs indigenes en Tunisie la tonte des moutons (EZZaza) revue Tunisienne 1906.
- Menouillard (H) une noce à Zarzis revue Ttunisienne 1905.
- Menouillard (H) Zarzis monographie du territoire des accara in bulletin de direction de l'agriculture ; du commerce et de la colonisation 1912.
- Menouillard (H) mœurs et coutumes indigenes pratiques pour Soliciter la pluie revue Tunisienne 1910.
- Monchicourt (CH) Mœurs indigene la fête de l'achoura in revue Tunisienne 1910.
- Mzabi (H) Tunisie du sud-est Geographie d'une region Fragile marginale dependante université de Tunis Faculté des sciences humaines et sociales Tunis 1993.
- Nomenclature et repartition des tribus de Tunisie châlon sur Ssone 1900.
- Pellissier (e) Description de la regence de Tunis edition bouslama Tunis 1980.
- Pouillon (F) Albergoni (E) le fait berbère et sa lecture coloniale : l'extreme sud Tunisien cahiers jussieu n° 2 université Paris VII 1976.
- Queyrel (F) De Paris à Zian indentification d'un groupe Julio-claudien antiquités africaines C.N.R.S. Paris 1993.
- Rebillet ; le bahira d'elbiban et medeine bulletin archeologique 1892.
- Rebillet ; le sud de Tunisie Gabès 1886.
- Reinach (S) Babelon (F) recherches archeoligiques en Tunisie Bulletin archeologiques en Tunisie Bulletin archeologique 1886.

- Sethom (H) pouvoir urbain et paysannerie en Tunisie CERES production 1992.
- Shatzamiller (M) le mythe d'origine berbere aspects, historiographiques et sociaux revue de l'occident musulman et de la mediterranée 35 ; 1983.
- Thomas (J) a travers le sud Tunisien Paris 1930.
- Tissot (charles) Geographie comparée 2T Imprimerie nationale 1888.
- Violard (E) l'extreme sud tunisien Tunis la rapide 1905.
- Zaied (Abdesmad) Le monde des Ksours du sud-est Tunisien Beit El Hikma Carthage 1992.
- Zaouali (J) La mer des bibans (Tunisie meridionale) aperçu Général et problème de la pêche in l'homme mediterraneen et la mer, actes du troisième congrés international d'études de culture de la mediterrennée occidentale Jerba avril 1981 institut national d'archeologie et d'art de Tunis 1985.
- Zaouali (J) la mer des bibans étude ecologique et socio-économique in la pêche cotière en Tunisie et en Méditerrannée centre d'études et des recherches économiques et sociales Tunis 1995.

ملحق صور ووثائق تاريخية



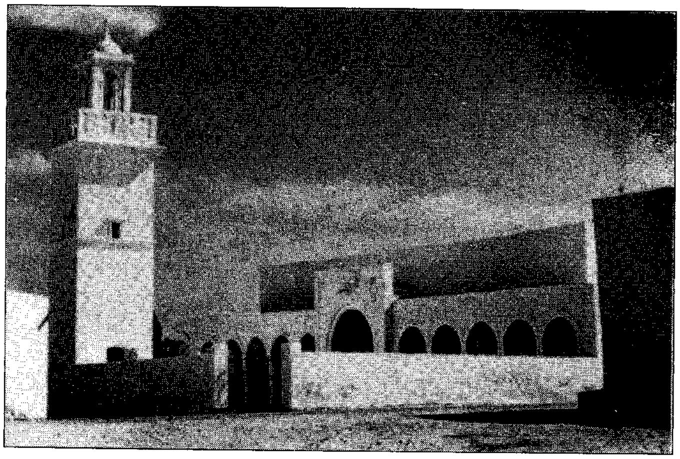
برج الحصار بجرجيس أثناء زيارة أحد الضباط الفرنسيين سنة 1936



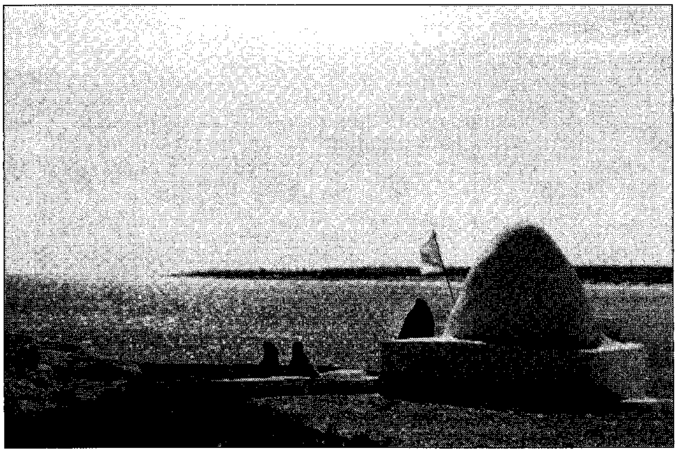
صورة فضائية لجرجيس سنة 1936 وتحتوي على : برج الحصار - جامع الحصار - قبة ضريح السيد جرجيس



صورة فضائية لجرجيس سنة 1917



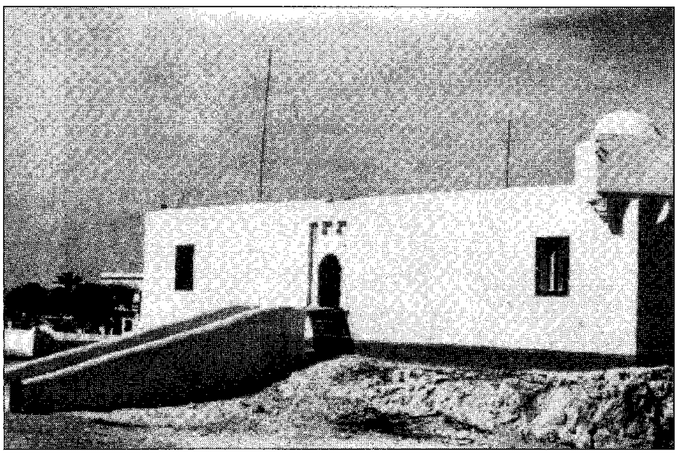
مسجد الحصار
بجرجيس
سنة 1953



ضريح أحد الأولياء
الصالحين بجهة
رأس مرمور
شمال دخلة عكارة
جرجيس



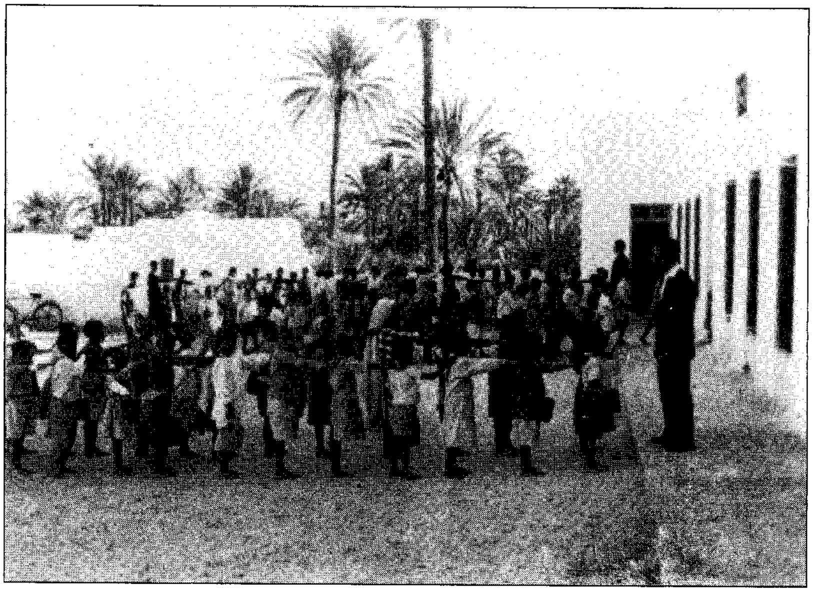
الكنيسة الكاثوليكية
بحرجيس،
تم تأسيسها
سنة 1920
(المقر الحالي لمتحف جرجيس)



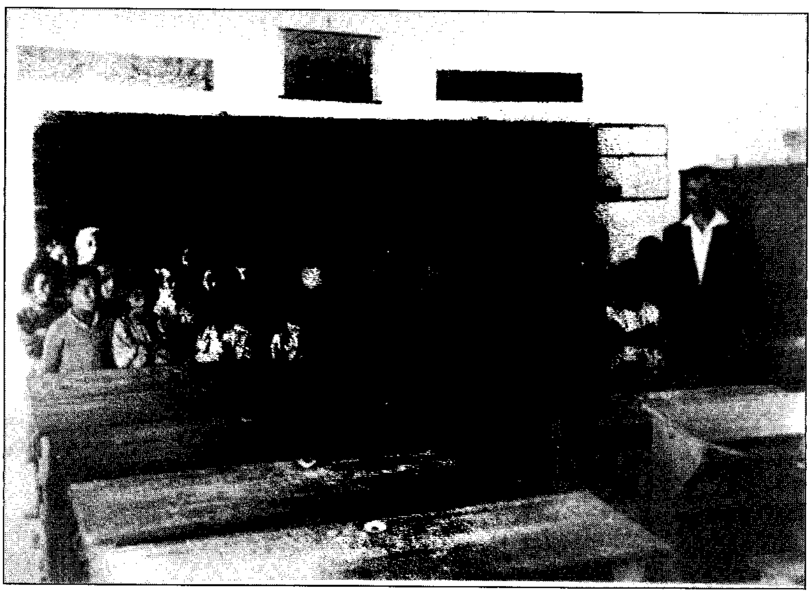
صورة لبرج الحصار
بجرجيس سنة 1952



تلميذات المدرسة العربية
الفرنسية للإيناث في الخمسينات



تلاميذ
مدرسة
قصر
الزاوية
بجرجيس
في
الخمسينات





تلميذات المدرسة

العربية – الفرنسية

للفتيات بجرجيس

في الثلاثينات







تلاميذ المدرسة

الفرنسية - العربية

للذكور في نهاية الثلاثينات

صحبة المعلم

بلقاسم جبنون



تلاميذ المدرسة

العربية للذكور

بجرجيس

سنة 1931



تلاميذ المدرسة

الفرنسية - العربية

للذكور بجرجيس

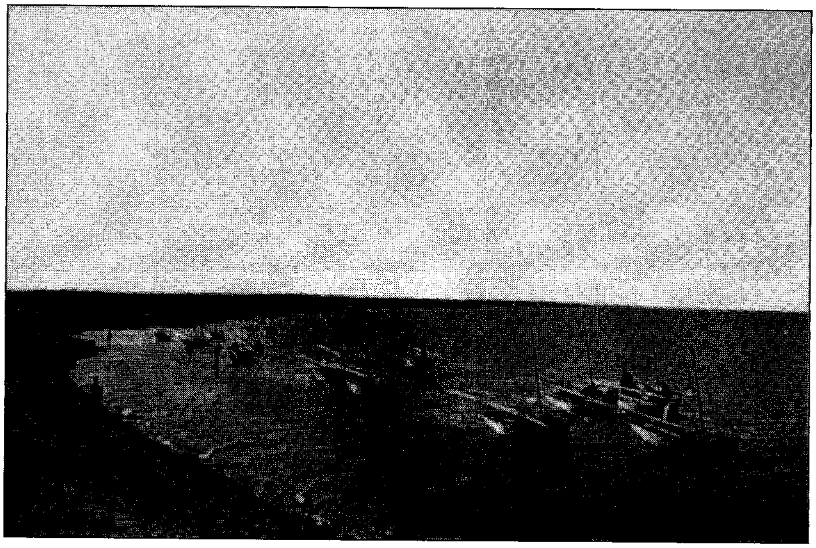
سنة 1908



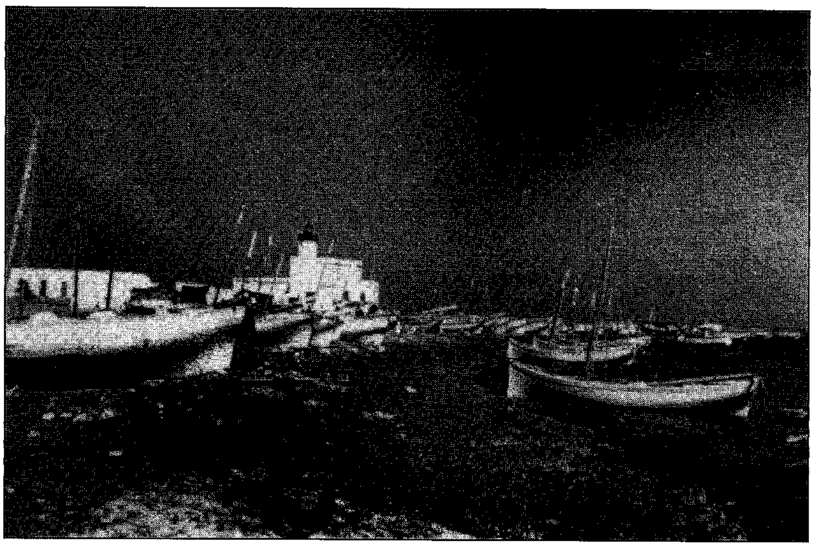
صورة لأعضاء الجامعة الدستورية لمنطقة التراب العسكري بالجنوب أثناء إجتماعهم يوم 12 جانفي 1952 والذي تقرر فيه إنطلاق العمل المسلح ضد الإستعمار الفرنسي.



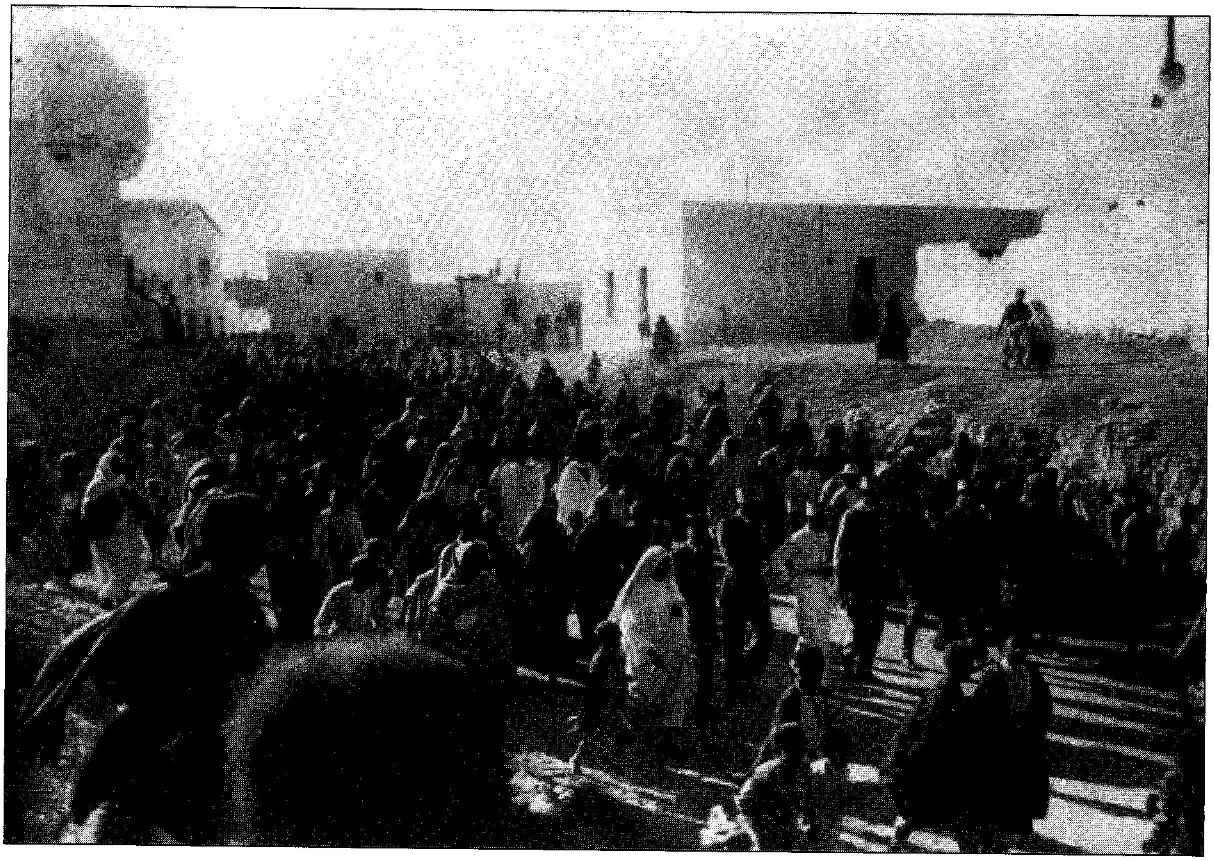
صورة مرسى الصيد البحري بجرجيس سنة 1952

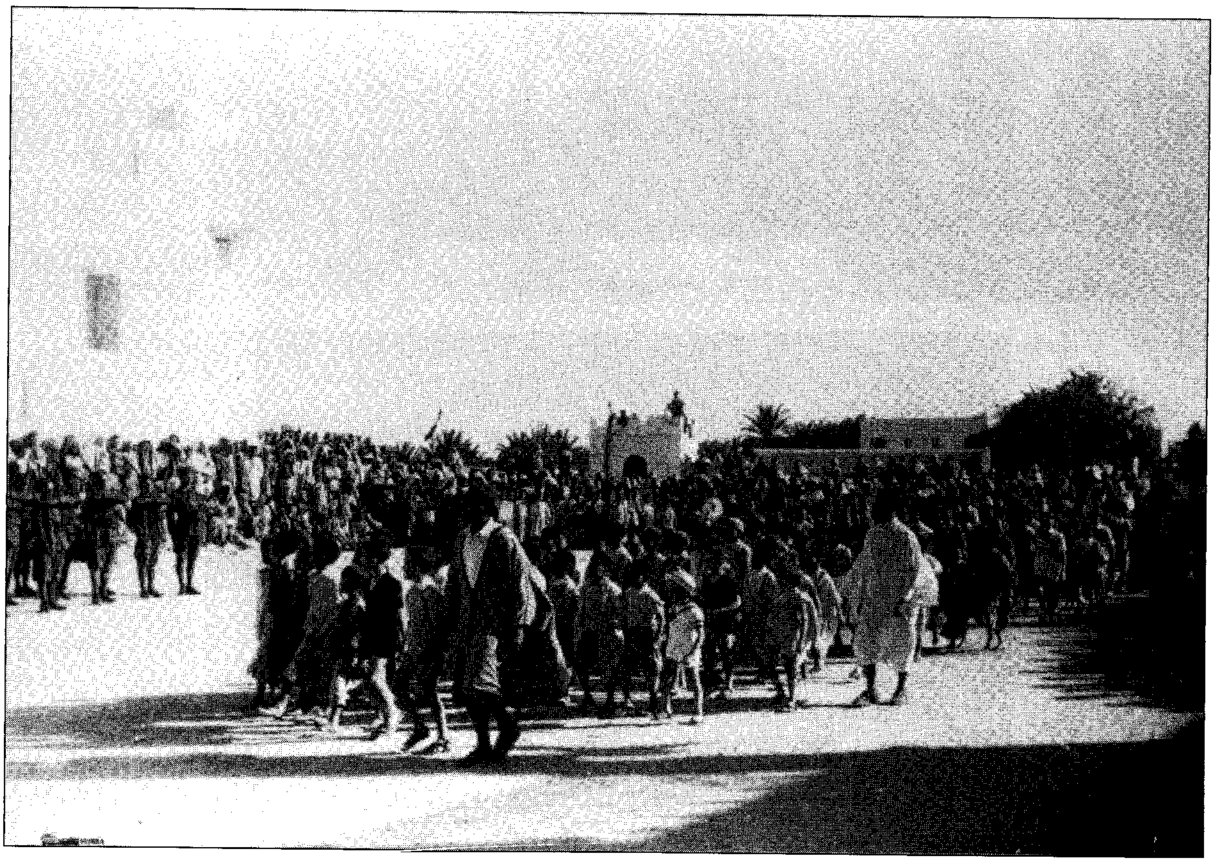


أحد شواطئ جرجيس سنة 1950



ناظور جرجيس ومقر الديوانة سنة 1952

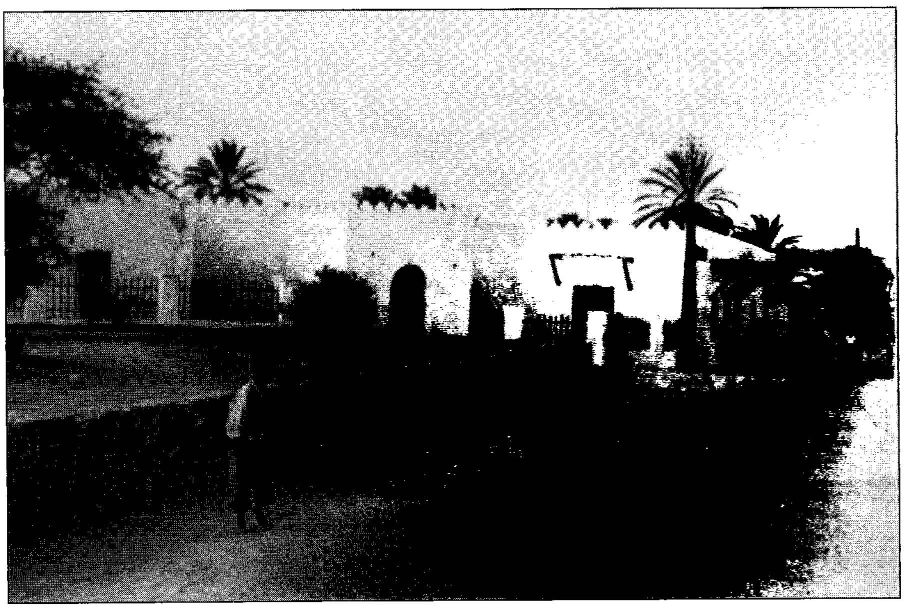




الإستعراض المدرسي بساحة البرج بجرجيس أثناء نهاية السنة الدراسية 1941 - 1942

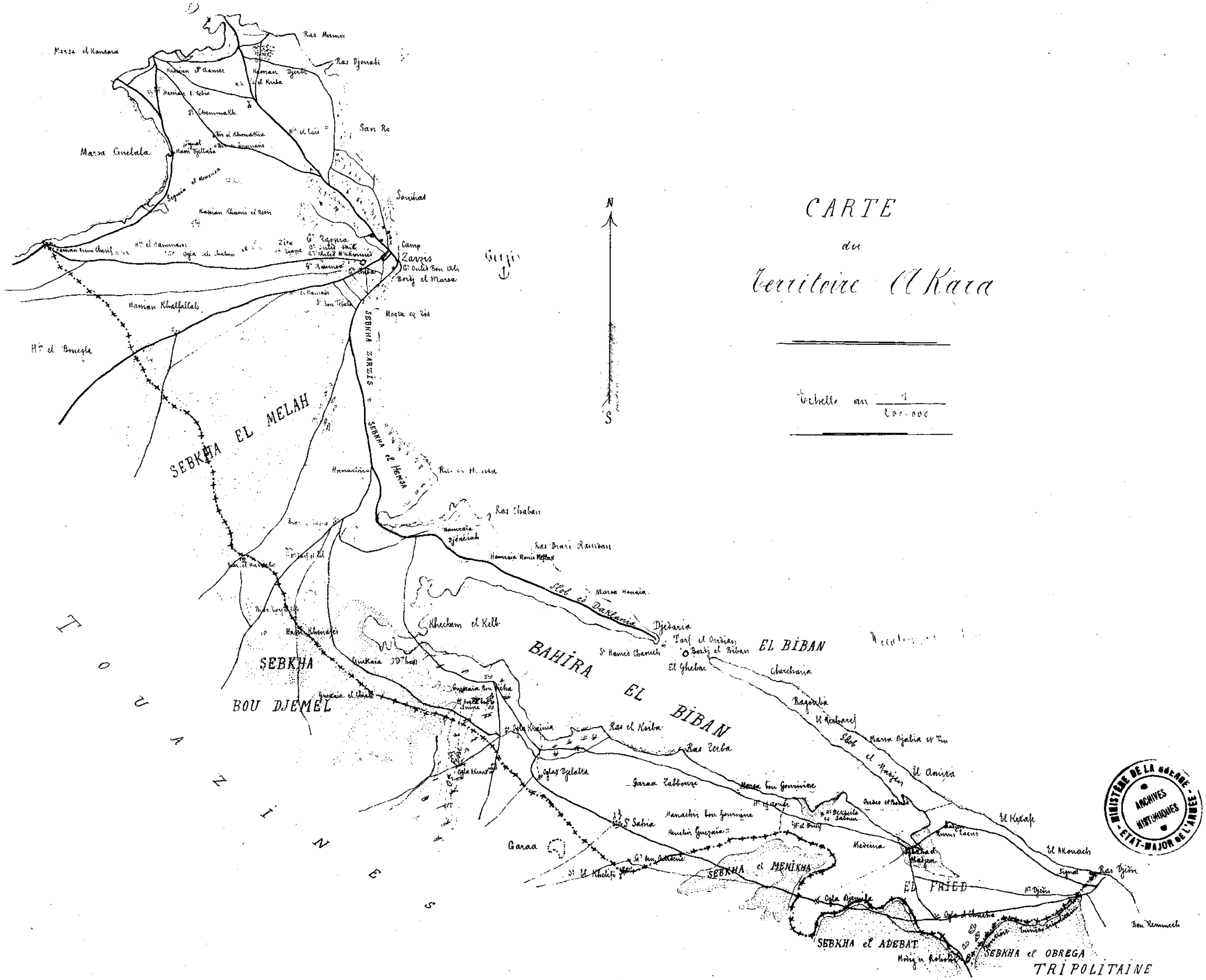


صورة لنزل فرنسا بجرجيس سنة 1952 (المكتب الفني لبلدية جرجيس حاليا)



صورة لنزل فرنسا بجرجيس سنة 1950 (مقر المكتب الفني لبلدية جرجيس)

خريطة مجالات عكارة بجرجيس وضعها الضابط الفرنسي بابي سنة 1887.

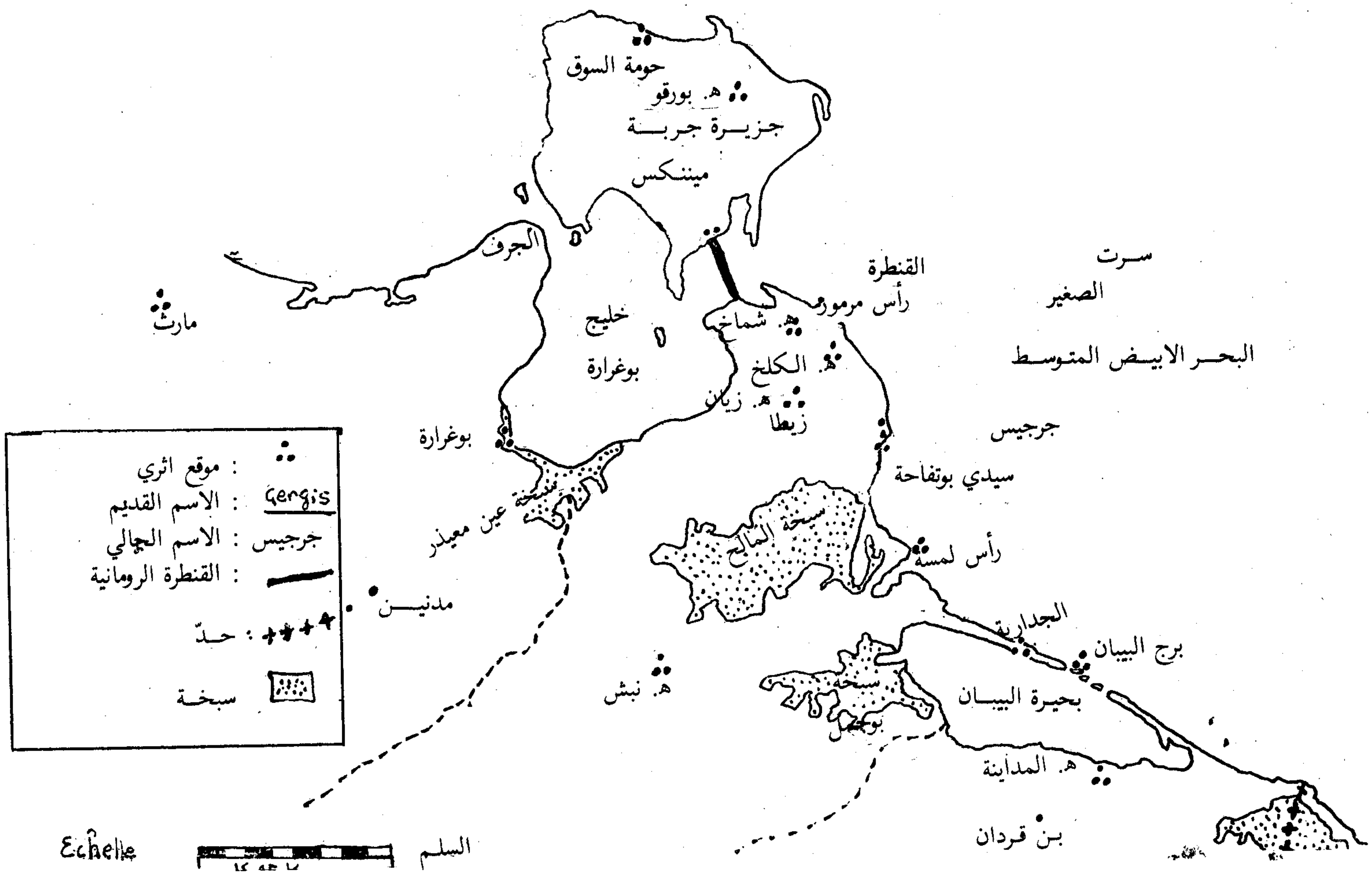




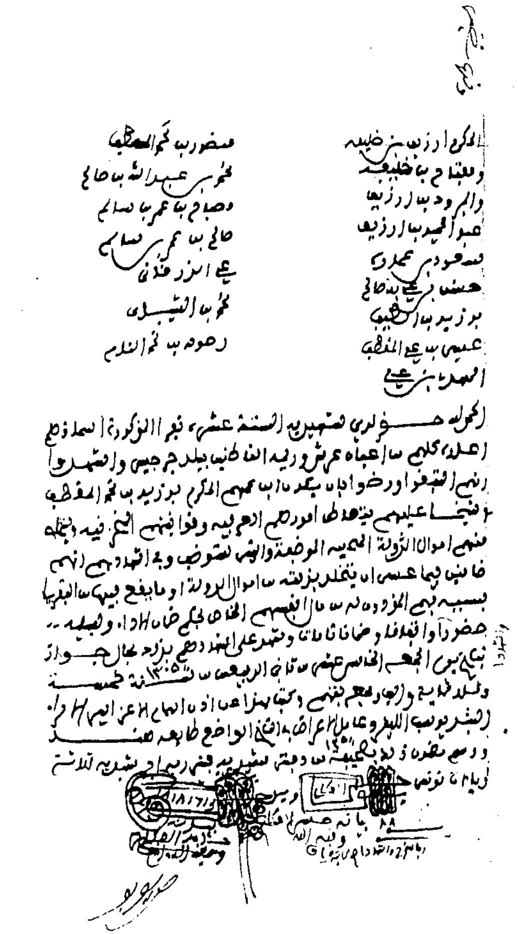
الخريطة التاريخية لشبه جزيرة جرجيس وضعها السيد نورالدين المنفخ.

— الخريطة الأثرية —

الجنوب الشرقي وشبه جزيرة جرجيس

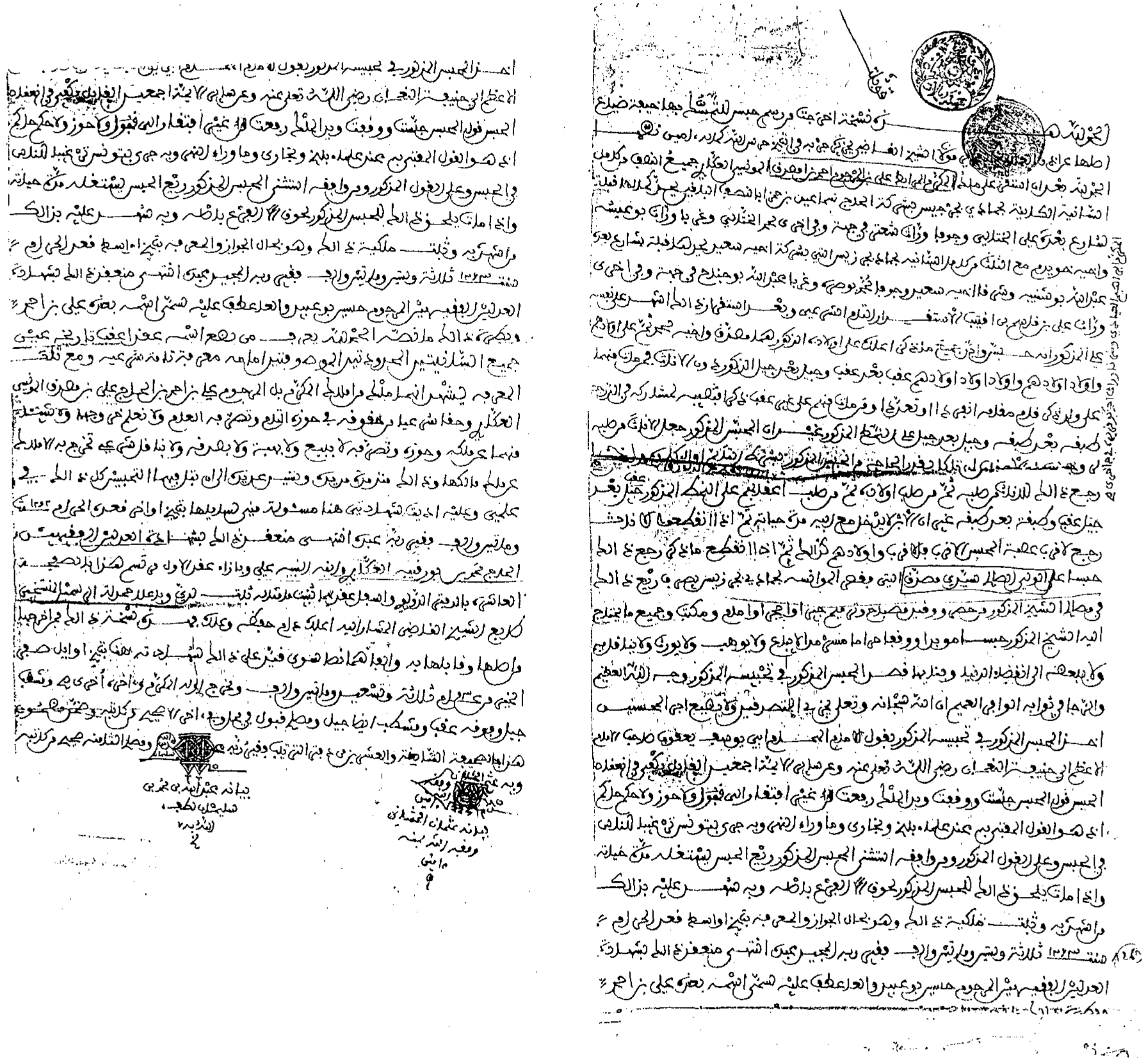


الخريطة الأثرية للجنوب الشرقي (وضعها علي درين).

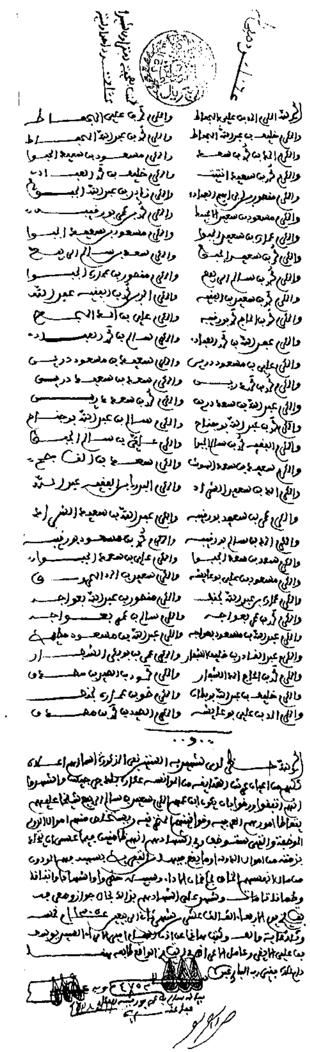


إنتخابات شيخ عرش وريمة بجرجيس

عند بدايات الإحتلال الفرنسي



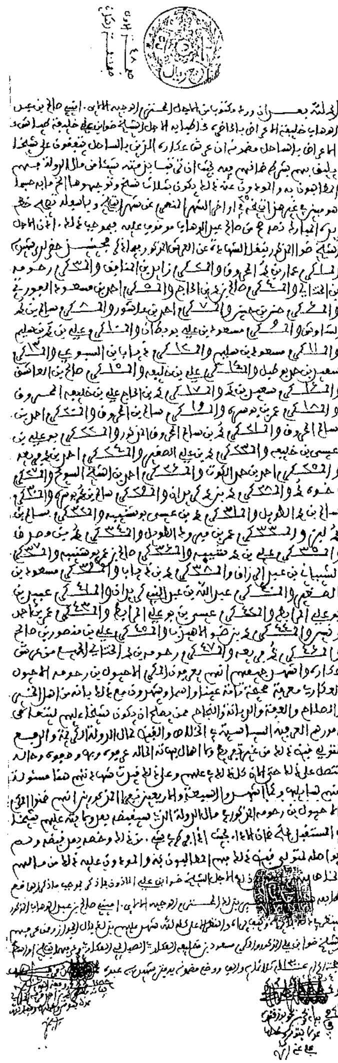
وثيقة تحبيس أراضي لفائدة زاوية الولي سيدي مصدق بالمؤانسة جرجيس



إنتخاب فريق العتايقة من عرش المؤانسة لشيخهم في نهاية القرن التاسع عشر (بدايات الإحتلال).



أعيان عرش أولاد بوعلي من عكارة ينتخبون شيخهم عند بداية الإحتلال الفرنسي.



طياش عكارة بالساحل ينتخبون شيخهم عند بدايات الإحتلال الفرنسي.

نص اجتماع مجلس أعيان مشيخة الزاوية من كاباية جو جيس عامل ورقلة
(عملا بما جاء به المنشور الوزيري عـدد المؤرخ في ربيع وفي مارس ١٤٢٤ / ١٩٤٥)

الحمد لله في غرة ابريل ١٩٥٢ على الساعة الثامنة صباحا اجتمع مجلس أعيان مشيخة الزاوية في عمل ورقلة تحت رئاسة السيد علي بوعجيلة عامل ورقلة وبحضور السيد البلطان بلا نيس كاهية رئيس مركز الأمور الأهلية بجو جيس كاهية المكان وبمساعدة العدلين سي محمد البحري وسي محمد الربيع وافتتح الرئيس الجلسة بأن خاطب كافة الحاضرين معلما أن الغرض من الاجتماع هو أن يعينوا من بينهم ثلاثة أعضاء حتى تتوفر فيهم شروط الكفاءة والنيابة والمقدرة على القيام بشؤون المشيخة المذكورة منهم البعض وأقدرهم ليكون شيخا على المشيخة المذكورة عوضا عمن كان قبله. ثم وقع الشروع في المناداة على الناخبين الذين قدموا تصويتهم حسب البيان الآتي :

عدد رتبي	الناخبون الحاضرون	المترشح الشيخ بن الجيلاني الظاوي	المترشح عبد السلام بن مسعود الخليوص
١	الحاج محمد ابن الحاج بلقاسم الظاوي	١	
٢	عمر بن صالح بن بلقاسم الحاجي	١	
٣	الجيلاني بن بلقاسم بن محمد الضاوي	١	
٤	الزكمتي بن منصور العلالة	١	
٥	الجيلاني بن منصور بن عبد السلام العلالة	١	
٦	احمد بن جعيط كركار	١	
٧	الجيلاني بن محمد بن صالح الجبرموم	١	١
٨	الجيلاني بن محمد بن بلقاسم بعرون		١
٩	عبد السلام بن مسعود الخليوص		١
١٠	عمر بن منصور بن عبد الدائم	١	
١١	عبد الحميد بن عمر بن علي بن معتوق		١
١٢	عبد الدائم بن احمد بن عبد الحميد العشي	١	
١٣	جعيط بن بلقاسم بن عبد الحميد	١	
١٤	منصور بن احمد بن عبد الدائم بن عويدي	١	
١٥	محمد بن محمد بن محمد بن عويدي	١	١
١٦	احمد بن بلقاسم بن عبد المؤمن الجيلاني	١	
١٧	علي بن محمد بن جعيط كركار	١	
١٨	علي بن محمد بن سليمان بن الاغر	١	
١٩	محمد بن محمد بن سعيد بن شعيب	١	
٢٠	جعيط بن بلقاسم بن محمد بعرون		١
٢١	علي بن بلقاسم بن علي الكنيس	١	١
٢٢	محمد بن رحومة بن محمد نواس		١
٢٣	بلقاسم بن سعيد بن عمر	١	
٢٤	عبد النبي بن علي بن عبد الكريم	١	
٢٥	محمد بن صالح زوبي	١	
٢٦	علي بن منصور بن علي الكنيس	١	
٢٧	عمر بن محمد الصيد بن عمر		١
٢٨	محمد بن سعيد بن عمر	١	
	الجملة :	٢٢	٩

عدد رتبي	الناخبون الحاضرون	المترشح الشيخ بن الجيلاني الضاوي	المترشح عبد السلام بن مسعود الخليوص
		٢٢	٩
٢٩	محمد بن علي بن محمد السود		١
٣٠	عبد الدائم بن عمر بن محمد السود	١	
٣١	محمد بن جعيط بن محمد الاعليوي	١	
٣٢	محمد بن عمر بن صالح الحاجي	١	
٣٣	عبد السلام بن محمود بن سعيد الحاجي	١	
٣٤	محمد بن عبد الله بن محمد الظاوي	١	
٣٥	عبد الدائم بن عبد الله بن المبروك	١	
٣٦	احمد بن بلقاسم بن معتوق	١	
٣٧	عمر بن جعيط بن احمد بن عمر	١	
٣٨	بلقاسم بن محمد النيب الصياغة	١	
٣٩	محمد بن منصور بن علي الكنيس	١	
٤٠	علي بن بلقاسم بن عبد الله العليوي	١	
٤١	محمد بن الطيب بن محمد الطيب	١	
٤٢	الخضري بن محمد المغراني	١	
٤٣	ضو بن المبروك بن عبد الدائم	١	
٤٤	ضو بن احمد بن ضو بن المبروك	١	
٤٥	الطيب بن بلقاسم الجليطي	١	
٤٦	احمد بن علي بن عبد المؤمن كروسه		١
٤٧	احمد بن محمد بن سعيد الزبلي	١	
٤٨	ضو بن منصور المغروني	١	
٤٩	عمر بن بلقاسم بن علي الكنيس	١	١
٥٠	بلقاسم بن احمد القنطري مريب		١
٥١	عبد الدائم بن منصور بن عبد الدائم بن عمر	١	
٥٢	عمر بن جعيط بن احمد المغروني	١	
٥٣	عبد اللطيف بن محمد بن عبد الحميد	١	
٥٤	محمد بن بلقاسم بن محمد الاعليوي	١	
٥٥	بلقاسم بن محمد بن سعيد بن شعيب	١	
٥٦	احمد بن علي بن احمد الظاوي	١	
٥٧	محمد بن احمد بن علي الكنيس	١	
٥٨	عبد الحميد بن جعيط بن محمد الاعليوي	١	
٥٩	الزادي بن محمد المغراني	١	
٦٠	النعطي بن محمد بن علي الظاوي	١	
٦١	عبد السمع بن منصور العلالة	١	
٦٢	عامر بن علي بن منصور الكنيس	١	
٦٣	الجيلاني بن محمد بن منصور الحاجي		١
٦٤	سعيد بن صالح بن منصور زوبي	١	
٦٥	الشيخ بن جعيط بن منصور الكنيس	١	
٦٦	الشيخ بن عمر بن صالح الحاجي	١	
٦٧	محمد بن عبد الدائم بن محمد بن عويدي	١	١
	الجملة :	٥٧	١٥

عدد رتبي	الناخبون الحاضرون	المترشح الشيخ بن الجيلاني الظاوي	المترشح عبد السلام بن مسعود الخليوص
		٥٧	١٥
٦٨	محمد بن مسعود بن علي خنيشيل	١	
٦٩	الشيخ بن علي بن محمد خنيشيل	١	
٧٠	العليوي بن محمد بن جعيط الاعليوي	١	
٧١	علي بن صالح بن محمد الكنيس	١	١
٧٢	احمد بن عامر بن عبد الحميد العائم		١
٧٣	الشيخ بن الجيلاني بن بلقاسم الظاوي	١	
٧٤	الزادي بن محمد بن عبد المؤمن زعيم	١	١
٧٥	علي بن جعيط بن احمد بن عمر	١	
٧٦	الشيخ بن محمد بن عمر العلاشة	١	
٧٧	منصور بن مسعود بن خليفة الخليوص		١
٧٨	عبد الدائم بن عياد بودور	١	
٧٩	جعيط بن علي بن احمد بن عبد الدائم الظاوي	١	
٨٠	عبد الله بن بلقاسم بن ضو بن المبروك		١
٨١	علي بن عبد الله بن سعيد الباجي		١
٨٢	علي بن عبد الله بن محمد الجليطي	١	
٨٣	احمد بن بلقاسم بوجرديق	١	١
٨٤	الجيلاني بن بلقاسم بن علي الكنيس	١	١
	الجملة :	٧٠	٢٣

الناخبون المتغيبون لعذر والمتغيبون بأصواتهم

عدد رتبي		عدد رتبي		عدد رتبي	
٨٥	بلقاسم بن رجيم بوحسية بن عويدي	٩١	بلقاسم بن احمد بن سالم بن معتوق	٩٧	احمد بن عمر بن منصور بن عمر
٨٦	عبد الله بن احمد بن صالح بن ابراهيم	٩٢	الكيلاني بن سالم بن خليفة كوحيم	٩٨	محمد بن محمد بن بلقاسم الظاوي
٨٧	ضو بن عمر بن عبد الدائم زعيم	٩٣	علي بن احمد بن علي الكنيس	٩٩	محمد بن ضو بن علي بن معتوق
٨٨	محمد بن محمد بن احمد الاعليوي	٩٤	عبد السلام بن صالح بن المبروك حيم	١٠٠	محمد بن عبد الله قائد العبيدي
٨٩	بلقاسم بن محمد الاعليوي	٩٥	محمد بن ضو بن سعيد القديري	١٠١	عبد السلام بن احمد بوجرديق
٩٠	عبد الرحمان بن بلقاسم بعرون	٩٦	الطاهر بن علي بن منصور الكنيس	١٠٢	الشيخ بن علي [illegible] أحبط صوته

فكانت النتيجة سبعون صوتا الى المترشح الشيخ ابن الحاج الجيلاني الظاوي وثلاثة وعشرون صوتا الى المترشح عبد السلام ابن الحاج مسعود الخليوص وبذلك أعلن الرئيس اختتام الجلسة، وكتب في رجب وفي غرة ابريل ١٣٧١ / ١٩٥٢
كتبه محمد الربيع العدل – محمد الربيع العدل [illegible]

أعيان مشيخة الزاوية ينتخبون شيخهم سنة 1952.

الحكومة التونسية

الوزارة الكبرى

نسخة أمر عليه ١٥ في نعمرة من عام ١٣٠٢

أمضي ولاية المكرم الجمهري بن عبد الرحمن الجمهري شيخا على أخوته عرش الخلايفة من عكارة ———

مثله في ولاية المكرم عبد النبي بن الحاج محمد بن علي شيخا على أخوته أولاد محمد من عكارة ———

مثله في ولاية المكرم نصر بن محمد بن عطية شيخا على أخوته المرازقة من عكارة ———

مثله في ولاية المكرم علي بن أحمد بن سالم شيخا على أخوته أولاد سعيد من عكارة ———

مثله في ولاية المكرم عمر الصغير بن محمد الحزن شيخا على أخوته الحواتم من عكارة ———

مثله في ولاية المكرم محمد بن منصور بن الحبيب شيخا على أخوته أولاد بوعلي من عكارة ———

مثله في ولاية المكرم محمد بن محمد حفيظ شيخا على أخوته من عرش زاوية عكارة بيلرجم جيس ———

مثله في ولاية المكرم منصور بن عبد السلام الحمالي شيخا على أخوته من عرش زاوية عكارة بيلرجم جيس ———

أمر علي تمّ بموجبه تعيين مشايخ على مختلف عروش عكارة عند بدايات الإحتلال الفرنسي.

الحمد لله — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

[illegible]

عكارة يمارسون الإغارة على بعض القبائل الطرابلسية 1871 - 1873.

الحمد لله — صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

[illegible]

عكارة يعلنون تمردهم على السلطة المركزية 1868 - 1871.

[illegible]

Pièce N° 87

Traduction

Monsieur le Capitaine Jubalet,

Nous avons l'honneur de vous donner l'énumération des jardins que nous a pris Monsieur Pellet, sans aucun droit, coupant les oliviers qui s'y trouvent et labourant le terrain.

Si c'était le Gouvernement qui avait pris ces terrains, nous ne dirions rien, mais si c'est Monsieur Pellet, nous vous prions, mon Capitaine, de nous donner un terrain où nous puissions vivre.

Le Gouvernement nous dit de planter nos terrains, tandis qu'on nous les prend sans droit ; si le Gouvernement veut être fixé, venez et vous verrez par vous-même ce qu'il va nous rester de terres.

Votre manière de voir est la plus juste.

Ecrit le 27 Novembre 1902.

Salut :

Amara Eldjebbou - Abdallah Ettoueï -

Dezini Essebai - Mohamed Edrine - Saïd b. Saïd Edrine - Abdallah Ennouiri - Amara Boudjennah - Elmabrouk Boudjennah

Enumération des jardins situés à Henchir Elmeladi, une des Oasis des Aecara dont la propriété appartient à Amara Eldjebbou et Saad Elmeladi.

1° - Un jardin à Ammar Eldjebbou 50 oliviers et 9 figuiers
2 - Un jardin à Dezir Essebai Oliviers 20
3 - Un jardin à Saïd b. Messaoud Edezini Oliviers 20
4 - Un jardin à Louis Edeziri 15 Oliviers
5 - Un jardin à Mohamed Djezir 20 Oliviers
6 - Un jardin à Abdallah Enouiri 8 Oliviers
7 - Un jardin à Amara b. Djennah 70 oliviers 50 figuiers
8 - Un jardin à Mabrouk Boudjennah 12 oliviers, vignes et figuiers.

مجموعة من الأفراد من عرش المؤانسة يشتكون المعمر بلي إلى السلطة المركزية لإفتكاكه أراضيهم.

RÉSIDENCE GÉNÉRALE DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A TUNIS

AFFAIRES INDIGÈNES

TERRITOIRES DU SUD

ANNEXE DE ZARZIS

Catastrophe de Koucha Couila

4 Juin 1907

Liste officielle des Morts

1 Chabani ben Mohammed el Hafiane (Accara) — cavalier guide — 30 ans

2 Ali ben Amor Chouikha (Accara) — cavalier du Makhzen — 40 d°
3 Mahmoud Cheriah (Touazine) — d° — 3? d°
4 Ahmed ben Abid (Ababdia) — d° — 30 d°

5 Rehaim ben Aissa ben Chouikha (Accara) (Oulad bou Ali) — raïs — 40 d°
6 M'hamed ben Rehaim ben Aissa dit Ghebaji — d° — marin — 16 d°
7 Chouchane Mansour ben Messaoud ben Fredj — d° — marin — 25 d°
8 Khelil ben M'hamed Chetoui — d° — raïs — 45 d°
9 Ali ben Abdallah el Aoudi — d° — marin — 25 d°
10 Saïd ben Abdeddaïm Briki — d° — raïs — 28 d°
11 Mabrouk ben Ali bou Haffa — d° — raïs — 28 d°
12 Mohammed ben Belgacem ben Messaoud ben Chouikha — d° — marin — 16 d°
13 M'hamed ben Mosbah ben Chouikha — d° — raïs — 18 d°
14 Ahmed ben Salem el Hemid — d° — marin — 18 d°
15 Ahmeur ben Amor ben Mansour ben Abdallah — d° — raïs — 22 d°
16 Saïd ben Ali Kenissi — d° — marin — 45 d°
17 Chouchane Salem ben Ali ben Chaleb — d° — marin — 25 d°
18 Rehouma ben Mansour bou Chehioua Djedou — d° — raïs — 25 d°
19 Amor ben Ali Mecharek — d° — marin — 25 d°
20 Mohammed Crabelsi — d° — marin — 35 d°
21 Ahmed ben Mohammed el Ouadi — d° — raïs — 25 d°
22 Mohammed ben Amor Lekhal — d° — marin — 17 d°
23 Abdellatif ben Rehouma el Fenddel — d° — marin — 25 d°
24 Mohammed ben Ahmed ben Hemid Goumbari — d° — raïs — 35 d°
25 Mansour ben Ahmed ben Saïd ben Merzoug — d° — raïs — 50 d°
26 Ahmed bel Hadj Salem Boubi (Chouchane) — d° — marin — 30 d°
27 Belgacem ben Abdelhafid ben Chehioua dit Ghebaji — d° — raïs — 20 d°

28 M'hamed ben Ahmed ben Chouikha Accara (Oulad bou Ali) — raïs — 35 ans
29 Chouchane Amor Aounallah — d° — marin — 31 d°

30 Abdelhamid ben Hassen el Houch (Accara) — Zaouia — marin — 25 d°
31 Mohammed ben Ahmed Abboud — d° — marin — 30 d°
32 Chouchane Mohammed ben Mabrouk Lhameur — d° — marin — 32 d°
33 Chouchane Amor ben Naceur Lhameur — d° — marin — 25 d°

34 Ahmed ben M'hamed el Khiari — Bibania — raïs — ?
35 Sliman ben bou Zid — d° — raïs — ?
36 Maatougue ould Hassine Chougbab — d° — marin — ?
37 Yahia ould Ali ben Maatougue — d° — marin — ?

A ajouter l'équipage du batiment comprenant :
1 raïs

plus deux indigènes vêtus de haoulis qui s'y seraient trouvés à ce moment.

Récapitulation

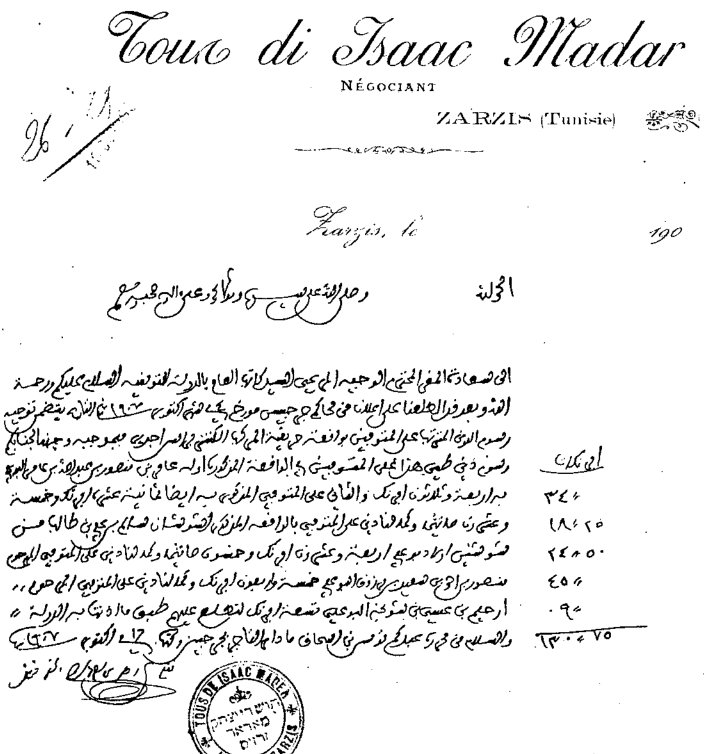
1 cavalier guide de Zarzis
1 cavalier du Makhzen de Zarzis
2 cavaliers du Makhzen de Ben Gardane
25 indigènes des Accara (Oulad bou Ali) dont 12 raïs et 13 marins
4 indigènes des Accara (Zaouia) marins
4 indigènes des Bibania dont 2 raïs et 2 marins.

37 plus l'équipage et les passagers du batiment contrebandier.

ضحايا أحداث عام القارب في 4 جوان سنة 1907 من القتلى.



عقد في عتق مملوك بجرجيس.



Tous di Isaac Madar

NÉGOCIANT

ZARZIS (Tunisie)

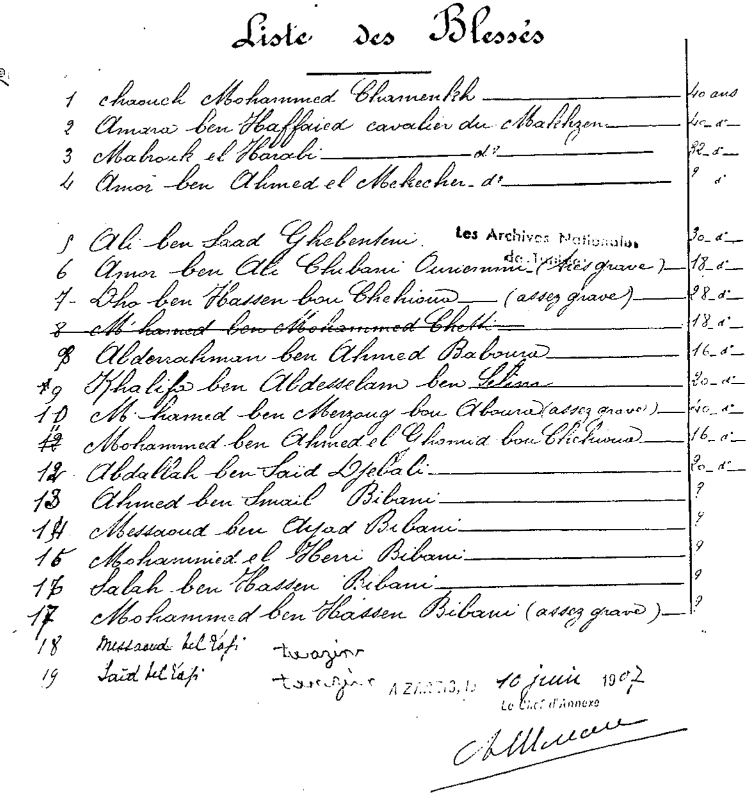
Zarzis, le 190

	الريالات
	٣٤٠
	١٨٠٢٥
	٢٤٥٠
	٤٥٠
	٩٠
	٣٠٠٧٥

TOUS DE ISAAC MADEA * ZARZIS * NÉGOCIANT

ديون متخلدة بذمة ضحايا عام القارب بجرجيس

لفائدة اليهودي إسحاق مدر.



Liste des Blessés

1 Chaouch Mohammed Chamenkh — 40 ans
2 Amara ben Haffaied cavalier du Makhzen — 40 d°
3 Mabrouk el Harabi — d° — 32 d°
4 Amor ben Ahmed el Mekecher — d° — ? d°

5 Ali ben Saad Ghebentini — 30 d°
6 Amor ben Ali Chibani Ouriemmi (très grave) — 18 d°
7 Dho ben Hassen bou Chehioua (assez grave) — 28 d°
~~8 M'hamed ben Mohammed Chelli~~ — 18 d°
8 Abderrahman ben Ahmed Babouza — 16 d°
9 Khalifa ben Abdesselam ben Selima — 20 d°
10 M'hamed ben Merzoug bou Abouza (assez grave) — 40 d°
11 Mohammed ben Ahmed el Ghomid bou Chehioua — 16 d°
12 Abdallah ben Said Djebali — 20 d°
13 Ahmed ben Smail Bibani — ?
14 Messaoud ben Ayad Bibani — ?
15 Mohammed el Hérri Bibani — ?
16 Salah ben Hassen Bibani — ?
17 Mohammed ben Hassen Bibani (assez grave) — ?
18 Messaoud bel Kafi
19 Saïd bel Kafi

Zarzis, 10 juin 1907

Le Chef d'Annexe

ضحايا أحداث عام القارب

في 4 جوان سنة 1907 من الجرحى.

RESIDENCE GENERALE DE FRANCE A TUNIS
ENREGISTRÉ le 26 AOUT 1941
N° 28.065
Carton Dossier

Zarzis le 20 Août 1941

Ali Klibée Khalifat de Zarzis .

à Monsieur l'Amiral Résident Général de France

à TUNIS

Monsieur le Résident,

J'ai l'honneur d'attirer trés respectueusement votre attention sur un vieux serviteur de la France en Territoire Militaire serviteur qui, en plus des services rendus par ses ancêtres, a lui même servi la cause la mère Patrie de 1903 jusqu'à ce jour.

J'ai débuté dans la carrière administrative comme commis des Contributions Diverses et successivement Secrétaire-Intérprete de la Commune de Zarzis et Khodja du Service des Affaires Indigénes, poste que j'ai quitté le 6 Décembre 1932 pour remplir les fonctions du Khalifat des Accara.

J'ai exercé ces fonctions avec zéle intégrité, loyalisme et fidélité qualités que mes Chefs ne peuvent nier.

J'ai toujours fait mon devoir de Chef administratif et de représentant de la Justice Tunisienne dans cette circonscription et ce, à la satisfaction de tous mes Chefs les attestations dont je suis détenteurs suffisent à l'appui des déclarations d'un serviteur qui ne s'est départi de son attitude en aucune circonstance pour servir son pays et la Patrie adoptive.

Je sais que mes Chefs directs qui me connaissent ont toujours demandé la récompense de mes efforts. Je les remercie; mais malgré leur désire je demeure Khalifat de 3éme classe alors que d'autres dont les services sont au plus égaux aux miens franchissent avec une vitesse incroyable les échelons dans l'Administration que j'ai servi plus longtemps qu'eux. Sans les jalouser je pense le dire en toute franchise que pareils faits sont décourageants pour un homme qui a servi et dont les efforts à la fin de sa carrière restent sans succés.

...

J'ai vu des Khalifats promus aprés moi et successivement nommés Kahias et Caids alors que je demeure Khalifat de 3éme classe point de départ dans ce cadre en 1932.

Je me suis armé d'une patience, mais cette dernière a des limites et devient quelquefois difficile à supporter par les hommes; ceux nommés et promus ont-ils plus de mérites que moi, sont-ils plus fidéles ? non.

Mon passé et les leurs sont là pour l'attester.

Je soumets trés respectueusement cette question à Monsieur le Résident Général et je fais appel à son équité pour que justice me soit rendue et que mon loyalisme soit récompensé.

Par lettre de S.E. le Premier Ministre en date de ce jour j'ai été avisé de ma mise à la retraite à dater du Ier Octobre prochain, malgré votre lettre n° SG-39.C.C. en date du 25 Août 1940 qui m'a fait connaître que j'ai droit à la retraite que le Ier Janvier 1942.

Je m'incline devant la décision de Monsieur le Premier Ministre et je demande qu'une satisfaction morale me soit accordée vis à vis de mes administrés.

Proposé pour le grade de Kahia en quatre fois par Monsieur le Chef de Bureau le 28 Novembre 1935, le 18 Décembre 1936, le 21 Juin 1940 et le 31 Décembre 1940.

Toutes ces propositions sont restées sans aucun résultat.

J'ai été également proposé deux fois pour la Légion d'Honneur le 22 Septembre 1939 et le II Février 1941.

Deux fois pour Commandeur du Nichan Iftikhar le 19 Mars 1937 et le 17 Octobre 1940.

Malgré toutes ces propositions aucune satisfaction m'a été donnée et elles sont restées lettres mortes.

Par conséquent et m'autorisant du fait que je suis à la retraite je viens par la présente signaler, à toutes fins utiles, à Monsieur le Résident Général les passe-droits commis à mon encontre en demandant qu'une suite favorable me soit accordée pour avoir satisfaction toute morale.

Veuillez agréer Monsieur le Résident l'assurance de mon respect et de mon entier dévouement./.

تقرير من خليفة جرجيس علي كليش يطالب فيه بمنحه رتبة خليفة شرفي.



الحمد لله تقرير في حالة اهالي خلافتنا من الوجهة الاقتصادية في شهر نوفمبر سنة ١٩٢٥

— 242 —

ان حالة اهالي خلافتنا حسنة وشارعون الآن في بذر مزارع الحبوب بارض المحارث وشارعون على جني غلة زياتينهم وحصلوا في هذا الصلاح على صابة وافرة من الزيتون وسعر الويبة زيتونا [illegible] ونتسوف فيه تجارا يرسلون فيه حبوبا الى الخارج [illegible] [illegible] ومنهم من يرسل فيه الى [illegible] زيتا [illegible] ويوجد بالبلاد [illegible] معاصر لعصر حب الزيتون من الشكل الحديث منها واحد [illegible] اهلية والاثنان تفلح [illegible] حيث ان المعاصر [illegible] ياخذون [illegible] من حب الزيتون الذي يقع عصره وللاهالي اعتناء بخدمة الارض وغرس الزيتون [illegible] زائد عن الاعمال الفلاحية [illegible] الارض [illegible] الزيتون [illegible] فلت الازهار

أرشيف الوطني التونسي

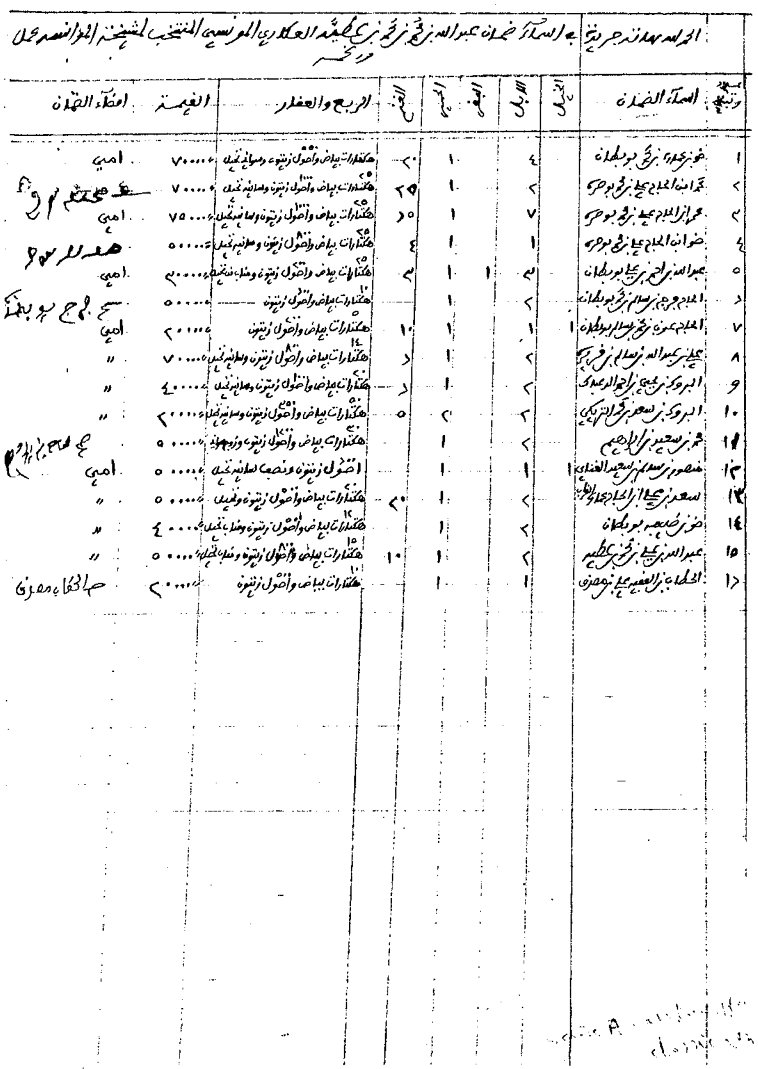
ويوجد بالبلاد طايفة اليهود استحوذت على خيرات البلاد وثروتها بسبب معاملة الاهالي بالربى بصورة فاحشة وصارت هاته الطايفة هم المتوجهين واصحاب الثروة في البلاد [illegible] [illegible] [illegible] كلها ملكا لليهود [illegible] الاهالي وصارت هاته الطايفة تتهافت على شراء حوايز الزيتون من الاهالي والتي جلبهم صاروا املاك [illegible] تحصلوا عليها بطريقة معاملة الربى [illegible] الاهالي المسكين عندما يخطر المعاملة من اليهودي يطلب المرابي تحبيسه في [illegible] ويوثق له املاكه وعند حلول اجل الدفع ولم يجد الاهالي سبيلا للخلاص [illegible] المرابي الى حيلة يتوصل بها للاستحواذ على املاك الاهالي [illegible] وذلك بان لا يترك الاهالي حتى يجعل له في املاكه (بيعه وايقاله) وهو ان الاهالي يبيع المرابي ملكه في [illegible] الذي عليه المرابي بحجة شرعية والمرابي يسلم للاهالي [illegible] يتعهد فيه بترجيع الملك المباع لربه عندما يرجع له دينه على اجل معين وهكذا يتوهلون [illegible] حرر [illegible]

[illegible] جرجيس وكتب في نوفمبر ١٩٢٥

— وثيقة عدد 8 : تقرير اقتصادي لخليفة جرجيس عن الاوضاع بالمنطقة بتاريخ نوفمبر 1925.

— المصدر : أ — و ، سلسلة E ، صندوق 550 ، ملف عدد 24 .

تقرير إقتصادي لخليفة جرجيس سنة 1925 يصف فيه الحالة الإقتصادية التي وصلت إليها الجهة بسبب تدخل بعض أعضاء الطائفة اليهودية في النشاط الإقتصادي المحلي.



الحمد لله مهادنة جرجيس في أملاك ضمان عبد الله بن محمد بن محمد بن عطية العكاري المرشح المنتخب لمشيخة المؤانسة محل [illegible]

عدد رتبي	اسماء الضمان	الخيل	الابل	البقر	الحمير	الغنم	الربع والعقار	القيمة	امضاء الضمان
١	[illegible] بن محمد بوبطان		٤		١٠	٢٠	هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٧٠٠٠٠	أمي
٢	محمد ابن الحاج يحيى بن محمد بوحرة		٢		١٠	٢٥	هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٧٠٠٠٠	[illegible]
٣	عمر ابن الحاج يحيى بن محمد بوحرة		٧		١	١٥	هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٧٥٠٠٠	أمي
٤	ضو ابن الحاج يحيى بن محمد بوحرة		١		١	٤	هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٥٠٠٠٠	[illegible]
٥	عبد الله بن احمد بن يحيى بوبطان		٣	١	١	٣	هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٣٠٠٠٠	أمي
٦	الحاج [illegible] بن سالم بن محمد بوبطان		٢		١		هكتارات بياض وأصول زيتون	٥٠٠٠٠	[illegible]
٧	الحاج عمرو بن محمد بن سالم بوبطان	١	١		١	١٠	هكتارات بياض وأصول زيتون	٢٠٠٠٠	أمي
٨	يحيى بن عبد الله بن سالم بن [illegible]		٢		١	٦	هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٧٠٠٠٠	"
٩	البروكي بن يحيى بن احمد [illegible]		٢		١	٦	هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٤٠٠٠٠	"
١٠	البروكي بن سعد بن محمد [illegible]		٣		٢	٥	هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٢٠٠٠٠	"
١١	محمد بن سعيد بن ابراهيم		٢		١		هكتارات بياض وأصول زيتون [illegible]	٥٠٠٠٠	[illegible]
١٢	منصور بن سالم بن سعيد [illegible]	١	١		١		أصول زيتون ونصف سانية نخيل	٥٠٠٠٠	أمي
١٣	سعد بن يحيى ابن الحاج [illegible]		٢		١	٢٠	هكتارات بياض وأصول زيتون ونخيل	٥٠٠٠٠	"
١٤	ضو بن [illegible] بوبطان		٢		١		هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٤٠٠٠٠	"
١٥	عبد الله بن يحيى بن محمد بن عطية		٢		١	١٠	هكتارات بياض وأصول زيتون وسانية نخيل	٥٠٠٠٠	"
١٦	[illegible]		١		١		هكتارات بياض وأصول زيتون	٢٠٠٠٠	[illegible]

جرد في أملاك ضمان عبدالله بن محمد بن محمد بن عطية المترشح لخطة شيخ على عرش المؤانسة.

GOUVERNEMENT
de
L'ARAD

N° 39

Objet : au sujet de l'École de Zarzis.

Gabès, le 10 Mars 1889.

Monsieur le Ministre,

J'ai l'honneur de solliciter de votre bienveillance la réouverture de l'école mixte de Zarzis. Cette école, que j'avais créée en 1887, a été fermée après le départ de son Directeur, le sieur Gallet, dit Abdallah, expulsé pour inconduite.

Beaucoup d'enfants de Zarzis et des Accara qui avaient déjà reçu les premiers éléments d'instruction primaire, n'ont pu continuer leurs études au grand regret des parents, qui les voyaient avec satisfaction apprendre la langue française.

Des adultes même suivaient les cours et nous pouvions attendre de cette création des résultats satisfaisants au point de vue, non seulement de la propagation de la langue française

mais encore de l'extension de l'arabe, dont la plupart des habitants ne connaissent que les éléments, en dehors du langage usuel.

Les familles européennes de Zarzis, particulièrement, souffrent de l'absence d'une école, car l'éloignement où elles se trouvent des localités qui en sont pourvues, les met dans l'impossibilité d'y envoyer leurs enfants.

Le droit à l'instruction étant le même pour tous les sujets d'un pays, il est à désirer que le Gouvernement étudie les moyens d'y faire participer les habitants de Zarzis, comme il y a fait, sans hésiter, participer ceux des autres parties de la Régence.

Les Accara méritent sans contredit que l'on fasse droit à leur désir.

Ils sont sédentaires par tempérament, loin de se borner aux travaux de l'agriculture, comme la plupart des populations tunisiennes, ils s'adonnent à diverses industries.

L'esprit d'assimilation est très développé chez eux, et leur intelligence mérite d'être cultivée au profit de l'influence française.

Les tribus qui les entourent ne pourront aussi profiter de cet exemple, et l'on peut espérer qu'elles ne tarderont pas, elles aussi, à comprendre les avantages de l'instruction.

La création d'une école à Zarzis est donc indispensable à tous les points de vue et il serait à désirer que le Gouvernement voulût bien saisir sans retard de ma proposition Monsieur le Directeur de l'Enseignement public.

Il ne m'appartient pas d'indiquer ici les connaissances spéciales qu'il serait utile de voir posséder au Directeur de l'école à créer.

Monsieur le Directeur de l'Instruction publique voudra bien, si la chose est possible, désigner pour cet emploi un sujet capable de se faire apprécier des différents éléments qu'il aura pour mission d'instruire et de rapprocher.

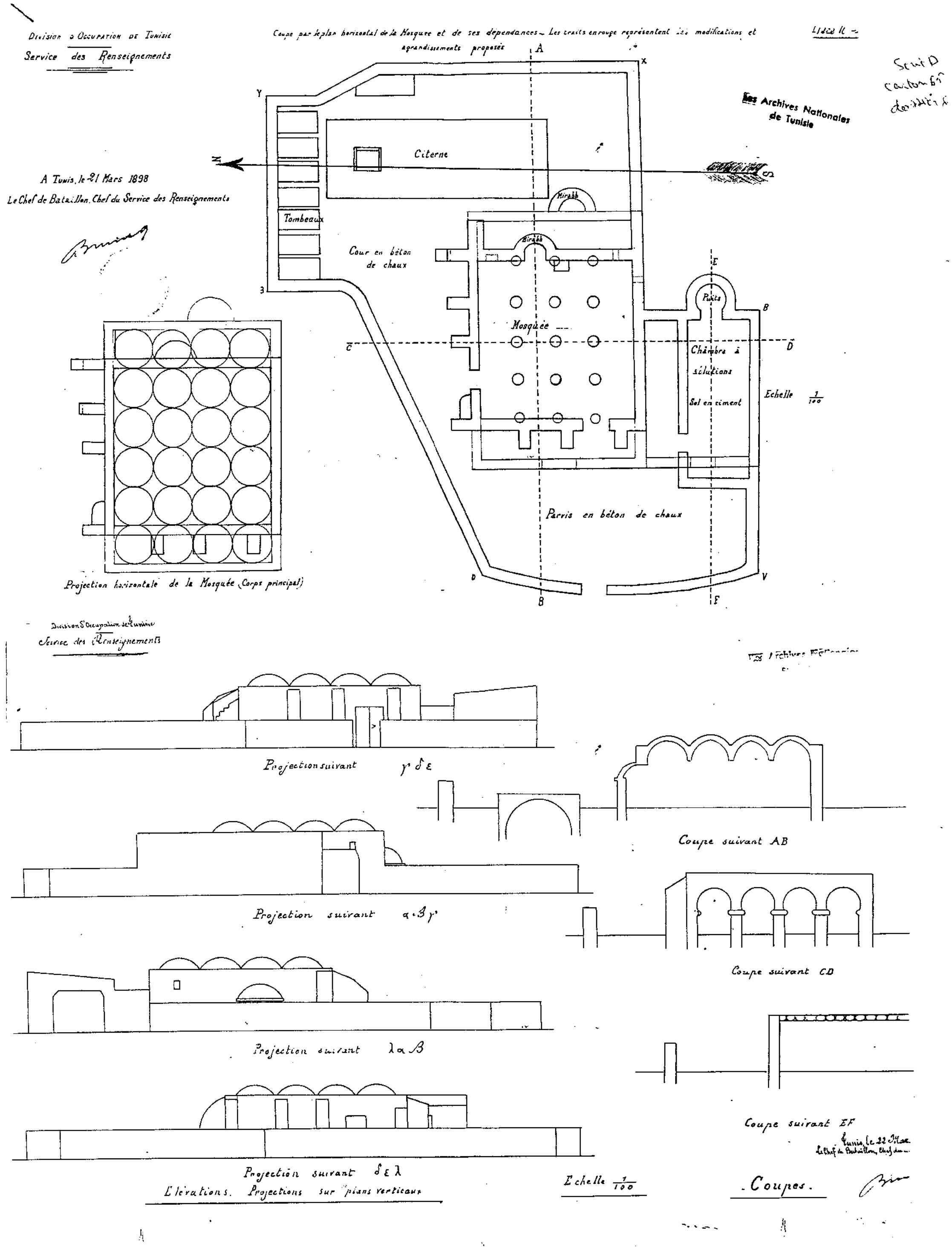
Veuillez agréer, Monsieur le Ministre, l'assurance de mon profond respect.

Le Gouverneur de l'Arad,

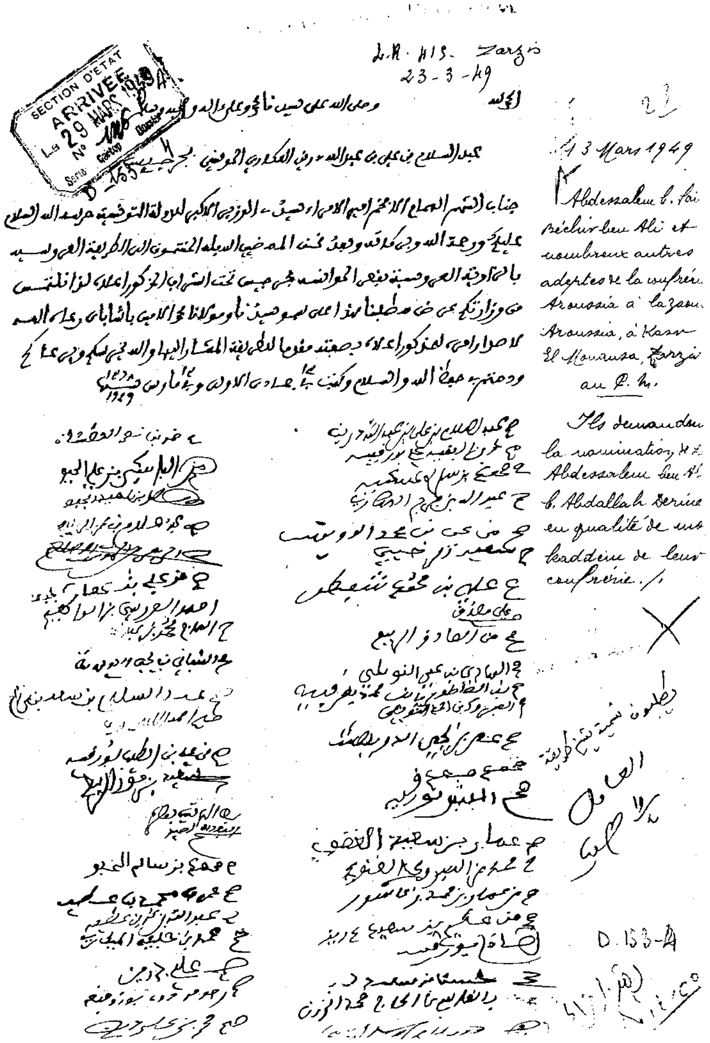
Allyo

Monsieur le Ministre Résident Général de France. Tunis.

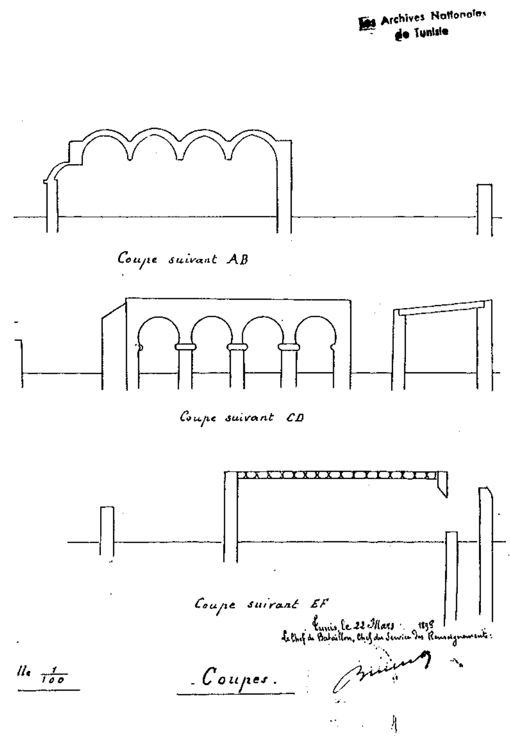
رسالة من يوسف الليفرو حاكم الأعراض إلى السلطة المركزية بتاريخ 14 مارس 1889 يطالب فيها بإعادة فتح المدرسة الفرنسية – العربية بجرجيس.



تصميم جامع الحصار بجرجيس قبل أن يقع تجديده سنة 1898.



إنتخاب شيخ الطريقة العروسية السلامية بالمؤانسة بجرجيس.



تصميم جامع الحصار بجرجيس

قبل أن يقع تجديده سنة 1898.

Résidence Générale de France
A TUNIS

SERVICE
DES
AFFAIRES INDIGÈNES

BUREAU de

ANNEXE de ZARZIS

N° 755/7

AFFAIRES INDIGÈNES
ARRIVÉ
le 13 Juin 33
BUREAU DE

Intérieur

A.I.

AFFAIRES INDIGÈNES N° 4

A ZARZIS, le 12 Juin 16 1933

RAPPORT du (1) Lieutenant GUYADER Adjoint de Ière classe ffons de Chef d'Annexe des Affaires Indigènes de ZARZIS

sur (2) la lettre N°839 en date du 8 Juin 1933 adressée par le Khalifa des Accara à Son Excellence le Premier Ministre et transmise le 12 Juin 1933 sous le N°820 par le Service des Affaires Indigènes.

(3) Par lettre précitée, SI ALI KLICHE, Khalifa des Accara, adresse à Son Excellence le Premier Ministre un dossier relatif au nommé SAAD ben HADJ M'HAMED ben HADJ KHALIFA METIMET, ayant demandé sa nomination aux fonctions de Cheikh de la Zaouia des Kadria, à KSAR MOUENSA (ZARZIS).

Cette Zaouia a été fondée par le père de l'intéressé, qui en est resté le cheikh jusqu'à sa mort. Il a été remplacé par son fils, qui demande à être titularisé dans les fonctions qu'il remplit temporairement depuis la mort de son père.

Sa demande étant conforme au désir exprimé par les membres de la Confrérie des Kadria et l'intéressé offrant toutes les garanties nécessaires, il semble que satisfaction puisse lui être donnée.

Ci-joint une notice individuelle.

Section ... B-111-8

en cours

(1) Grade, nom et fonctions.
(2) Indication succincte du fait pour lequel le rapport est établi.
(3) Date et exposé des faits.

NOTA. — Les avis des chefs hiérarchiques sont consignés à la suite du rapport.

Imp. J. Aloccio, 6, r. Annibal-Tunis

A Monsieur le Ministre Plénipotentiaire Résident Général de la République Française à TUNIS

SERVICE DES AFFAIRES INDIGÈNES — CERCLE DE ZARZIS

Affaires Indigènes Intérieur N° 25

Page réservée au Contrôleur Civil.

N° /

Nom complet	SAAD b/HADJ M'HAMED b/HADJ KHALIFA METIMET EL MOUENSI
Cheikhat d'origine	MOUENSA
Caïdat d'origine	OUERGHEMMA
Né présumé en	1877 à ZARZIS
Marié à	MABROUKA bent AHMED ben AMARA METIMET
Nombre d'enfants	Trois
Degré d'instruction et titres universitaires	Illettré en arabe et en français
Capacité physique ou infirmités	Bonne constitution
Fonctions antérieurement exercées	Néant
Distinctions honorifiques	Néant
Situation au point de vue militaire. Appréciation sur les renseignements donnés par le Caïd relatifs à la situation pécuniaire	N'a pas fait de service militaire (originaire d'un territoire non soumis au recrutement). Possède des biens immeubles évalués à 20.000 francs environ.
Appréciations détaillées du Contrôleur civil sur l'aptitude du candidat aux fonctions proposées	N'a pas d'antécédents judiciaires. Exerce temporairement les fonctions de cheikh de la Zaouia des Kadria à KSAR MOUENSA depuis le décès de son père, qui en a été le fondateur. Suivant le désir exprimé par tous les membres de la Confrérie des Kadria et sa propre demande, l'intéressé semble devoir être titularisé dans son emploi. Très bien noté dans le pays où il jouit de la considération générale.

A ZARZIS, le 12 Juin 1933

Le Lieutenant GUYADER Adjoint de Ière classe faisant fonctions de Chef d'Annexe des A.I.

NOTA. — Ces renseignements sont donnés par le Contrôleur Civil après vérification de ceux donnés par le Caïd.

تعيين شيخ على مجموعة الطريقة القادرية بالموانسة.

المملكة التونسية — الحاضرة في .... ١٩٥ — عدد ...

وزارة الداخلية

جدول الاوراق الموجهة للسيد عامل ورغمة

بيان محتويات الأوراق	عدد الأوراق	ملاحظات
مكاتبة من رئيس الشعبة الدستورية بجرجيس سي المختار الوريمي في التذمر من سوء سلوك عبد السلام ابن الحاج محمد الذويب معلم اللغة الفرنسية ومن معه نظرا لسبابهم فيهابث الدعاية لفائدة الامانة العامة وتدبير المكائد للتغلب على الحركة الدستورية	1	للاطلاع عليها وترجيعها واجراء التحقيقات اللازمة في شأنها والتعريف بما يتحرر لذلكم في النازلة في ظرف خمسة عشر يوما دون الجائنا الى التذكير

بالنيابة عن وزير الداخلية :
رئيس الادارة الجهوية

الحمد لله توصلت بالاوراق المبينة اعلاه
في ١٩٥
الموجه له :

الارشيف الوطني التونسي
SERIE A
carton 180 dossier 15

الحمد لله وحده

جرجيس في ١٣ جانفي ١٩٥٦

الى صاحب المعالي زعيمنا المحبوب سيدنا الاستاذ المنجي سليم السلام عليكم ورحمة الله وبعد باسم الجامعة الدستورية بجرجيس اتشرف بان اقدم الى جنابكم تذمراتنا وشكوانا من سوء سلوك بعض الموظفين وتصرفاتهم الذي لا يتفق مع وحدة الامة وبرنامج حكومتنا وهم الموظفين بجرجيس

1 عبد السلام بن الحاج محمد الذويب معلم اللغة الفرنسية
2 ابراهيم المختار بن الباشا شاوش الصوقة الذويب
3 محمد بن جويز بن مسلم معلم اللغة الفرنسية بمكتب البنات وامام خطبة جمعة بمعتمر اولاد سعيد
4 محمد بن علي بن الطيب الشبلي امام خطبة جمعة بجسم الجريرة
5 خميس الشيخ حسن بن معدن (القاضي السابق) قريب بالمحكمة الشرعية
6 التاج الجيلاني بن الحاج محمد بن مسلم العدل بجرجيس

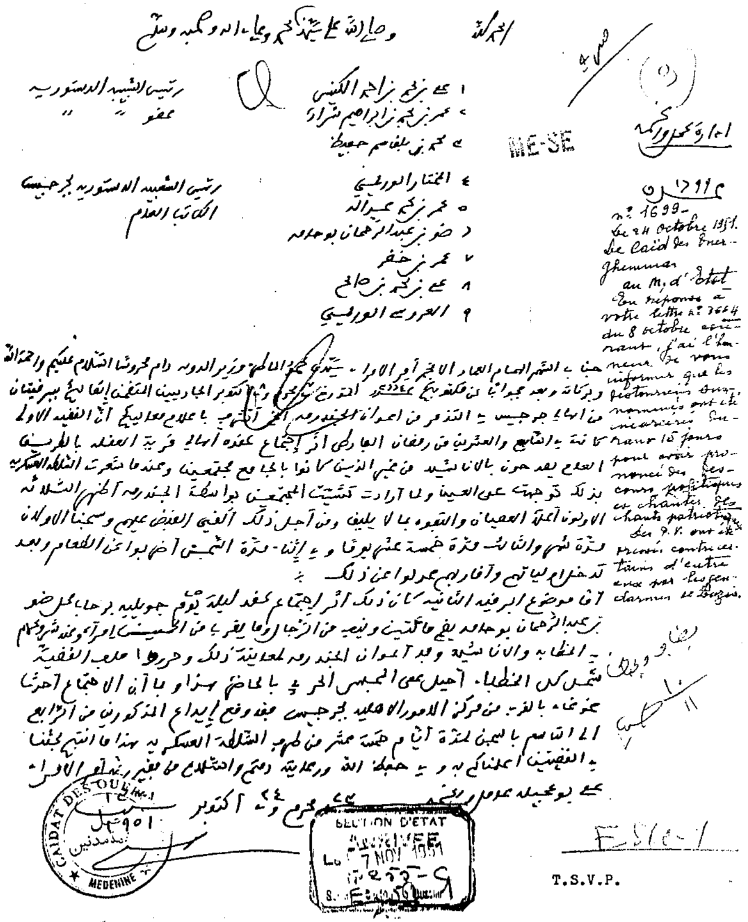
- يعمل الاول بكلها وتيه من قوة لبث دعاية سياسة ماهيسي بالامانة العامة بوسائله الخاصة حيث انه يسيطر بصفة اغرائه العلا لحرب لعيوب بالتبكيد السياسة مهو يسعى لبلادنا بمهارا في تدبير المكائد دا به مناورات ذلك التغلب على الحركة الدستورية والقضاء عليها واظهار جرجيس في ثوب جديد من السياسة الامانة العامة التي يتزعمها الذي بمبه مكائده اخ انه على قريبه بالمغامر تشلتلته رئيس الدعاية للشعبة والذي هو تشييه كانها الغام بوسائله المادية الذي يعطانا تعبيد الاوسط الحزبية القادرة في ايام سيتم المتطرفة سالكا بذلك حكمة من تفسد
لماذا هذا كلاليكم ما يرمي اليه هو زع بطاقات الديوان السياسي مجانا بواسطة امين المال للشعبة المهود يومئذ مستقلا بسلطته وتوزيع بطاقات الامانة العامة مرتبطة على اقاربه خاصة زاع عبد السلام هذا العاريعقد بدرجهم كعد المواظبين له في الراي عنه سو تمر الشعبة لا ينعقد وان ابداء اما اختار الاولية مأساة لرياستي ولا ضلا الامانة بان تكون سياسة فارة بجرجيس انه لا عن الدار لا ينكر لما يريده الا بكون على العمالية الحاج اداكد بان الشعبة المركزية لا تنبئا طائفة بانهما في الامانة العامة وليحيى عملهم الاعمى والحب حداع وعقد جماعة ذاتيكم التخلص من عمل سنة ١٩٤٨ للبلاد والمنده بسببهم

الارشيف الوطني التونسي

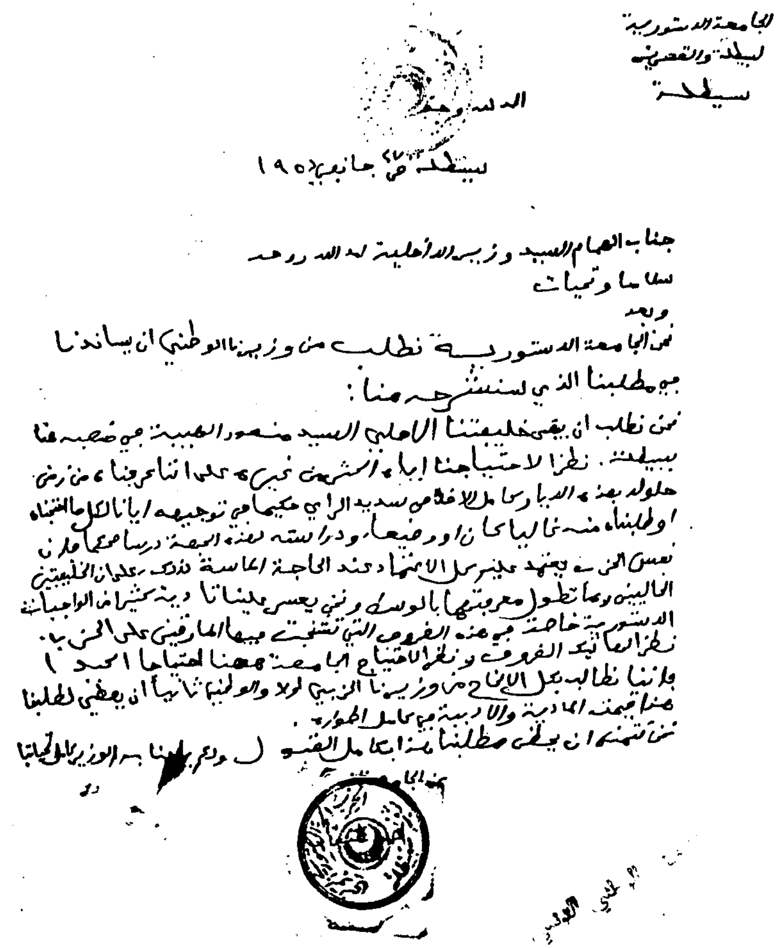
في صمو الامة والله يعلم والناس تعلم ذلك بو صبح كمجامعة في وصبح كوله للشعبة جرجيس المركزية وحيوته تكون كله بوصبح دستوريا قدر الواجب وانظر للمستقبل الذي كنت ادري البعوب وماعليه اليوم بالجهات بجرجيس ما لو قع الى الى لا طعن عليه مادام عبد السلام المذكور يشتغل وطبيعته بجرجيس من جهة وبرامج حركة الاستاذ مالم يتوسع من اطرف وكيف يكون الامر وبرامج حكومتنا بدأ يظهر للوجود — انتخابات المجلس العومي الناسيس وانتخابات البلديات على الابواب تعمل الى اضرار بها ليسنا لا تخرج من عدم مسبب واخر قارب لعامل الصف المقابل نهيار حرم ما تبنيه حكومتنا الرشيدة.
— اما الثاني فهو معروف بمعرفته ضد معد الحظ اولا مرتبا جدع قصر الشعبة اميراعلى السلطة التونسية وهو ابن شقيقه الا ليبعث كل ما يشير به علمه حضورها والذي في رجال الاعلام العام للبلاد ولدعم قلب الحكومة
— واما الثالث والرابع فيهما امامي جهة يستغلان امقاع الناس في بيوت الله منذ مقام ماللبث الدعاية المعادية والتنيل من كرامة القادة ورجال الحكومة ويقع ذلك في جمعة اداها ان يجمع ونذكر منها الجمعة الذي يفت في الاخيرة الحفل في سبيل تعلقها بالامانة العامة تتعصب لذلك وانشر هذا حتى اليوم بامع نقر اولاد سعيد بعفو دوري بمناسبة صلاة الجمعة
— اما الخامس المسمى خميس من جرجيس ابتداء حركة الامانة العامة بالجهة ما انفك يعلي سبيل نشر بالبلاد ولم تنقطع زيارته لجربة خصوصا في زيارته مكم من بوسف وعلي الزليطني
— اما السادس فهو معروف لدى الجميع بما قاله سابقا للجنة التنفيذية وازداد نشاطه مستغلا بهاند الطرف
اردنا اتباع هذا الجمهور حتى تقوموا لهم حسابا وتفحصوهم عسى حتى تواصل عملنا السياسي في طريق الكمال لما فيه خير شعبه ولو على البلاد ملك هذا بدونكم تكون غاية الامة البلاد ونابع ورؤسا العقيدة وحكومتنا العتيدة والسلام مراطعنا لكم يا الفنان الاول

الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري
شعبة
جرجيس المركزية

شكوى من رئيس الشعبة الدستورية بجرجيس المختار الوريمي ضد مجموعة من النشطين اليوسفيين سنة 1956.

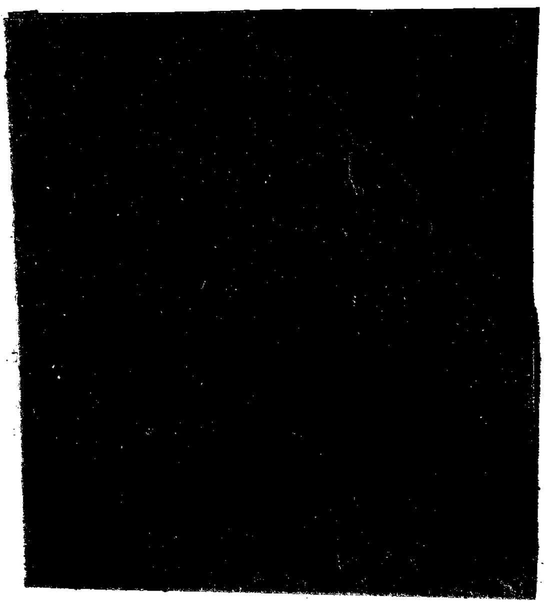


مجموعة من النشطين من الحزب الحر الدستوري الجديد بجرجيس يعقدون إجتماعات خطابية ضد السلطة الإستعمارية في أشهر كتوبر سنة 1951.



أعضاء الجامعة الدستورية بسبيطلة يطالبون ببقاء منصور بلهيبة خليفة على جهتهم.

الفهرس





د. سالم لبيض

المؤلف : من مواليد سنة 1964 زاول تعليمه الإبتدائي والثانوي بجرجيس أين تحصل على الشهادة الإبتدائية وشهادة البكالوريا، والعالي بكلية العلوم الإنسانيّة والإجتماعية بتونس أين تحصل على كل من الأستاذية وشهادتي التعمق في البحث والدكتوراه في علم الإجتماع، نشر العديد من الدراسات والبحوث في دوريات متخصصة مثل المجلة التاريخية المغاربية والمستقبل العربي البيروتية.

- يعمل أستاذا مساعدا لعلم الإجتماع بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بجامعة تونس المنار.

الشركة العامة للطباعة
سوجيم
(05) 392.270

الايداع القانوني
أفريل 2001
ISBN 9973 - 31 - 960 - 5

الثمن
10,000